

ما بعد كربلاي

الشيخ محمود قانصو العاملی الشهابی

دار المکتبة
النظام الولائي
بنیوقت - بعثات

ما بعد كربلاء

الكتاب: ما بعد كربلاء
المؤلف: الشيخ محمود قانصو العاملي الشهابي
عدد الصفحات: ٢٨٨ صفحة
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
سنة الطبع ٢٠١٢

الناشر:



هاتف: ٠٠٩٦١٣٢٩٨٥٥٩

www.anwar-alwilaya.com

للتواصل: info@anwar-alwilaya.com

التوزيع:



لبنان بيروت - بيروت العيد - العربي مركز التعلق الإسلامي - متأثرة حملها
هاتف: ٠٠٩٦١٣٥١٤٩٥٥ / ٠٠٩٦١٧٥٨٧٨٣٥
لقطف: ٠٠٩٦١١٥٦٣١١٩
E-mail: Albelagh-est@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من المؤلف.

ISBN: 6589-09-814-X

ما بعد كربلا

الشيخ محمود قانصو العاملی الشهابی



دار المکتبة
لأقْرَاءِ الْفُلَادِيَّةِ
بِتِيمَت - بَنَات

مدخل

إن إنحراف أمة محمد ﷺ عن قيادتها الإلهية المتجسدة بالأئمة المعصومين أولي الامر من أهل بيت نبيهم كانت فاجعة عظمى ومصيبة كبرى أصابت الأمة يائماً عظيم أحاط بها حتى رأسها. فأصبحت الأمة جسداً بلا رأس، والرأس لا غنى للجسد عنه، ويستحيل أن تم أمره وأن يكون جسداً طبيعياً إلا به.

لقد استمر هذا الإنحراف الخطير يشتد ويوجل في الظلمات حتى بلغ الذروة التي ما بعدها شيء عندما أقدموا على استئصال ذرية محمد ﷺ وذبح ريحانته وسبطه ووصيه أبي عبد الله الحسين علية السلام ومعه سبعة عشر بدرأ من صلب على وفاطمة صلوات الله عليهما كما جاء في بعض الأخبار، وقتلوا معهم جماعة من أصحابهم الأبرار.

وكان أشد ما في هذه المأساة على قلب الرسول ﷺ وأولياء الإسلام هو أن الأمة كلها — إلا نذر قليل — اشتراك في ارتكاب هذا العمل الشنيع، وإنما أقول الأمة كلها وأشدد على ذلك لأن الأمة كلها كانت ما بين آمر أو فاعل، أو مشارك بيده وسيفه أو مجلب بخيله ورجله، أو مدد ومعين، أو مؤيد بلسانه أو راض بجناه أو ساكن بخزانة ينظر إلى ذرية محمد ﷺ وهي تُضطهد وتُظلم وتُقصى وتُهضم حتى أفوا ذلك واستنسوا به مما شجعوا خليفة الإسلام !!! وأمراء المؤمنين !!! على أن يقوموا بهذا العمل الشنيع بحد ذاته بطريقة مهولة زادت في شناعة هذا العمل شناعة، وفي قباحته قباحة، وفي هوله هولاًً عندما قاموا بهذا العمل بكل برودة أعصاب بل كانوا يلعبون ويسرحون ثم أمرروا خيالتهم فطاfovوا على أجساد الشهداء من ذرية محمد ﷺ وهي ملقاء على صعيد الأرض، ثم رفعوا رؤوسها على أطراف الرماح ثم سبوا نساء محمد ﷺ كأنهن نساء الكفار، ثم طافوا بنساء محمد ﷺ ورؤوس ذريته في قرى ومدن الإسلام الذين كانوا يستقبلون هذا الموكب بالابتهاج والأفراح والرأيات ودق الطبول والأهازيج.

وكما كان انحراف الأمة عن قيادتها الإلهية هو الحدث المركزي في قضية الله تعالى في الأرض في فترة ما بعد النبي محمد ﷺ كان استشهاد الحسين عليهما السلام هو الحدث الذي كان قلب الحدث المركزي لأنّه مثل ذرّة وقمة التضحيّة الإلهيّة في مقابل ذرّة وقمة الإنحراف البشري، وبذلك كان هذا الاستشهاد الفريد هو العنوان الأشد بريقاً للطهارة والقداسة وكل خير، كما كان قتله وظلمه في الطرف المقابل هو العنوان الأشد ظهوراً للقذارة واللعنّة وكل شر.

هكذا شاء ربّك جلتْ حكمته وتعالتْ كلمته أن يكون الحسين بن فاطمة بنت محمد عليهما السلام هو ضحية الله، وأن تكون دماؤه الزكيّة هي المدد الإلهي والوقود الرباني العجائبي الذي منع وما زال يمنع نار الإسلام من أن تخبو أو تخمد.

ولهذه الأهمية الإلهية ركز الأئمة الأطهار العارفون بأسرار الله تعالى على مأساة الحسين عليهما السلام وعلى رفع رايته وعلى نشر كلمته وعلى بيان قضيته وعلى الجزع على مصيبة في ضمن كتلة عظيمة من أفعالهم المنسجمة مع هذه الحقيقة الإلهية وضموا إليها كتلة عظيمة هائلة من الأقوال المبينة لعظيم وقع مأساة الحسين عليهما السلام، والتي تحدث المسلمين وشيعة آل محمد عليهما السلام ومحبّيهم على الانضمام إلى الحسين عليهما السلام والانسجام مع قضيته الإلهية.

إن هذه الأفعال والأقوال الصادرة عن الأئمة الأطهار عليهما السلام في شأن قضية استشهاد الحسين عليهما السلام قد بلغتنا وبلغت كل مسلم بنحو متواتر توائراً عظيماً بحيث فهم جميع طبقات المسلمين من أعلاهم حتى أدناهم علمأً وفهمأً وادراكأً أن مظلومية الحسين عليهما السلام هي قلب الحدث المركزي في قضية الله تعالى شأنه في هذا الكون في كامل الفترة الزمنية الممتدة من حين وقوع هذا الحدث المهول - سنة ٦١ هجرية - إلى حين خروج وقيام حفيد الحسين الإمام القائم - روحى فداء - الذي سيتولى إعادة الأمور إلى نصابها وتقويم الإعوجاج وإصلاح الإنحراف وبالتالي إزالة الإثم الذي أحاط بالأمة.

وعندما نقول أن استشهاد الإمام الحسين عليهما السلام هو قلب قضية الله تعالى في أرضه في كامل هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبياً فنحن نؤمن بهذه المقوله حتى قعر أعمقها إيماناً مطلقاً، وربما ندعى وعيها وفهمها إلى حد بعيد وعياماً مستفاداً من الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهما السلام.

وليس هذه المقوله مجرد مقوله أسطوريّة تعيش في أعماق المؤمن إحياءً للماضي الغابر أو للمعاني السامية في نفسه.

كما أنها ليست مجرد مقوله عاطفية تدغدغ الشعور ويعيشها المؤمن وفاءً لمقدساته دون أن يكون لها دعوة تحرك نحو هدفها وتكون مؤثرة ومتأثرة بالواقع الحي.

بل ان هذه المقوله حيه ذات أهداف حيه، أما حياتها فهي بكل وضوح أن البشرية الفاجرة عندما فصلت رأس الحسين عليهما السلام عن جسده الشريف فإنما في حقيقة الأمر قد فصلت رأسها عن جسدها، فأضحت بالتالي جسداً لا رأس له بكل ما لهذا التمثيل من مدليل والتي منها أن البشرية أصبحت متخبطة عمياً يستحيل صلاحها حتى يعود رأسها.

وأما حياة أهدافها فهي أن الصالحين من شيعة الحسين عليهما السلام يعيشون هذا الهم ويسعون بكل قواهم إلى ربط الأمة برأسها، وهذا السعي هو السعي نحو تعميق فهمهم وارتباطهم والتزامهم بمفهوم ومصداق الإمامة الإلهية المعصومة، والسعى نحو انتشار وتعميق هذا الفهم والارتباط والتزام بين الناس حتى يعم الأمة جمعياً أو المقدار اللازم المستدعي إليها للإذن المرجو لخروج الإمام القائم عليهما السلام روحياً فداء والذى على خروجه فقط يتوقف صلاح البشرية.

هذه هي قضية الله تعالى في أرضه أعني خلافته تعالى في الأرض، وهذا هو الهم الأساسي عند رسول الله تعالى من أولهم آدم عليهما السلام إلى خاتمتهم وسيدهم محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا هو الهم الأساسي عند أئمتنا من لدن أولهم علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى خاتمتهم القائم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، وهذا هو الهم الأساسي الذي يجب أن يعيشه كل مؤمن صالح منقاد لهؤلاء القادة الطاهرين الأبرار، وأما الهموم والقضايا الأخرى فهي مهما تعاظمت أهميتها في الحياة الدنيا الفانية أو تعاظمت نسبة حقائقها وقربها من الحق فلا تعدو أن تكون هما ثانويأً وقضية ثانوية لأن كل هذه المشاكل الأخرى إنما نتجت من ثمرات الشجرة الخبيثة الملعونة أعني شجرة تغييب الإمام المعصوم التي طالما هي موجودة طالما ستنتج مثل هذه الثمرات.

ومن هذا المنطلق شرع الرسول عليهما السلام في بيان قضية الحسين عليهما السلام بلسانه ودموعه وعباته، واستمر على ذلك أئمتنا عليهما السلام والصالحون من أتباعهم، وتعاظم ذلك الأمر فور تحقق الفاجعة واستشهاد الإمام الحسين عليهما السلام، وما زالت هذه السيرة هي سيرة الأوّلاء الصالحين من موالي أئمتنا الطاهرين حتى يومنا هذا.

ومن هذا المنطلق أيضاً تملكتني أنا العبد الظالم لنفسه بذنبه والجاني على قلبه بعيوبه رغبة

عارمة أن يكون لي في هذا النهر المقدس الجاري قطرة، فكتبت هذه الصفحات عسى أن يقبلها الرحمن فيدرجي بلطفه وبره وإكرامه في موالى الحسين عليهما السلام وخدماته.

ولقد عمدت في هذه الصفحات إلى شرح ما جرى بعد استشهاد الحسين عليهما السلام من الأحداث التي تعد من آثار استشهاد الحسين عليهما وتابعه، ولقد عمدت إلى سرد الأحداث والأخبار دون التعرض لمصادرها أو رواتها نظراً لأن سائر هذه الأحداث والأخبار منقولة من مصادر مشهورة معروفة لدى المتبعين، وإنما كان عملي هو جمعها وتصنيفها مبوءة على أبواب.

وكان سبب تركيزي على هذه الجهة من جهات الحدث الكربلاوي المقدس – بعد قلة تصنيف علمائنا رضوان الله عليهم فيها – هو أهميتها الرفيعة من حيث إمكانية انتقال القارئ من عظيم آثار الحدث ونتائجها إلى إدراكه جوانب من عظمة وأهمية ذات الحدث.

هذا ولقد رأيت بعد التأمل أن هذه الأحداث تنقسم إلى أقسام ستة، فقسمت الكتاب على أساسها إلى ستة فصول:

١ _ الفصل الأول: ما جرى على أجساد الشهداء وسمّيته بـ(أحوال الأجسام).

٢ _ الفصل الثاني: ما جرى على النساء والذرية، وسمّيته بـ(أحوال السبايا).

٣ _ الفصل الثالث: ما جرى من أحزان وماسي على الكون، وسمّيته بـ(حزن الكائنات).

٤ _ الفصل الرابع: إنفاضة ممالك الإسلام وخلافاتها، وسمّيته بـ(إنفاضة الممالك).

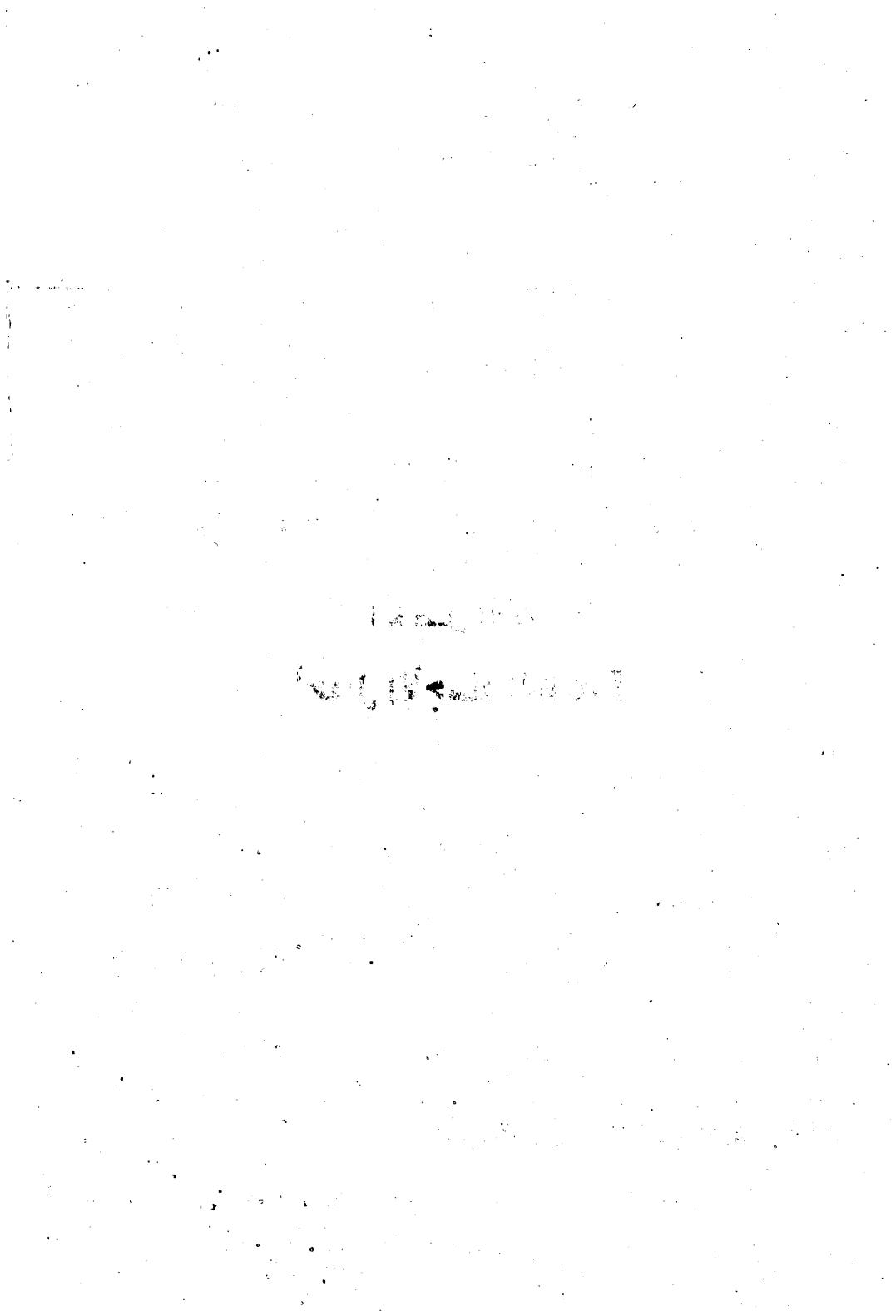
٥ _ الفصل الخامس: إنفاض الشيعة وتحركاتهم المتواصلة للإنتقام والتّكْفِير، وسمّيته بـ(إنفاضة الشيعة).

٦ _ الفصل السادس: ثورة المختار الثقفي وقتله لأعداء الله وقتلة الحسين عليهما وسمّيته بـ(ثورة المختار والأخذ بالثأر) وأحداث هذا الفصل وإن كانت تدخل في أحداث سابقة لأنّي ارتأيت فصلها لعظيم أهميتها وكثرة احداثها.

ثم ختمت الكتاب بختامة بها يتم الكتاب الذي أرجو أن يقبله الله تعالى ويثنيني بكرمه خير الثواب وأن يغفر لي ولوالدي ولولي وإخواني المؤمنين يوم الحساب.

الفصل الأول

أحوال الأجساد الظاهرة



الباب الأول

الأجساد في كربلاء

بعد انقضاء المعركة ما كان من الجيش البزيدي العاتي إلا أن أبرز ما أكتبه قلوبهم من غل وحقد ولؤم وخبث وحقارة على أهل بيت الطهارة، وذلك يبرز في الأفعال التالية:

١- فصل الرؤوس:

١- في ذروة خاتمة معركة كربلاء كان الإمام الحسين بن علي عليهما السلام صریعاً على أرض كربلاء يوجد بنفسه ويناجي ربه، وإلى جانب منه كل جنوده وأصحابه شهداء صرعى مضرجين بدمائهم الزكية، وكان جيش يزيد بزعمامة عمر بن سعد لعنهم الله تعالى قد استبد بأرض المعركة حتى أحسن بشوّه النصر على آل بيته محمد عليهما السلام.

ظل الحسين عليهما السلام صریعاً على الأرض وقتاً ما... حتى استطال أعداؤه عليه هذه اللحظات وبخلوا عليه بالحظات أخرى يستم بها مفارقه الدنيا... عظم عليهم أن يتظروا لحظات أخرى هي الوقت الكافي حتى تفارق روح الحسين عليهما السلام جسده الصريح المصاب بثلاثمائة وبضعة وعشرين طعنة برمي أو ضربة بسيف أو رمي بسهم، فكم عسى أن تطول لحظات مفارقة الروح لهذا الجسد... لكنهم قوم قد عجبوا باللؤم والجنون والحقارة فاستجلوا قطع رأسه مع أنه ما زال على رمق من الحياة... ما زال ينظر... وربما ينطق بحروف... فقال عمر بن سعد لجلوازه شمر بن ذي الجوشن: إنزل واقطع رأس الحسين عليهما السلام ، نزل، تقدم إليه، فلما بصر به الحسين عليهما السلام ، ذكر له أن جده الرسول عليهما السلام قد أخبره أن كلب أبعق يلغ في دماء آل محمد عليهما السلام ولو شعر الكلاب والخنازير، غضب الشمر للعين وجعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليهما السلام حتى استتم اثنا عشر ضربة، وفي هذا الوقت بالذات أمر الله تعالى مناديأ ينادي من بطنان العرش: ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها لا وفقكم الله لأصحي ولا فطر. وضجّت الملائكة إلى الله بالبكاء، وقالت: يا رب، هذا الحسين عليهما السلام صفيك، وابن بنت نبيك عليهما السلام ، فأقام الله تعالى ظل القائم عليهما السلام ، وقال: بهذا انتقم لهذا.

لحظات خطيرة على الكون فارتفت في السماء غبرة شديدة سوداء مظلمة فيها ريح حمراء لا ترى فيها عين ولا أثر حتى ظن القوم أن العذاب قد وقع، فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم ورأس الحسين عليه السلام مفصول عن جسده، فإن الله وإنما إليه راجعون.

ثم عمدوا إلى جث الشهداء أصحاب الحسين عليه السلام ففصلوا الرؤوس عن الأبدان حتى غدت الجثامين الظاهرة بلا رؤوس.

وكان عدد الشهداء من بطن فاطمة عليه السلام خاصية سبعة عشر نفساً، كما روى بعض أئمّة العامة، ومنهم أبو القاسم الطبراني قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا عبد السلام بن عاصم الرازي، ثنا يحيى بن ضریس (حیلوة) وروى الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزیز، ثنا أبو نعیم (حیلوة) وروى خلیفة بن خیاط، قال: حدثنا الحسن بن أبي عمرو، كلهم قالوا: حدثنا فطر بن خلیفة قال: سمعت مندرا الثوری، قال: ابن الحنفیة: قتل مع الحسین بن علی سبعة عشر كلهم من ارتکض في بطن فاطمة عليه السلام^(١).

وروى الهیشی مثله، ثم قال: رواه الطبراني بساندین ورجال أحدهما رجال الصحيح^(٢).

وروى علی بن محمد العلوی، حدثني شيخ الشرف، قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا ابن دینار، عن ابن عبده، عن خلیفة، عن الحسن بن أبي غرة، عن مندرا الثوری، عن محمد بن الحنفیة قال: قتل مع الحسین بن علی عليه السلام ستة عشر رجلاً كل منهم قد رکض في بطن فاطمة عليهم السلام والرضوان^(٣).

وقد ينبغي لنا هنا أن نذكر أن بعض أصحاب الحسين عليه السلام وصلوا كربلاء بعد فوات الأوان، فأصحابهم من عظيم الكآبة والحزن والندم ما الله تعالى به عليم، ومنهم من أبي إلا اللھاق بسيده الحسین عليه السلام، ومن هؤلاء الھفھاف بن المھند الراسبي البصري، فقد روى الزبیر بن الفضیل الرسان في رسالته في تعداد أصحاب الحسین رقم ١٠٧، قال: وخرج الھفھاف بن المھند الراسبي، من البصرة، حين سمع بخروج الحسین عليه السلام، فسار حتى انتهى إلى العسکر بعد قتله فدخل عسکر عمر بن سعد، ثم انتقض سيفه، وقال: يا أيها الجندي المجنّد، أنا الھفھاف بن المھند، أبي عیال محمد عليه السلام، ثم شد فيهم.

(١) تاريخ خلیفة بن خیاط ص ١٧٩، المعجم الكبير ج ٣ ص ١٠٣ و ج ٣ ص ٢٨٥ و ج ٣ ص ١١٩

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٨

(٣) المجدی في أنساب الطالبین ص ١٤

قال علي بن الحسين عليهما السلام: فما رأى الناس منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآلـه وسلم، فارساً - بعد علي بن أبي طالب عليه السلام - قتل بيده ما قتل، فتداعوا عليه خمسة نفر، فاحتلوه حتى قتلوه، رحمـه الله تعالى.

٢_ اقسام الرؤوس:

بعد ان فصلوا الرؤوس اقسموها فيما بينهم لينالوا الجائزـة عليها، وكانت القسمـة كما ما يلي:

- أ _ قبيلـة كنـدة وعلى رأسـها قيس بن الأـشعـث ولـها ثـلـاثـة عـشـر رـأـسـاً.
- ب _ قـبـيلـة هـواـزن وـعـلـى رـأـسـها شـمـرـ بن ذـيـ الجوـشـن ولـها اـثـنـا عـشـر رـأـسـاً، وـقـيـلـ: عـشـرونـ، وـقـيـلـ: اـثـنـانـ وـعـشـرونـ.
- ج _ قـبـيلـة تمـيم وـعـلـى رـأـسـها الحـصـينـ بنـ نـمـيرـ ولـها سـبـعـة عـشـر رـأـسـاً، وـقـيـلـ: تـسـعـة عـشـرـ.
- د _ بـنـوـ أـسـدـ وـعـلـى رـأـسـها هـلـالـ الأـعـورـ ولـها سـتـة عـشـر رـأـسـاً، وـقـيـلـ: تـسـعـة رـؤـوسـ، وـقـيـلـ: ستـة رـؤـوسـ.
- هـ - بـنـوـ مـذـحـجـ وـلـها سـبـعـة رـؤـوسـ.
- و _ قـبـيلـة الأـزـدـ وـعـلـى رـأـسـها عـيـمـةـ بنـ زـهـيرـ وـلـها خـمـسـة رـؤـوسـ.
- ز _ قـبـيلـة ثـقـيفـ وـعـلـى رـأـسـها الـولـيدـ بنـ عـمـرـ وـلـها اـثـنـا عـشـر رـأـسـاً.
- ح _ سـائـرـ النـاسـ تـقـاسـمـتـ ثـلـاثـة عـشـر رـأـسـاً وـقـيـلـ: باـقـيـ الرـؤـوسـ.

ط _ وأـمـا رـأـسـ الحـسـينـ بنـ عـلـيـ صـلـواتـ اللهـ عـلـيـهـ فـكـانـ معـ خـوـلـيـ بنـ يـزـيدـ الأـصـبـحـيـ، وـيـقـالـ أـنـ سـنـانـ بنـ أـنـسـ النـخـعـيـ كانـ يـحـمـيـ رـأـسـ الحـسـينـ وـيـشـدـ عـلـىـ كـلـ مـنـ يـقـتـرـبـ مـنـهـ كـيـ يـقـىـ مـنـ حـصـتهـ لـيـنـالـ جـائزـتـهـ وـأـنـهـ هوـ الـذـيـ أـعـطـاهـ لـخـوـلـيـ بنـ يـزـيدـ.

وـكـانـتـ هـذـهـ الرـؤـوسـ مـنـهـاـ ماـ يـرـفـعـ عـلـىـ أـطـرافـ الـقـنـاءـ وـالـرـمـاحـ كـمـاـ هـوـ حـالـ رـأـسـ الحـسـينـ عـلـيـهـ، وـمـنـهـاـ مـاـ يـعـلـقـ فـيـ عـنـقـ الـفـرـسـ كـمـاـ هـوـ حـالـ رـأـسـ حـبـيـبـ بنـ مـظـاهـرـ الـأـسـدـيـ رـضـوانـ اللهـ تـعـالـىـ عـلـيـهـ.

ي – وأما الحر بن يزيد الرياحي رضي الله عنه فقد منعت عشيرته بنو رياح قطع رأسه وأخذت جسده كاملاً ودفنته في حيها.

٣- سلب الجثث

وكان أعداء الله بسلب جثث الشهداء كما سلبو معسكر الحسين عليهما السلام، وكانوا يأتون إلى جسد الشهيد وينزعون ما عليه من درع أو خاتم أو رداء أو نعل حتى يتركوا الأجساد الشريفة مجردة عارية ولم يراعوا أي حرمة، حتى أنهم لم يستثنوا من هذا العمل الشنيع جسد الامام الحسين عليهما السلام وكان على هذا النحو:

١ – برنس الحسين عليهما السلام: سلبه مالك بن اليسر وكان هذا البرنس من خرز وقد امتلأ من دماء الحسين عليهما السلام.

٢ – سراويله عليهما السلام: أخذها بحير بن عمرو الجرمي فصار زماناً مقعداً من رجليه.

٣ – سروال من حبرة كان الحسين عليهما السلام قد مزق هذا السروال ولبسه تحت ثيابه حتى لا يجرد ولكن أبجر بن كعب التميمي سلبه وترك الحسين عليهما السلام مجرداً، فكانت يداه بعد ذلك تيسان في الصيف كأنهما عودان ويتربان في الشتاء فيضchan دماً وقيحاً حتى مات وروي مثل ذلك في مالك بن اليسر الذي سلب البرنس.

٤ – قميصه عليهما السلام: سلبه إسحاق بن حويه الحضرمي ولبسه فصار أبرص وامتعط شعره.

٥ – عمامته عليهما السلام: سلبه أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي، وقيل: بل سلبه جابر بن يزيد الأودي فأعتم بها فصار معتوهاً وقيل صار مجذوماً.

٦ – درعه عليهما السلام: سلبه مالك بن بشير الكندي فصار معتوهاً.

٧ – نعلاه عليهما السلام: سلبه الأسود بن خالد.

٨ – خاتمه الشريف عليهما السلام: سلبه بحدل بن سليم الكلبي، وقد قام هذا الكلبي بقطع إصبع الحسين عليهما السلام ليتمكن من سلب الخاتم.

٩ – قطيفة الحسين عليهما السلام: سلبه قيس بن الأشعث الكندي وهو أخو جعدة بنت الأشعث قاتلة الحسن عليهما السلام.

١٠— درعه عليهما البتراء: سلبها عمر بن سعد، وهذه الدرع كانت هي الجائزة التي أخذها بعد مدة قاتل عمر بن سعد.

١١— سيفه عليهما، وهو غير ذي الفقار، سلبه جميع بن الحلق الأزدي وقيل غيره.

١٢— ثوبه عليهما: سلبه أخي لإسحاق بن حويه الحضرمي.

١٣— قوسه عليهما، سلبه الرجل بن خيثمة الجعفي.

١٤— وانهبه الناس ورساً كان في متاع الحسين عليهما فما تطيبت به امرأة إلا ببرست.

١٥— جماله عليهما: ونهبت جمال الحسين عليهما، وذكروا أن أبو الجنوب لعنه الله وهو عبد الرحمن بن زياد بن زهير بن خنساء بن كعب بن الحارث بن سعد بن ناجية بن مالك بن حريم بن جعفى بطن من جعفى شهد قتل الحسين عليه السلام وأخذ جملًا من جماله، وبلغ من عظيم لؤمه ونصبه أنه كان يستقي الماء على هذا الجمل ويسميه حسينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٤- رض ضلوع الحسين عليهما وأصحابه:

ثم بعد ذلك جعلوا الجثث جمِيعاً على صعيد الأرض ونادي عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين عليهما فيوطئ الخيل ظهره ؟ فانتدب منهم عشرة هم:

١- اسحاق بن حويه.

٢- أخنس بن مرثد.

٣- حكيم بن الطفيلي السنسي.

٤- عمرو بن صبيح الصيداني.

٥- رجاء بن منقذ العبدى.

٦- سالم بن خيثمة الجعفي.

٧- وجحظ بن ناعم.

٨- صالح بن وهب الجعفي.

٩- هاني بن ثبيت الحضرمي.

١٠- أسيد بن مالك.

فقاموا كلهم فdasوا الحسين عليهما السلام بحوار خيلهم حتى رضوا ظهره وصدره، ثم أقبلوا جميعهم مفتخرین إلى أمیرهم عبید الله بن زیاد في الكوفة يتقدّمهم أسيد بن مالک فقال بر تجز:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر
 بكل يعبوب شديد الأسر

قال عبید الله بن زیاد: من أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين عليهما السلام حتى طحنا جناجن صدره، طمعاً بجازة عبید الله بن زیاد الذي أمر لهم بجازة يسيرة.

قال أبو عمر الزاهد: نظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدنهم جميعاً أولاد زنا.

ولأنهم كانوا جفاة مجرمين لا محل للرحمة في قلوبهم كانوا يفعلون ذلك بمرأى من نساء الحسين عليهما السلام وبنته كما شهدت بذلك فاطمة الصغرى بنت الحسين عليهما السلام التي شاهدت الخيول تجول على جسد أبيها وأصحابه، وقد روى رضي الله عنهم أن جسد الحسين عليهما السلام جماعة منهم علي بن أسباط.

لكن العلامة المجلسي وجماجمة من العلماء رضوان الله عليهم استعظموا هذا الحدث الفظيع وما لوا إلى إنكاره وعملوا برواية رواها الكافي بسنده عن إدريس بن عبد الله الأولي أن القوم لما أرادوا أن يوطئوه الخيل قدم أسد حتى وضع يديه على جسد الحسين عليهما السلام فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد: فتنة لا تثيروها إنصرفوها فانصرفوا.

أقول: والذي أميل إليه هو صحة أخبار رضي الله عنهم أن جسد الحسين عليهما السلام ورد هذه الرواية فإنها غير منسوبة إلى الإمام ولا مشهورة ولا سوغها الإفهام فإن الأهوال التي جرت على الحسين عليهما السلام وعترته أعظم من رضي الله عنه ضلوعه بحواري الخيول وكل ذلك لم يمنعه الله تعالى بمعجز قدرته، على أن أخبار رضي الله عنهم أن جسد الحسين عليهما السلام كثيرة كما تقدم.

ومن مصادب ذلك الزمن الأسود أن بعض هذه الخيول التي وطأت جسد الحسين عليهما السلام وصلت إلى بلاد مصر فتبركوا بها فقلعوا نعالها من حوارتها وسمروها على أبواب بيوتهم

تبرّكاً بها، ثم صار ذلك سنة فصاروا يعلمون نظيرها ويعلقونها على أبواب بيوتهم تبرّكاً، وما زالت هذه السنة جارية إلى الآن إلا أن من يعملها لا يعلم ما هو أساس هذه السنة.

٥- ترك أجساد الشهداء:

ثم إن أعداء الله تعالى بقوا في كربلاء إلى زوال يوم الحادي عشر من المحرم فجمعوا قتلهم وصلوا عليهم ودفونهم، ثم حملوا السبايا والأسرى وتركتوا أجساد الشهداء الأبرار مجردة عارية بلا رؤوس مرممة بدمائهما على تراب الأرض تحت أشعة الشمس تسفلها الرياح زعموا أنأكلها الطير والعقبان ووحش الفلووات، فسارت قافلة السبايا والأسرى وهي ينظرون هذا المنظر الفظيع، قال علي بن الحسين عليهما السلام يصف هذا المنظر ووقعه على قلبه:

إنه لما أصابنا بالطفـ ما أصابنا وقتل أبي عليـ وقتـل من كان معه من ولده وأخوته وسائر أهله وحملـت حرمـه ونسـاؤه على الاقتـاب يرادـنا الكـوفـة فجعلـت أنـظر إـليـهم صـرـعـيـ وـلمـ يوارـواـ فيـ عـيـطـمـ ذـلـكـ فـيـ صـدـريـ وـيـشـتـدـ لـمـ أـرـىـ مـنـهـ قـلـقـيـ فـكـادـتـ نـفـسيـ تـخـرـجـ، وـتـبـيـنـتـ ذـلـكـ مـنـيـ عـمـتـيـ زـينـبـ بـنـتـ عـلـيـ الـكـبـرـيـ فـقـالـتـ: مـاـلـيـ أـرـاكـ تـجـودـ بـنـفـسـكـ يـاـ بـقـيـةـ جـدـيـ وـأـبـيـ وـأـخـوـتـيـ؟ فـقـلـتـ: وـكـيـفـ لـاـ أـجـزـعـ وـأـهـلـعـ وـقـدـ أـرـىـ سـيـدـيـ وـأـخـوـتـيـ وـعـمـومـتـيـ وـوـلـدـ عـمـيـ وـأـهـلـيـ مـضـرـجـيـنـ بـدـمـائـهـمـ مـرـمـلـيـنـ بـالـعـرـاءـ مـسـلـيـنـ لـاـ يـكـفـنـوـنـ لـاـ يـوـارـوـنـ لـاـ يـعـرـجـ عـلـيـهـمـ أـحـدـ وـلـاـ يـقـرـبـهـمـ بـشـرـ كـأـنـهـمـ أـهـلـ بـيـتـ مـنـ الدـيـلـمـ وـالـخـزـرـ.. الـحـدـيـثـ.

وقد روى بعض العامة ومنهم يعقوب الفسوبي ياسناده القوي عن شقيق بن سلمة، وذكر حديثاً وفيه كتاب عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية وفيه:... وقد قتلت حسينا رضي الله عنه وفيه عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرمليين بالدماء، مسلوبين بالعراء، لا مكفينين، ولا مسددين، تسفلوا عليهم الرياح، وتغزوهم الذئاب والسباع، وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح لهم الله عز وجل بقوم لم يشركوا في دمائهم كفتوهم وأجنوهم، وببي والله وبهم جلست مجلسك^(١).

٦- دفن الجثث:

وبقيت الجثث كذلك إلى اليوم الثاني عشر حتى جاء قوم من بني أسد من أهل الغاضرية ورد مدحهم في بعض الأخبار^(٢) فجمعوا الجثث الطواهر وصلوا عليها ودفونها كما هي عليه الآن.

(١) المعرفة والتاريخ ج ١ ص ٢٩١، أخبار الدولة العباسية ص ٨٦ بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٣

(٢) وقد جاء في الخبر الذي روی عن زین العابدین عليه السلام يذكر كيفية دفن الحسين عليهما السلام ومن معه من الشهداء الأبرار

، ويدرك أحوال القبر الشريف وصبرورته علما للدين ، وهو خبر كريم طويل أحبيب ذكره بطوله لما فيه من الفوائد : روی في هامش كتاب كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه ياسناده عن نوح بن دراج ، قال : حدثني قدامة بن زائدة ، عن أبيه ، قال : قال علي بن الحسين (عليهما السلام) : بلغني يا زائدة انك تزور قبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) أحيانا ، قلت : إن ذلك لكما بذلك ، فقال لي : فلماذا تفعل ذلك ولنك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا ، قلت : والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني سبيه ، فقال : والله إن ذلك لكذلك ، قلت : والله إن ذلك لكذلك - يقولها ثلاثا وأقولها ثلاثا - فقال : أبشر ثم أبشر ، فأأخيرتك بغير كان عندي في التنبخ المخزون : فإنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي (عليه السلام) وقتل من كان معه من ولده وآخواته وسائر أهله ، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت انظر إليهم صرعي ولم يواروا ، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم فلققي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتى زينب الكبرى بنت علي ، فقالت : مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأختي ، فقالت : وكيف لا أجزع وأهلن وقد أري سيدي وأختي وعمومتي وولد عمي وأهلي مصر جين بدمائهم ، مرملين بالعرى ، مسلبين ، لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم أحد ، ولا يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الدليم والآخر ، فقالت : لا يجزعنك ما ترى فالله أن ذلك لمهد من رسول الله ﷺ إلى جدك وأبيك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنate هذه الأمة ، وهم معروفوون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسم المضمرة وينصبون بها الطف علما القبر أبيك سيد الشهداء ، لا يدرس أثره ولا يغفر رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر وأتباع الضلالة في محوه وتطمسه ، فلا يزداد أثره إلا ظهورا ، وأمره إلا علىوا . قالت : وما هذا المهد وما هذا الخبر ، فقالت : نعم حدثتني أم أيمن ان رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة عليهما السلام في يوم من الأيام ، فعملت له حريرة وأتاه علي (عليهما السلام) بطريق فنه تمر ، ثم قالت أم أيمن : فاتتهم بعس فيه لbin وزيد ، فأكل رسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله ﷺ شرابا من ذلك اللبن ، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزيد ، ثم غسل رسول الله ﷺ يده وعلي يصب عليه الماء ، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظرا عرفنا به السرور في وجهه ، ثم رمق بطرفه نحو السماء مليا ، ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ، ثم خر ساجدا وهو ينشج ، فأطأط الشرج وعلا نحيبه وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر ، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله ﷺ ، وهبنا ان نسألة ، حتى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة : ما يكفيك يا رسول الله لا أبكي الله عينيك ، فقد أترح قلوبنا ما نرى من حalk ، فقال : يا أخي سررت بكم - وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه ها هنا : فقال : يا حبيبي - إني سررت بكم سرورا ما سررت مثله قط ، وإنني لأنظر إليك وأحمد الله على نعمته فيكم إذ هبط علي جبريل عليهما السلام فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى أطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتهك وبسطيك فاكمل لك النعمه وهنالك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبיהם وشيعتهم معك في الجنة ، لا يفرق بينك وبينهم ، يُحبّون كما تُحّبّي ، ويُعطّون كما تُعّطي ، حتى ترضي وفوق الرضا على بلاوى كثيرة تالمهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس يتحلون ملتك ويزعمون أنهم من أملك براء من الله ومنك ، خططا خططا ، وقتلا قتلا ، شتى مصارعهم ، نائية قبورهم ، خيرة من الله لهم ولنك فيهم ، فاحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه ، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم . ثم قال لي جبريل : يا محمد ان أخاك مضطهد بعدك ، مغلوب على أمرك ، متغوب من أعدائك ، ثم مقتول بعدك ، يقتلها أشر الخلق والخلقة وأشقي البرية ، يكون نظير عاقر الناقة ، يلد تكون إليه هجرته ، وهو مغرس شعنه وشيعة ولده ، وفيه على كل حال يكثربلاهم ويعظم مصابهم ، وان

سبطك هذا - وأومن بيده إلى الحسين (عليه السلام) - مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخبار من أمتك بصفة الغرات بأرض يقال لها : كربلاء ، من أجلها يذكر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينضي كربه ولا تفني حسرته ، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة ، وإنها من بطحاء الجنة ، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت به كتاب أهل الكفر واللعنـة تزعمـت الأرض من أنظارها ، ومادت الجبال وكثـر اضطرابها ، واصطفـت البحـار بأمواجـها ، وماجـت السـماوات بأهـلها غـضـباً لـك يا مـحمد ولـذـريـتك ، واستعـظامـاً لـما يـتـنهـكـ من حـرمـتكـ ، ولـشـ ما تـكـافـيـ بهـ فيـ ذـريـتكـ وـعـترـتكـ ، ولا يـقـيـ شـئـ منـ ذـلـكـ الاـ استـاذـنـ اللهـ عـزـ وجـلـ فيـ نـصـرـ أـهـلـكـ المـلـطـولـمـينـ ، الذـينـ هـمـ حـجـةـ اللهـ عـلـىـ خـلـقـهـ بـعـدـكـ . فيـوحـيـ اللهـ إـلـىـ السـماـواتـ وـالـأـرـضـ وـالـجـيـالـ وـالـبـحـارـ وـمـنـ فـيهـ : أـنـيـ آـنـاـ اللـهـ الـمـلـكـ الـقـادـرـ الـذـيـ لـاـ يـفـوـتـهـ هـارـبـ وـلـاـ يـعـجزـهـ مـعـتـنـعـ ، وـاـنـاـ أـقـدـرـ فـيـ عـلـىـ الـاـنـتـصـارـ وـالـاـنـتـقـامـ ، وـعـزـتـيـ وـجـالـلـيـ لـأـعـذـبـنـ مـنـ وـتـرـ رـسـوـلـيـ وـصـفـيـ ، وـاـنـتـهـكـ حـرمـتـهـ وـقـتـ عـرـتـهـ وـبـنـدـ عـهـدـهـ وـظـلـمـ أـهـلـ بـيـتـهـ عـذـابـاـ لـأـعـذـبـهـ أـحـدـاـ مـنـ الـعـالـمـينـ ، فـعـنـدـ ذـلـكـ يـضـعـ كـلـ شـئـ فـيـ السـماـواتـ وـالـأـرـضـ بـلـعـنـ منـ ظـلـمـ عـرـتـكـ وـاسـتـحلـ حـرمـتكـ ، إـنـاـ بـرـزـتـ تـلـكـ الـعـصـابـةـ إـلـىـ مـضـاجـعـهـاـ تـولـيـ اللـهـ عـزـ وجـلـ قـبـضـ أـرـوـاحـهـ بـيـدـهـ ، وـهـبـطـ إـلـىـ الـأـرـضـ مـلـانـكـةـ مـنـ السـمـاءـ السـابـعـةـ مـعـهـمـ آـيـةـ مـنـ الـيـاقـوتـ وـالـزـمـرـدـ مـلـوـءـ مـنـ مـاءـ الـجـيـاهـ ، وـحـلـ مـنـ حـلـلـ الـجـيـاهـ وـطـبـ مـنـ طـبـ الـجـيـاهـ ، فـغـلـوـ جـيـثـهـ بـذـلـكـ الـمـاءـ وـالـبـسـوـهـ الـحـلـلـ ، وـحـنـطـوـهـ بـذـلـكـ الـطـيـبـ صـلـتـ الـمـلـانـكـةـ صـفـاـ صـفـاـ عـلـيـهـمـ ، ثـمـ يـعـثـ اللـهـ قـوـمـاـ مـنـ أـمـكـ لـاـ يـعـرـفـهـمـ الـكـفـارـ لـمـ يـشـرـكـواـ فـيـ تـلـكـ الـدـمـاءـ بـقـولـ وـلـاـ فـعـلـ وـلـاـ نـيـةـ ، فـيـوارـوـنـ أـجـسـامـهـمـ وـيـقـيـمـونـ رـسـماـ لـقـبـرـ سـيدـ الشـهـادـةـ بـتـلـكـ الـبـطـحـاءـ ، يـكـوـنـ عـلـىـ أـهـلـ الـحـقـ وـسـيـاـلـاـلـمـؤـمـنـ إـلـىـ الـفـوزـ ، وـتـحـفـهـ مـلـانـكـةـ مـنـ كـلـ سـمـاءـ مـائـةـ الـفـ مـلـكـ فـيـ كـلـ يـومـ وـلـيـلـةـ ، وـبـصـلـوـنـ عـلـيـهـ وـيـسـبـحـونـ اللـهـ عـنـهـ ، وـيـسـتـغـفـرـوـنـ اللـهـ لـمـ زـارـهـ ، وـيـكـتـبـوـنـ أـسـمـاءـ مـنـ يـأـتـيـهـ زـارـاـ مـنـ أـمـكـ مـتـقـرـبـاـ إـلـىـ اللـهـ عـالـىـ وـالـيـكـ بـذـلـكـ ، وـأـسـمـاءـ آـبـانـهـ وـعـشـائرـهـ وـبـلـدـانـهـ ، وـبـيـوسـمـونـ فـيـ وـجـوهـهـمـ بـعـيـسـمـ نـورـ عـرـشـ اللـهـ : هـذـاـ زـارـ قـبـرـ الشـهـادـةـ وـابـنـ خـيرـ الـأـنـبـيـاءـ . فـإـذـاـ كـانـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ سـطـحـ فـيـ وـجـوهـهـمـ مـنـ اـثـرـ ذـلـكـ الـمـسـيـسـ نـورـ تـغـشـيـهـ مـنـ الـاـبـصـارـ يـدـلـ عـلـيـهـمـ وـبـعـدـونـ بـهـ ، وـكـأـنـيـ بـكـ يـاـ مـحـمـدـ بـيـنـ مـيـكـاـنـيـلـ وـعـلـىـ اـمـاـنـاـ ، وـمـعـنـاـ مـنـ مـلـانـكـةـ اللـهـ مـاـ لـاـ يـحـصـيـ عـدـهـمـ ، وـنـحـنـ نـلـقـطـ مـنـ ذـلـكـ الـمـسـيـسـ فـيـ وـجـهـهـ مـنـ بـيـنـ الـخـلـاقـ ، حـتـىـ يـنـجـيـهـمـ اللـهـ مـنـ هـوـلـ ذـلـكـ الـيـومـ وـشـدـائـهـ ، وـذـلـكـ حـكـمـ اللـهـ وـعـطاـوـهـ لـمـ زـارـ قـبـرـكـ يـاـ مـحـمـدـ أـوـ قـبـرـ أـجـبـكـ أـوـ قـبـرـ سـبـطـكـ لـاـ يـرـيدـ بـهـ غـيرـ اللـهـ عـزـ وجـلـ ، وـسـيـجـتـهـدـ أـنـاسـ مـنـ حـقـتـ عـلـيـهـمـ اللـعـنـةـ مـنـ اللـهـ وـالـسـلـخـ انـ يـعـفـوـرـ سـمـمـ ذـلـكـ الـقـبـرـ وـيـمـحـواـ اـثـرـهـ ، فـلـاـ يـجـعـلـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ لـهـ إـلـىـ ذـلـكـ سـبـيلـاـ . ثـمـ قـالـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ : فـهـذـاـ أـبـكـانـيـ وـأـحـزـنـتـيـ ، قـالـتـ زـيـبـ بـنتـ قـتـلـةـ : فـلـمـ ضـرـبـ اـبـنـ مـلـجـمـ لـعـنـهـ اللـهـ أـبـيـ قـتـلـةـ وـرـأـيـتـ عـلـيـهـ اـثـرـ الـمـوـتـ مـنـهـ ، قـلتـ لـهـ : يـاـ أـبـةـ حـدـثـتـيـ أـمـ يـمـنـ بـكـداـ وـكـذاـ وـقـدـ أـحـبـتـ اـنـ أـسـمـهـ مـنـكـ ، قـالـ : يـاـ بـيـنـةـ الـحـدـيـثـ كـمـ حـدـثـكـ أـمـ يـمـنـ ، وـكـأـنـيـ بـكـ وـبـسـاءـ أـهـلـكـ سـيـاـ بـهـذـاـ الـبـلـدـ أـذـلـاءـ خـاـشـيـنـ ، تـخـافـوـنـ أـنـ يـتـخـفـكـمـ النـاسـ ، فـصـبـرـاـ صـبـراـ ، فـوـالـذـيـ فـلـقـ الـجـيـةـ وـبـرـأـ النـسـمـةـ مـاـ مـاـ عـلـىـهـ الـأـرـضـ يـوـمـنـ وـلـيـ غـيرـكـمـ وـغـيرـ مـحـيـكـمـ وـشـيـعـتـكـمـ ، وـلـقـدـ قـالـ لـنـاـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ حـينـ أـخـبـرـنـاـ بـهـذـاـ الـخـبـرـ : اـنـ إـبـلـسـ لـعـنـهـ اللـهـ فـيـ ذـلـكـ الـيـومـ يـطـيرـ فـرـحـاـ فـيـ جـوـلـ الـأـرـضـ كـلـهـ بـشـيـاطـيـنـهـ وـعـفـارـيـتـهـ ، فـيـقـولـ : يـاـ مـاعـشـ الشـيـاطـيـنـ قـدـ أـدـرـكـاـ مـنـ ذـرـيـةـ آـدـمـ الـطـلـبـةـ وـبـلـغـاـ فـيـ هـلـاكـهـمـ الـغـاـيـةـ وـأـوـرـثـاـهـمـ النـارـ إـلـاـ مـنـ اـعـتـصـمـ بـهـذـهـ الـعـصـابـةـ ، فـاجـلـوـ شـغـلـكـمـ بـتـشـكـيـلـ النـاسـ فـيـهـمـ وـحـلـمـهـمـ عـدـاـوـتـهـمـ وـاغـرـائـهـمـ بـهـمـ وـأـوـلـائـهـمـ حـتـىـ تـسـتـحـكـمـ ضـلـالـةـ الـخـلـقـ وـكـفـرـهـمـ وـلـاـ يـنـجـوـهـمـ نـاجـ ، وـلـقـدـ صـدـقـ عـلـيـهـمـ إـبـلـسـ وـهـوـ كـذـوبـ ، اـنـهـ لـاـ يـنـفعـ مـعـ عـدـاوـتـكـمـ عـلـىـ صـالـحـ لـاـ يـضـرـ مـعـ مـحـبـكـمـ وـمـوـالـتـكـمـ ذـنـبـ غـيرـ الـكـبـارـ ، قـالـ زـانـهـ : ثـمـ قـالـ عـلـىـ بـنـ الحـسـينـ (عـلـيـهـمـ السـلامـ) بـعـدـ أـنـ حـدـثـتـ بـهـذـاـ الـحـدـيـثـ : خـذـهـ إـلـيـكـ مـاـ لـوـ ضـرـبـتـ فـيـ طـلـبـ آـبـاطـ الـأـبـلـ حـوـلـاـ لـكـانـ قـلـيـلاـ . أـقـولـ : تـأـمـلـ كـثـيرـاـ رـحـمـكـ اللـهـ عـالـىـ بـقـبـرـ الـكـبـارـ ، قـالـ زـانـهـ : (وـيـنـصـبـونـ بـهـذـاـ الـطـفـ عـلـمـاـ لـقـبـرـ أـبـيـكـ سـيدـ الشـهـادـةـ) عـلـىـ بـنـ الحـسـينـ (عـلـيـهـمـ السـلامـ) لـاـ يـدـرـسـ أـثـرـهـ ، وـلـاـ يـعـفـوـرـ سـمـمـ عـلـىـ كـرـورـ الـلـيـاليـ وـالـأـيـامـ ، وـلـيـجـتـهـدـ أـنـمـةـ الـكـفـرـ وـأـشـاعـ الـفـسـلـالـةـ فـيـ مـحـوـهـ وـتـطـمـيـسـهـ فـلـاـ يـزـدـادـ أـثـرـهـ إـلـاـ ظـهـرـهـ وـأـمـرـهـ إـلـاـ عـلـوـهـ) . وـلـقـدـ أـثـبـتـ تـارـيخـاـنـاـ الـحـاضـرـ وـالـقـدـيمـ مـنـ وـخـلـالـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـ وـثـلـاثـ

وفي الخبر الذي رواه الكشي بسنده عن بعض أصحابنا عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال له بعض الناس الذين هم من الواقفة على أبيه موسى الكاظم عليه السلام: إنّا روينا عن آبائك إن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله، فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً أو غير إمام، فقال هذا الواقفي: كان إماماً، قال عليه السلام: فمن ولـي أمره، قال: علي بن الحسين عليه السلام، قال عليه السلام: وأين كان علي بيـ الحسين عليهـ كان محبوساً في يـ عـيد الله بن زـيـاد، قال الواقفي: خـرج وـهم كانوا لا يـعلـمـون حتى ولـي أمرـيـهـ ثم اـنـصـرـفـ، قال الرضا عليهـ إنـهـ الـذـيـ أـمـكـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ عـلـيـهـ أـنـ يـأـتـيـ كـرـبـلاـ فـيلـيـ أـمـرـيـهـ فـهـوـ يـمـكـنـ صـاحـبـ هـذـاـ الـأـمـرـ أـنـ يـأـتـيـ بـغـدـادـ وـيلـيـ أـمـرـيـهـ.

وكما ترى فإن الرضا عليه السلام في هذا الخبر قد قبل ما قاله الواقفي من أن علي بن الحسين عليهـ هو الذي دفن أباـهـ الحـسـنـ عـلـيـهـ بلـ فيـ كـلـامـ الرـضـاـ عـلـيـهـ ماـ هوـ كالـصـرـيـحـ بـذـلـكـ.

وفي بعض الأخبار أنه لما وصل زين العابدين عليهـ إلى عرصة كربلاء يوم الثالث عشر من المحرم وجد هناكبنيـ أـسـدـ وـهـمـ مجـتمـعـونـ لـدـفـنـ الـأـجـسـادـ إـلـاـ إـنـهـمـ مـتـحـيـرـونـ لـاـ يـدـرـونـ ماـ يـصـنـعـونـ لـأـنـهـمـ عـاجـزـوـنـ عـنـ مـعـرـفـةـ أـصـحـابـ الجـثـ لـأـنـهـاـ بـلـ رـفـوـسـ، فـأـخـبـرـهـمـ عـلـيـهـ بـأـمـرـهـ وـعـرـفـهـمـ بـأـسـمـاءـ الـأـجـسـادـ وـمـيـزـ لـهـمـ الـهـاشـمـيـنـ مـنـ الـأـصـحـابـ فـارـتـفـعـ الـبـكـاءـ وـالـعـوـيلـ وـسـالـتـ الـدـمـوـعـ كـلـ مـسـيلـ، ثـمـ مـشـىـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ عـلـيـهـ إـلـىـ جـسـدـ... فـاعـتـنـقـهـ وـبـكـيـ بـكـاءـ لـمـ يـبـكـ مـثـلـهـ، وـإـذـاـ هـوـ جـسـدـ أـبـيـ عـلـيـهـ.

فـبـطـ كـفـيـهـ تـحـ ظـهـرـهـ وـقـالـ: بـسـمـ اللـهـ، وـفـيـ سـبـيلـ اللـهـ، وـعـلـيـ مـلـةـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ، صـدـقـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ، مـاـ شـاءـ اللـهـ، لـاـ حـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ الـعـظـيمـ، ثـمـ أـنـزلـهـ فـيـ قـبـرـهـ وـحـدـهـ وـأـبـيـ أـنـ يـشارـكـهـ أـحـدـ مـنـ بـنـيـ أـسـدـ، وـقـالـ لـهـمـ: إـنـ مـعـيـ مـنـ يـعـيـنـيـ، وـنـزـلـ مـعـهـ فـيـ لـحـدـهـ ثـمـ وـضـعـ خـدـهـ عـلـىـ مـنـحرـهـ الشـرـيفـ ثـمـ قـالـ: طـوـبـيـ لـأـرـضـ تـضـمـنـتـ جـسـدـ الـطـاهـرـ فـإـنـ الدـنـيـاـ بـعـدـكـ مـظـلـمـةـ وـالـآـخـرـةـ بـنـورـكـ مـشـرـقـةـ، أـمـاـ الـلـيـلـ فـمـسـهـدـ وـالـحـزـنـ سـرـمـدـ أـوـ يـخـتـارـ اللـهـ لـأـهـلـ بـيـتـكـ دـارـكـ التـيـ أـنـتـ بـهـ مـقـيمـ، وـعـلـيـكـ مـنـيـ السـلـامـ يـاـ بـنـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ، ثـمـ بـعـدـ أـنـ أـنـتـيـ مـنـ تـسوـيـةـ الـقـبـرـ كـتـبـ عـلـيـهـ:

هـذـاـ قـبـرـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ الـذـيـ قـتـلـوـهـ عـطـشـانـاـ غـرـيـباـ. ثـمـ مـشـىـ إـلـىـ بـدـنـ عـمـهـ الـعـابـدـيـ فـارـتـمـيـ عـلـيـهـ يـقـبـلـ مـنـحرـهـ الشـرـيفـ وـهـوـ يـقـوـلـ: عـلـيـ الدـنـيـاـ بـعـدـكـ العـفـاـ يـاـ

مائـةـ وـخمـسـيـنـ سـنـةـ بـعـدـ هـذـاـ خـبـرـ الـكـرـيـمـ صـحـةـ مـاـ ذـكـرـتـهـ زـيـنـبـ عـلـيـهـ السـلـامـ، وـهـذـاـ مشـهـدـ الـحـسـنـ فـيـ كـرـبـلاـ بـشـمـوخـهـ وـخـشـعـ مـلـاـيـنـ الزـائـرـيـنـ فـيـ حـضـرـتـهـ شـاهـدـ صـدـقـ عـلـيـهـ ذـلـكـ، وـالـحـمـدـ لـهـ تـعـالـيـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ.

قمر بنى هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته، وفعل معه ما فعله مع أبيه فأنزله في لحده وحده. ثم أمرهم فحفروا حفرتين وضع في الأولى بنى هاشم وفي الثانية بقية الأصحاب.

وفي رواية عن الباقي عليه السلام عن علي بن الحسين عليه السلام أن جون مولى أبي ذر الغفارى وهو أسود اللون عثروا عليه بعد عشرة أيام فوجدوه يفوح منه رائحة المسك أقول: وعلى هذا فيكون جون هو الوحيد الذى تأخر دفنه عشرة أيام ولعله تحقيقاً لدعاء الحسين عليه السلام بقوله: اللهم يض وجهه وطيب ريحه، والله العالم.

٧- جسد مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة

من المعلوم لكل أحد أن مسلم بن عقيل صلوات الله عليه قد استشهد يوم التروية أو يوم عرفة قبل استشهاد الحسين عليه السلام بحوالي الشهر، وكان شأنه أن عبيد الله بن زياد أمر ب��ير بن حمران الاحمرى فأخذ مسلم فاصعده على القصر فكان مسلم يكبر ويسبح ويستغفر، واشرف به على موضع الجرارين فقال مسلم: اللهم احكم بيننا وبين قوم كذبونا وغروننا وخذلنا وقتلنا فضرب عنقه ورمى برأسه من أعلى القصر ثم اتبع جسده رأسه، ويروى الإسفرايني أنهم ألقوه من أعلى القصر حياً قبل قطع رأسه فوقع على أم رأسه فمات ثم قطعوا رأسه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أمر في نفس اليوم بسيد النخع هانى بن عروة المرادي وكان رجلاً جليلاً عمره تسعون عاماً فسحبوه إلى الكنasse قتلواه وصلبوه هناك، وقيل ضربت عنقه في سوق المعزى والغنم.

ثم إنه لعنه أمر جلاوزته بربط الجسدين بحبال، ثم قاموا بجرها وسحبها على الأرض في الأسواق والمسكك أمام الناس يتباھون ويعلنون نصر أميرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا المشهد المهيب عرضه الشاعر عبد الله بن الزبير الاسدي، فقال:

إذا كنت لا تدررين ما الموت فانظري	الى هاني في السوق وابن عقيل
الى بطل قد هشم السيف وجهه	وآخر يهوى من طمار قتيل
اصابهما أمر الامير فاصبحا	احاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسد قد غير الموت لونه	ونصح دم قد سال كل مسيل

وذكرت بعض الأخبار أنه لعنه الله تعالى أمر فصلب الجسدتين الشريفيين بالكتنasse، وقال الموقف الخوارزمي الحنفي وابن الأعشن أن رجلا من الكوفة قال للحسين عَلَيْهِ الْكَفَرُ وَاللهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ مَتَّلِّكُ الْكَوْفَةِ، ما خرجت من الكوفة حتى نظرت إلى مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة المذحجي قتيلين جمعياً مصلوبين منكسين في سوق القصابين.

وفي بالي أنه تم نقلهما بعد حين فصلبهما منكسين على طرف باب مسجد الكوفة يسار المتجوّه إلى القبلة، وبقيا مصلوبين على باب المسجد حتى خرج المختار فأنزلهما ودفنهما على جانبي مسجد الكوفة كل واحد على جانب وهو مزارهما اليوم.

-٨- بعث رأس مسلم إلى يزيد

وقد اجتمعت الأخبار على أن عبيد الله بن زياد قد بعث برأس مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة إلى يزيد بن معاوية، وذكر البلاذري وغيره أن عمارة بن صلحب الأزدي كان من خرج يزيد نصرة مسلم فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به فأمر به فضربت عنقه في الأزد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانىء بن عروة المرادي إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس الثلاثة هانىء بن أبي حية الواadiي الهمداني والزبير بن الأروح التميمي أحد بنى مالك بن سعد.

وتذكر الأخبار أن عبيد الله بن زياد كتب إلى يزيد:

أما بعد: فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنة عدوه، اخبر أمير المؤمنين أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانىء بن عروة المرادي، وإنني جعلت عليهما المراصد والعيون، ودست إليهما الرجال وكدت بهما حتى أخرجهما وأمكن الله منها، فقد مرت بهما وضررت أعناقهما، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هانىء بن أبي حية الواadiي والزبير بن الأروح التميمي، هما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليس لهما أمير المؤمنين عما أحب من أمرهما فإن عندهما علما وورعا وصدقا، والسلام.

فلما وصل إلى يزيد فرح فرحاً عظيماً وخلع عليهما الخلع السنية وكتب إلى ابن زياد:

أما بعد فإنك لم تعد أن كنت كما أحب عمل العازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، وقد أغنت وصدق ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك، وسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت، فاستوص بهما خيراً، وإنه

قد بلغني أن حسينا قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالع، واحترس واحبس على
الظنة، وأقتل على التهمة، واكتب إلي في كل يوم ما يحدث من خبر إن شاء الله تعالى.
وفي خبر آخر أنه كان في كتاب يزيد إليه: ولا تتوسد بوسادة ولا تشبع بزاد حتى تقتله
وترسل إلى رأسه ورؤوس من معه.

الباب الثاني

الرؤوس في الكوفة

١- إرسال الرؤوس إلى الكوفة:

ثم إنَّ عمر بن سعد استعجل إرسال رأس الحسين عليه السلام وبقية الرؤوس إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة فأرسلها عصر يوم عاشوراء نفسه مع بعض أصحابه وبقي هو في كربلاء مع بقية الجيش، وكأنَّ عمر بن سعد كان يريد المبادرة لإرضاء أميره برؤية رأس الحسين عليه السلام ولم يكتف بمجرد تعجيل البشير بالخبر.

ولهذا فإنه بعث برأس الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبهني وحميد بن مسلم الأزدي وبعث ببقية الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحاجاج.

وكان خولي بن يزيد حامل رأس الحسين عليه السلام رجلاً فاجراً جباراً كان اذا نزل ليستريح جعل يشرب ويتبجح بالرأس أمام أصحابه، ويروى أنه وصل إلى الكوفة ليلاً فوجد قصر الإمارة مغلاقاً فأتاها بالرأس إلى منزله على بعد فرسخ من الكوفة فدخل بالرأس الشريف على أمرأته النوار الحضرمية، ويقال العيوف الانصارية، فآتى به إلى فراشها، فقالت له: ما الخبر؟ فقال لها: جئتكم بالذهب، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار، فقالت له: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس الحسين بن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، والله لا يجمع رأسي ورأسك وسادة أبداً، قالت النوار: فقمت من فراشي فخررت إلى الدار فما زلت والله أنظر إلى نور مثل العمود يسطع من الإجابة التي فيها رأس الحسين عليه السلام إلى السماء ورأيت طيوراً بيضاء ترفرف حولها وحول الرأس.

أقول: وهذا الخبر رواه أهل السنة في كتبهم.

كما يظهر من بعض الاخبار المعتبرة أنَّ رأس الحسين عليه السلام قد وصل إلى موضع قريب من مرقد أبيه علي عليه السلام وهذا الخبر يرويه المفضل يقول: جاز مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

بالقائم المايل في طريق الغري، فصلى عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ قال: هذا موضع رأس جدي الحسين عليه السلام وضعوه هنا، ويظهر في بعض الأخبار أن هذا كان اثناء مسيرة العودة من كربلاء إلى الكوفة.

أقول: الظاهر أن القائم المايل هو معروف الآن في مدينة النجف الأشرف وهو مشهور وأصبح مسجداً تقصد الناس للتبرك به ويسمى (مسجد الحنّة)، ويروى عن الصادق عليه السلام في سبب تسميته بالقائم المايل فقال عليه السلام: إنه لما جازوا بسرير أمير المؤمنين عليه السلام انحنى أسفًا وحزنًا على أمير المؤمنين عليه السلام.

وروى أبو القاسم الطبراني من شيخ العامة بإسناده عن أبي قبيل، قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما إحتزوا رأسه وقعدوا في أول مرحلة يشربون النبيذ يتحمّون بالرأس فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب بسطر دم:

شفاعة جده يوم الحساب

أترجوا أمة قتلت حسينا

فهربوا وتركوا الرأس ثم رجعوا.

وروى جماعة من محدثي العامة كالطبراني وابن عساكر وغيرهم أن هذا البيت من الشعر وجده المسلمون من أشياخبني سليم في إحدى غزواتهم مكتوباً في إحدى كنائس النصارى في بلاد الروم، فسألوا أهلها: متى كُم وجدتم هذا الكتاب في هذه الكنيسة، فقالوا قبل أن يخرج نبيكم بستمائة عام، وفي بعض المتنون ثلاث مائة عام.

ثم إن الرؤوس الطاهرة بقيت في الكوفة ولا يحدها المؤرخون عن مكان وضعها قبل مجئي السبايا إلى الكوفة إلا أن الثابت أن الرؤوس الطاهرة قد وصلت إلى الكوفة قبل وصول السبايا ثم عادوا وأظهرواها حين قدوم السبايا وذلك احتفالاً بدخول الرؤوس مع السبايا، كما سيأتي أن الرأس الشريف كان يتقدم قافلة السبايا حين دخولهم الكوفة وكان على رمح طويلاً قد لاحت شواريه والنور يخرج من فيه ساطعاً إلى عنان السماء. وفي الخبر أن السبايا عند وصولهم إلى الكوفة فيما كانت أم كلثوم تخاطبهم فإذا بضجة قد ارتفعت فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولحيته كسوداد السيج (حجر شديد السوداد) قد انتصل منها الخضاب ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً، وهكذا استمرّوا يطوفون بالرأس الشريف في سلك وأزقة وشوارع الكوفة.

٢- وعن عبيد الله بن زياد:

وإغلاً في الغي والبغي وإظهاراً للكبراء والجبروت أمر عبيد الله بن زياد فوضع رأس الحسين عليهما السلام أمامه في طست من ذهب في مجلسه في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً وأدخل السبايا فأجلسهم أمامه وجعل ينظر إلى رأس الحسين عليهما السلام ويبتسم ويضربه بقضيب في يده، يضرب ثياته (أسنانه)، ويضرب أنف الحسين عليهما السلام وعينه، ويطعن في فمه، ويقول: إنه كان حسن الثغر، ويقول أيضاً: لقد أسرع الشيب إليك يا أبي عبد الله، ولم نسمع أحداً استذكر على عبيد الله هذا العمل الشنيع إلا ما نقل عن زيد بن أرقم وهو شيخ كبير من أصحاب رسول الله عليهما السلام الذي لم يتمالك نفسه حين رأى هذا المنظر المفجع أن يتبع باكيًا، فقال له عبيد الله بن زياد: أبكى الله عينيك عدو الله، لو لا أنكشيخ كبير قد خرفت وذهب عقلك لضررت عنقك، فقال زيد: والله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتني رسول الله عليهما ما لا أحصيه يقبلهما، ثم خرج من المجلس رافعاً صوته بالبكاء وهو يقول: ملك عبد حراً، أنت يا معاشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة عليهما السلام وأمرتم ابن مرjanة حتى يقتل خياركم ويستبعد أشراركم، رضيتم بالذل فعداً لمن رضي.

ويروى أن زيد بن أرقم قام على باب المسجد، فقال: أفعلتموها، أشهد لسمعت رسول الله عليهما السلام يقول: اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين.

ويروى أن هذه المحادثة كانت بين زيد بن أرقم ويزيد بن معاوية في الشام والله العالم.

ويروى أيضاً أن أنس بن مالك وهو من أصحاب رسول الله عليهما السلام أيضاً قال لعبيد الله في هذا المجلس: أم والله لأسوأنك، لقد رأيت رسول الله عليهما السلام يقبل موضع قضيبك من فيه.

أقول: وهذا الكلام المروي عن أنس كلام حق إلا أنه فيه لين شديد لا يبلغ درجة الإعراض ولا يتناسب مع حجم الجريمة.

ويروى أيضاً أن عبيد الله بن زياد أرسل إلى أبي بزرة الأسلمي، فقال له: كيف شأنني وشأن حسين بن فاطمة، قال: الله أعلم، فما علمي بذلك، قال: إنما أسألك عن علمك (رأيك)، قال: أما إذا سألتني عن رأيي فإن علمي أن الحسين يشفع له جده محمد عليهما السلام، ويشعف لك زياد، فقال له: أخرج، لو لا ما جعلت لك لضررت عنقك. ثم إن الباب بن امرئ القيس الكلية زوجة الحسين عليهما السلام وهي أم سكينة لما رأت عبيد الله بن زياد يقرع بقضيبه رأس الحسين عليهما السلام لم يمكنها أن تحتمل فقامت وألقت بنفسها وأخذت رأس الحسين عليهما السلام ووضعته في حجرها

وَقَبْلَهُ وَشَمَّتْهُ وَقَالَتْ:

أقصدته أسنة الاعداء	واحسيناه فلا نسيت حسيناً
لا سقى الله جانبي كربلاء	غادروه بكرbla صريعاً
	ويروى أنها قالت تندبه:
بكرbla قتيل غير مدفون	إن الذي كان نوراً يستضاء به
عنا وجبت خسران الموازين	سبط البين جزاك الله صالحة
و كنت تصجينا بالرحم والدين	قد كنت لي جلاً صعباً ألوذ به
يعنى ويأوى إليه كل مسكين	من لليتامي ومن للسائلين ومن
حتى أغيب بين الماء والطين	والله لا أبتغي صهراً بصهركم

ثم إن ابن زياد أمر برأس الحسين عليهما فداروا به في سكك الكوفة كلها وفي نواحيها وفي قبائلها، ولما فرغوا أعاده إلى الكوفة ثم نصبه هو وبقية الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب، وهي أول رؤوس نصب في الإسلام بعد رأس مسلم بن عقيل صلوات الله عليهم.

ثم إن عبيد الله بن زياد طلب من يقوّر رأس الحسين عليهما ويصلحه، فلم يجسر أحد على ذلك، فجاء طارق بن المبارك فأجا به إلى ذلك وأخذ رأس الحسين عليهما فقوره وهياه ثم نصبه بباب داره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الثالث

الرؤوس في الشام

١- الرؤوس في الشام:

ثم إن يزيد بن معاوية لعنه الله بعدها وصله البشير يبشره بقتل الحسين عليهما السلام وأصحابه ونبيه عليه أرسل إلى عبيد الله بن زياد يأمره بحمل رأس الحسين عليهما السلام ورؤوس أصحابه والسياف والأسرى إلى الشام، فاستدعي ابن زياد أحد رجاله وهو مخفر بن ثعلبة العائذي فسلم إليه الرؤوس والنساء وأمره فسار بهم إلى الشام وقيل أنه كان مع الرؤوس الشريفة زحر بن قيس ومعه أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان.

فساروا برؤوس الشهداء وكان رأس الحسين عليهما السلام في صندوق، وكان الطغاة كلما نزلوا إلى منزل آخر جروا الرأس من الصندوق وجعلوه على رأس رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل ثم أعادوه إلى الصندوق.

وكانوا إذا نزلوا للإستراحة يشربون الخمر ويتبجحون بالرأس فيما بينهم.

فقد روى الموفق الخوارزمي الحنفي بإسناده عن ابن لهيعة، قال: كنت أطوف بالبيت إذا أنا برجل يقول: اللهم اغفر لي، وما أراك فاعلاً، فقلت له: يا عبد الله، إتق الله ولا تقل مثل هذا، فإن ذنبك لو كانت مثل قطر الأمطار، وورق الأشجار، واستغفرت الله غفرها لك، فإنه غفور رحيم، فقال لي: تعال حتى أخبرك بقصتي، فأتيته، فقال: إعلم إنا كنا خمسين نفراً حين قتل الحسين بن علي عليهما السلام، وسلم إلينا رأسه لتحمله إلى يزيد بالشام، فكنا إذا أمسينا نزلنا واديأً ووضعنا الرأس في تابوت، وشربنا الخمور حوالي التابوت إلى الصباح، فشرب أصحابي ليلة حتى سكرروا، ولم أشرب معهم، فلما جن الليل سمعت رعداً وبرقاً، وإذا أبواب السماء قد فتحت، فنزل آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق وإسماعيل، ونبينا محمد (صلوات الله عليهم

أجمعين) ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة (وفي رواية أخرى: وقعة السلاح مع جبرئيل وMicahiel وإسرافيل والكروبين والروحانين والمقربين)، فدنا جبرئيل من التابوت، فأخرج الرأس وقبله وضمه، ثم فعل بالأنباء كذلك، ثم بكى النبي محمد ﷺ على رأس الحسين عليهما السلام، فعزاه الأنبياء، (وفي رواية أخرى (فشكوا النبي ﷺ إلى النبيين والملائكة عليهما السلام، وقال: قتلوا ولدي وقرة عيني، فكلهم قبل الرأس وضمه إلى صدره) وقال له جبرئيل: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلت عليها سافلها كما فعلت بقوم لوط، فقال النبي ﷺ: لا يا جبرئيل، فإن لهم معي موقفاً بين يدي الله عز وجل يوم القيمة، قال: ثم صلوا عليه، ثم أتى قوم من الملائكة، فقالوا: إن الله تعالى أمرنا بقتل الخمسين، فقال لهم النبي ﷺ: شأنكم بهم، قال: فجعلوا يضربونهم بالحربات، وقصدني واحد منهم بحربته ليضربني، فصحت الأمان الأمان، يا رسول الله ﷺ، فقال لي: إذهب، فلا غفر الله لك، قال: فلما أصبحت رأيت أصحابي جاثمين رماداً^(١).

- الرؤوس تدخل الشام:

واستمروا كذلك في عنوهم وتمردتهم إلى أن وصلوا الشام فدخلوها نهاراً من باب يقال له: باب ساعات، وقيل: باب توما.

ورأس الحسين عليهما السلام يحمله فارس قد جعله على لواء متزوع السنان. ويروى هنا أن يزيد لعنه الله علم بوصول الرؤوس إلى أبواب دمشق، فخرج ليلتقيها - وللتقي السبايا - كما نقله بعض المؤرخين أو لعله كان على قصره مشرفاً فرأى فأنسد يقول:

لما بدت تلك الرؤوس وأسرقت

صاح الغراب فقلت صح أولاً تصح

إن هذه الأبيات كالأبيات الآتية التي قالها يزيد تدل على عداوة عظيمة وحقد كبير يكتبه يزيد تجاه الرسول ﷺ.

كما تدل هذه الأبيات على أن وصول الرؤوس إلى باب دمشق كان في أول النهار عند شروق الشمس.

ثم استمر الموكب يسير فدخل أزقة دمشق وشوارعها وكانت الرؤوس بين السبايا إلا أنه أثناء السير في الشام دفع سهل بن سعد الساعدي الصحابي مبلغ أربع مائة دينار ليقدموا الرؤوس على السبايا فقدموها.

٣- رأس الحسين عليهما السلام عند يزيد:

واستمر موكب السبايا والرؤوس يسير على هذه الهيئة الرهيبة وسط احتفالات وأهازيج أهالي الشام الفرحين، إلى أن انتهى الموكب إلى قصر يزيد بن معاوية فوضعوا رأس الحسين عليهما السلام في حلة ودخلوا به على يزيد الذي كان جالساً على سريره وعلى رأسه تاج مكمل بالدر والياقوت وحوله كثير من مشايخ قريش وسادات الناس.

ثم وضعوا الرؤوس الشريفة بين يدي يزيد ومنها رأس الحسين عليهما السلام وضعوه على طبق من ذهب أمام يزيد، فجعل ينظر إليه ثم قال متباهياً: كيف رأيت يا حسين!!!

وقال مفتخرًا:

فواضب في أيامنا تقطر الدما	أبي قومنا أن ينصفونا فأنصفت
وأسيفنا يقطعن هاماً ومعصماً	صبرنا وكان الصبر منا عزيمة
علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلموا	نفق هاماً من رجال أعزَّ
وكان في هذا المجلس عبد الرحمن بن الحكم أو يحيى بن الحكم فقال مستغرباً:	وكان في هذا المجلس عبد الرحمن بن الحكم أو يحيى بن الحكم فقال مستغرباً:
من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل	لهام بجنب الطف أدنى قرابة
وبنت رسول الله عليهما السلام ليست بذوي نسل	سمية أمسى نسلها عدد الحصا
فضريه يزيد على صدره، وقال له: أسكط، لا ألم لك.	ثم جعل يضرب ثانياً الحسين عليهما السلام بمخصرة (قضيب خيزران) وهو يقول:

يوم بيوم بدر، ويقول:

جزع الخزرج من وقع الأسل	ليت أشياعي ببدر شهدوا
ولقالوا: يا يزيد لا تَشَلْ	لأهلوا واستهلهوا فرحاً

فجزيئاً لهم بيدِ مثلها
لعيْتُ هاشم بالملك فلا
لستُ من خندهُ إن لم أنتقم
وأقمنا مثلَ بدرٍ فاعتدل^(١)
خبرٌ جاءَ ولا وحْيٌ نزل
من بنيِّ أَهْمَدَ ما كَانَ فعل

ويُروى أنه عندما قرع يزيد ثانياً الحسين عليهما احتج عليه أبو بربة الأسلمي وقال له: ويحك يا يزيد أنتك بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة عليهما السلام!! أشهد لقد رأيت النبي عليهما السلام يرشف ثانية وأخيه الحسن عليهما السلام، ويقول: أنتما سيدَا شبابَ أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدَّ له جهنَّمَ وساعت مصيراً، فغضب يزيد وأمرَ بإخراج أبي بربة فأخرجوه سجناً.

وروى الخوارزمي أن الذي رد على يزيد هو سمرة بن جندب صاحب رسول الله عليهما السلام الذي قال ليزيد: قطع الله يدك يا يزيد، أنصرب ثانياً طالما رأيت رسول الله عليهما السلام يقبلهما ويلشم هاتين الشفتين، فقال له يزيد: لو لا صحبتك لرسول الله عليهما السلام لضربت والله عنقك، فقال سمرة: ويلك تحفظ لي صحبتي من رسول الله عليهما السلام ولا تحفظ لابن رسول الله عليهما السلام بنته، فضجَّ الناس بالبكاء، وكانت أن تكون فتنة.

وقيل أن الذي احتج على يزيد هو زيد بن أرقم كما تقدم في مجلس عيد الله، وهنا قامت زينب عليهما السلام فتكلمت بكلامها الكريم الآتي سرده عند بيان أحوال السبايا.

٤- إستهتار يزيد برأس الحسين عليهما السلام:

ثم إنَّ ما لبَثَ يزيد لعنه الله تعالى أن أمر بنصب مائدة الطعام على رأس الحسين عليهما السلام فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع^(٢) (البيرة) ويقول: إشربوا فهذا شراب مبارك من بر كته أنا تناولناه ورأينا بين أيدينا وما تدنا منصوبة عليه، ونحن نأكل ونفوسنا ساكنة وقلوبنا مطمئنة.

ثم لما فرغوا من الطعام أمر برأس الحسين عليهما السلام فوضعه في طست تحت سريره وبسط

وعدلناه بيدِ فاعتدل

فاتبع الشیخ فیما قد سأل.

(١) أبدله بعضهم:

قد قتلنا القرم من ساداتهم

وزاد بعضهم:

وكذلك الشیخ أوصاني به

(٢) فی الخبر أن يزيد بن معاوية هو أول من اتخذ الفقاع ويفتخر من هذا الخبر أن يزيد اخترعه لمناسبة الرأس.

عليه رقعة الشترنج وجعل يلعب بالشترنج ويذكر الحسين وأباه وجده عليهما ويستهزئ بهم ثم يتناول الفقاع ويصب فضلته على الطست. وكان هذا المشهد الرهيب من المشاهد ذات الوقع على قلوب أهل البيت عليهما ولذا قال الإمام الرضا عليهما بعد ذكر هذا المشهد:

فمن كان من شيعتنا فليتورع عن شرب الفقاع فإنه شراب أعدانا واللعب بالشترنج ومن نظر إلى الفقاع أو إلى الشترنج فليذكر الحسين عليهما وليلعن يزيد وآل زيد يمحو الله بذلك ذنبه ولو كانت كعدد النجوم.

وروي عن زين العابدين عليهما ما يظهر أن يزيد لعنه الله قد اتخذ هذا الأمر (أي وضع رأس الحسين عليهما بين يديه ليشرب عليه في مجلسه) عادة يومية مدة الأفراح ليشفى غليله، وأن ذات يوم حضر رسول ملك الروم وكان من سادات الروم وعظمائهم فلما رأى ولعه بالرأس الشريف، قال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما، فقال الرومي: ومن أمه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله عليهما، فقال النصراني: أَفَ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينك، إن أبي من حوافد داود عليهما – وبيني وبينه كثيرة – والنصارى يعظموني ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأبي من حوافد داود عليهما، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله عليهما وما بينه وبينيكم إلا أم واحدة، فأي دين دينكم، ثم أخبر يزيد عن كنيسة تحج إليها النصارى من يقع الأرض بعيدة لأنهم يقولون أن فيها حافر حمار كان يركبه عيسى عليهما، ويروى في آخر الخبر أن هذا النصراني أسلم ووثب إلى رأس الحسين فضممه إلى صدره وجعل يبكي حتى قتله يزيد.

٥- والحكيم جالوت اليهودي

ويروى أنه دخل جالوت اليهودي على يزيد وهو في هذا الحال، وقد كان جالوت هو الحكيم الخاص ليزيد، فلما رأى الرأس الشريف وما عليه من البهاء والنور، قال: ما هذه الرأس؟، فقال له: رأس خارجي، فقال: وما اسمه؟ قال الحسين، فقال: لم قتلتة؟ قال: أراد أن يأخذ الخلافة، فقال له: وبذلك يا يزيد إنما هو أحق بالخلافة، أما تعلم أن بيني وبين النبي داود أربعين جداً، واليهود يعظموني ويتبكون بي وأنتم بالأمس كان محمد فيكم نبياً كريماً واليوم قاتلتم أولاده وسيتوبتم حريمه ثم سحب سيفه وحمل على يزيد ليقتله، فحال بينهما الحاضرون، فدنا اليهودي من الرأس وقبلها، وقال: لعن الله قاتلك وخصمه جدك، يعز علي أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك، ولكن إذا لقيت جدك فاقرءه مني السلام وأخبره أنني على قوله أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال له يزيد: والله لو لا أني

احتاج اليك لأجل أمراضي لقتلتك شر قتلة، فقال: والله لا اداويك إلا بما يزيد أمراضك، فأمر بضرب عنقه.

٦ - منام هند زوجة يزيد

ويروى أن هند بنت عبد الله بن كريز زوجة يزيد وكانت قبلًا تحت الحسين بن علي عليهما السلام قالت: لما أخذت مصحعي تلك الليلة رأيت في منامي كأن أبواب السماء قد فتحت والملائكة بأجمعهم قد نزلوا وهم يدخلون إلى الرأس، ويقولون: السلام عليك يا أبي عبد الله، في بينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرة وبينهما رجل قمرى اللون فأقبل حتى دنا من رأس الحسين وانكب عليهما، وهو يقول: السلام عليك يا ولدي، قتلوك ومن شرب الماء منعوك، أترأه ما عرفوك، أنا جدك المصطفى، وهذا أبوك على المرتضى، وهذا أخوك الحسن، وهذا عمك جعفر، وهكذا إلى آخرهم، فعند ذلك ارتعت فانتبهت من نومي، فجاءت إلى يزيد ليلاً فأخبرته منامها وهو منكس الرأس لا يتكلم.

٧ - وامرأة من جواري يزيد

وروى بعض المؤرخين عن شهد ذلك المقام أنه قال: بينما نحن واقفون عند يزيد وإذا بأمرأة لم أر أحسن منها، وهي ترفل في أذىالها ولم تزل مقبلة حتى دخلت على يزيد وقالت له: ما هذا الرأس؟ قال: رأس الحسين، فقالت له: والله يعز على جده وأبيه وأمه وأهله، والله لقد رأيت الساعة وأنا نائمة كأن أبواب السماء فتحت وهبط منها خمس ملوك بأيديهم كاللبيب من النار وهم يقولون: قد أمرنا الله الجبار بحرق هذه الدار، فالتفت يزيد إليها وقال: ويلك أنت في ملكي ونعمتي وتقولين هذا الكلام، والله لأقتلنك شر قتلة، فقالت: وما الذي ينجني من ذلك؟ قال: ترقين المنبر وتسبين علياً وأولاده عليهما السلام، فقالت: أفعل ذلك، فأمر بجمع الناس فجمعت، وقال لها: قومي إلى المنبر وافعلي ما أمرتك به، فقامت على قدميها ورقت يليك أنت في ملكي ونعمتي وتقولين هذا الكلام، والله لأقتلنك شر قتلة، فقالت: وما الذي ينجني من ذلك؟ قال: ترقين المنبر وتسبين علياً وأولاده عليهما السلام، فقالت: أفعل ذلك، فأمر بجمع الناس فجمعت، وقال لها: قومي إلى المنبر وافعلي ما أمرتك به، فقامت على قدميها ورقت على الحوض، ولواء الحمد بيده، وولدها سيداً شباب أهل الجنة، لا فاسمعوا ما أقول لكم: إلا لعنة الله ولعنة اللاعنين على يزيد وعلى كل ساع في قتل الحسين عليهما السلام، وصلوات الله على علي وأولاده وشيعتهم منذ خلق الله الدنيا إلى يوم القيمة، عليها أحيا وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله، فغضب يزيد من كلامها وقال: من يكفيني شرها؟ فقال رجل من النصارى: أنا أكفيك شرها فقام وضربها بسيفه فماتت.

٨ - صلب رأس الحسين عليهما السلام:

وبقي علينا أن نذكر أن يزيد لعنه الله قد أمر بعد ذلك أن يصلب رأس الحسين عليهما السلام على باب داره ثلاثة أيام، فخرجت زوجته هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز في بعض هذه الأيام، فشققت الستر وهي حاسرة فوثبت إلى يزيد في مجلس عام، فقالت: يا يزيد أرأس ابن فاطمة عليهما السلام بنت رسول الله مصلوب على فناء بابي. فوثب إليها يزيد فغطّاها ولعن ابن زياد.

ثم أمر يزيد لعنه الله فنصبوا رأس الحسين عليهما السلام على باب مسجد دمشق وعلى باب دمشق. ومن عجائب الدهر وهو ان الدنيا على الله أن هذا الموضع يعني باب مسجد دمشق وهو المسماي بباب جironون هو نفس الموضع الذي نصب عليه قبل دهر طويل رأس يحيى بن زكريا صلوات الله على نبينا وآله وعليه السلام.

فإن هذا المسجد كان للصابة ثم صار لليونان ثم صار لليهود في أيام يحيى بن زكريا عليهما السلام حيث قتلوه وقطعوا رأسه ثم نصبوه على باب هذا المسجد الذي نصب عليه رأس الحسين عليهما السلام وفي هذا عبرة عظيمة لمن يعتبر لعلم أن الله بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدرًا.

٩ - توبية مجرم

روى الإسفرايني وهو من مؤرخي العامة عن أحمد البابي، عن سليمان بن مهران الأعمش وهو أحد أعاظم أئمة أهل السنة، قال: التجأت إلى البيت العرام فيما أنا أطوف وإذا برجل في الطواف يقول: اللهم اغفر لي ولا أراك تفعل، فقلت له: يا عبد الله ما لي أراك في مثل هذا المكان تقول هذا الكلام، وأنت في محل يغفر الله لمن دخله ومن دخله كان آمناً؟ قال: فقصتي عجيبة، قلت: أخبرني بها، فقال: دعني، فقلت: أقسمت عليك بالله العظيم أن تخبرني، فقال: أقسمت علي بقسم عظيم فخذ بيدي فأخذت بيده فإذا هو أعمى، ثم خرجنا إلى شعب من شعاب مكة وجلسنا فيه، فقال لي: أي شعب هذا؟ فقلت: هذا شعب علي المرتضى، فقال: والله لا أحجلس في شعب والد رجل كنت في قتل ولده، فنهضت وأخذت بيده وخرجنا إلى الأبطح وجلسنا هناك، فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سليمان بن مهران الأعمش، فقال لي: إن علمت أنني كنت من أصحاب يزيد وكانت من جلسائه، فلما أتي برأس الحسين أمر بوضعها في طشت من اللجين، فوضعت، ثم وضعت الطشت بما فيه بين يديه، فجعل ينكث ثانية بقضيب كان بيده ويقول: اشفقتك فيك وفي أبيك غير أن أبيك على غالب أبي بأهل العراق فظفر به، ثم إن أهل العراق خدعوك وأخرجوك فظفرت بك، فالحمد لله الذي أمكنني منك،

ولم يزل على هذا الحال مدة من الأيام، فلما عظم ذلك على الناس خشي على نفسه فجمعهم وقال: يا قوم أتظنون أنني قتلت الحسين، فوالله ما قتله إلا عاملٍ ابن زياد، ثم دعا برأس الحسين فغسلها وطيبها وجعلها في صندوق، وغلق عليها وقال: دعوها في قصرِي واجعلوا حولها السرادق، وقد بدأ ذلك كفُّ ألسنة الناس عنه، ثم جعل خارج السرادق خمسين رجلاً ووكلني بهم، وكان إذا أتى الليل يرسل لهم طعاماً وخمراً فيأكل أصحابي ويشربون، وأنا لا آكل ولا أشرب، ثم ينامون ولا أنام أنا حزناً على الحسين، فيبينما أنا ذات ليلة قد استقلت على ظهري وأنا متذكر في ذلك، وإذا بسحابة عظيمة سمعت فيها دويَا كدوبي النحل، وإذا بخفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا إلى الأرض ورأيت ملكاً عظيماً قد نزل وبيه بسط مكلاة بالدر والياقوت ففرشها، ثم نزل خمسة ملائكة وبأيديهم كراسي من النور فوضعوها على البسط، ثم نادى مناد: إنزل يا آدم يا أبا البشر، فإذا ب الرجل من أبهج الرجال وجهاً وأكثرهم هيبة، وعليه حلقة من حلحل الجنة، وقد نزل من الهواء وأقبل على الرأس وسلم عليهما، وقال: عشت سعيداً وقتلت شهيداً عطشاً حتى الحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني ولا غفر لقاتلك، والويل له غداً من النار، ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابه أخرى أعظم من الأولى، فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت إلى الأرض، ثم نادى مناد: إنزل يا نوح يا نبي الله، فنزل وإذا هو رجل تعلوه سمرة وهو أحسن الناس هيبة، وعليه حلقة من حلحل الجنة، فأقبل حتى وقف على الرأس، وقال مقالة آدم وجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابة عظيمة فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا إلى الأرض، ثم نادى مناد: إنزل يا موسى يا كليم الله، فنزل وأقبل على الرأس وقال مقالة نوح وجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابة عظيمة فسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلوا إلى الأرض ثم نادى مناد: إنزل يا عيسى فنزل وإذا هو رجل حسن الوجه تعلوه شقرة، وعليه حلقة من حلحل الجنة، فأقبل على الرأس وقال مقالة موسى ثم جلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم جاءت سحابة أعظم من تلك السحابات ولها دويٌ كدوبي الرعد القاصف، وسمعت فيها خفقان أجنحة الملائكة حتى نزلت إلى الأرض، ثم نادى مناد: إنزل يا أبا القاسم، يا أول، يا آخر، يا ماحي، يا عاقب، يا حاشر، يا طاهر، يا مزمُل، يا مدثر، يا طه، يا أحمد، إنزل يا محمد، فنزل المصطفى عليه الصلاة والسلام وعليه حل حل من حلحل الجنة، وعن يمينه صف من الملائكة لا يحيص بهم إلا الله، وعن يساره علي المرتضى وولده الحسن وفاطمة الزهراء، فأقبل النبي على الرأس الشريفة وأخذها وضمها إلى صدره وبكي بكاءً شديداً، وقال: يا حبيبي يا حسين عشت سعيداً وقتلت شهيداً عطشاً حتى الحقك الله بنا، غفر الله لك يا بني، ولا غفر لقاتلك، والويل له غداً من النار، ثم دفعها إلى علي المرتضى

فأخذها وضمها الى صدره وبكى بكاء شديدا وقال مقالة النبي، ثم دفعها الى فاطمة الزهراء، فأخذتها وضمتها الى صدرها وبكت بكاء شديدا وقالت مقالة علي، ثم دفعتها الى الحسن فأخذها وضمها الى صدره وبكى بكاء شديدا وقال مقالة فاطمة رضي الله عنهم اجمعين.

ثم ان آدم أقبل على النبي ﷺ وقال له: السلام عليك أيها الولد الصالح عظم الله أجرك وقوى صبرك وأحسن الله عزاءك، ثم أقبل نوح وقال مقالته، ثم أقبل موسى وقال مقالته، ثم أقبل عيسى وقال مقالته، ثم قال لهم النبي ﷺ يا آدم ويا نوح ويا موسى ويا عيسى إشهدوا على ما ترون من فعل هؤلاء القوم بأولادي ثم بكى. في بينما هو كذلك إذ أقبل الملك والموكل بسماء الدنيا وقال: السلام عليك أيها النبي الكريم، إعلم أن الله أمرني بالطاعة لك فإن أمرتني ان أهلك القوم جميعاً أطبقت عليهم السماوات حتى لا يبقى منهم أحد جزاء بما فعلوا، فقال له النبي: مهلا، وإذا بملك ثان وبهذه حرية عظيمة ولها شعبة بالشرق وشعبة بالغرب، وقال: السلام عليك أيها النبي الكريم قد قطع قلبي بكاؤك، إعلم أنني الملك الموكل بالبحار وأعلم ان الله أمرني بالطاعة لك، قال: فان أمرتني ان أهلك هؤلاء القوم أطبقت عليهم البحار جزاء بما فعلوا فقال له: مهلا، وإذا بتور قد ملا ما بين السماء والارض، وإذا الملائكة قد أحاطت به، وقالوا: يا محمد العلي الاعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك: إخْفِضْ صوتك، فقد بكى لكائك أهل السموات، وقد أرسلنا إليك الله نمثلك، فقال: من الله بدئ السلام وإليه يعود السلام فمن انت؟ فقال احدهم: إني ملك الشمس ان أمرتني ان أحرقهم فعلت، وقال الآخر: أنا ملك الجبال إن أمرتني أن أطبق عليهم الجبال فعلت، فقال لهم رسول الله ﷺ: جزاكم الله تعالى خيراً، دعوهن ان لهم موقفاً أكون أنا وإياهم فيه بين يدي الله عز وجل فيحكم بيننا بالحق وهو أحكم الحاكمين، فعند ذلك قال جميع من حضر من الأنبياء والملائكة: جزاكم الله خيراً يا محمد عن أمتك ما أرحمك بهم وأرففك عليهم! وهذا كله يا سليمان رايته بعيني وسمعته بأذني وأنا يقطن بحالة الصحة الكاملة، وما ذكرته لأحد غيرك، بل أصبحت هارباً من الدنيا خائفاً وجلاً من الله عز وجل لصحتي ليزيد، وأنا على البكاء والتحبب حتى ذهبت عيناي، وما أدرى ما عاقبة أمري إن كان الله تعالى يمن علي من فضله ويفسر لي، أم يؤاخذني، فعند ذلك بكى سليمان، وقال: لعل الله تعالى يمن عليك بفضله، ثم مشى معه الى ان أتوا الطواف على حالتهم الأولى وصار الرجل يدعوا بدعائه الاول.

الباب الرابع

حوادث مع الرأس الشريف

١- البلدان التي وصلها رأس الحسين عليهما السلام:

من المعلوم ان الأمويين قد أطافوا برأس الحسين عليهما السلام ومعه بقية رؤوس الشهداء والسبايا والأسرى من آل محمد عليهما السلام من الكوفة في العراق إلى دمشق الشام عاصمة الأمويين، وبالتالي فلا بد أن الرأس الشريف قد سار بالطريق المتعارف الذي كان يربط بين الكوفة ودمشق، كما لا ريب أنه قد مر بالمدن التي كانت تمتد على طول الطريق، ومن أهم هذه البلدان: تكريت ونصبدين وقفسرين وحلب وحماء وبعلبك ثم دمشق الشام.

ولكن يبقى احتمال أن يكونوا قد أطافوا بالرأس الشريف في مدن أخرى تقع خارج هذا الطريق، ولقد سمعنا مشايخنا يتناقلون أن الأمويين قد أطافوا بالرأس الشريف ومعه بقية الرؤوس في أنحاء العالم الإسلامي أعني في أنحاء الشام ومصر والحجاز حتى وصلوا بالرأس إلى مدينة الرسول عليهما السلام، وهذا المعنى التناقل همسأ لم أجده منصوصا عليه في كتب المؤرخين ولكنني وجدت نصا قد يؤيد هذا المعنى وهو ما عن تاريخ البلاذري من أنه لما وافق رأس الحسين عليهما السلام المدينة سمعت الواعية من كل جانب مروان بن الحكم:

ضربت دوسرا^(١) فيهم ضربة
أثبتت أوتاد ملك فاستقر

ثم أخذ مروان بن الحكم ينكت وجه الحسين عليهما السلام بقضيب ويقول:

يا جذا بردك في اليدين
ولونك الأحمر في الخدين

شفيت منك النفس يا حسين
كأنه بات بمجددين

(١) دوسرا كتبة من كتاب النعمان بن المنذر ذكرها هنا كناية عن الجيش القوي الجبار.

وهذا النص يدل على وصول الرأس الشريف إلى مدينة الرسول ﷺ قبل عودة السبايا ومعهم علي بن الحسين عليهما السلام إلى مدينة جدهم ﷺ، إذ من المعلوم أنهم عندما عادوا إلى المدينة المنورة كانوا قد استعادوا حريتهم ولم يكن معهم رأس الحسين عليهما السلام، ولو كان معهم لكان في عز ومكانه وغير مسموح لأحد أن ينكته بقضيب.

٢ - مدفن الرأس الشريف:

ليس لنا نصوص مؤكدة تحدد لنا بالتأكيد أين مدفن الرأس الشريف، والاحتمالات في هذا المجال متعددة:

الاحتمال الأول: أنه دفن في كربلاء وأنه أعيد ضم الرأس إلى البدن، وهذا الاحتمال مشهور جداً ويبدل عليه خبر رواه الصدوق في الأimalي بإسناده عن فاطمة بنت علي عليهما السلام أنها قالت: أن علي بن الحسين عليهما السلام رد رأس الحسين عليهما السلام إلى كربلاء.

وعن ابن نما الحلي أن هذا الاحتمال هو المعول عليه عند الإمامية، وعن ابن طاووس أنه عليه عمل الإمامية، وعن جماعة من المؤرخين من العامة والخاصة أن رد الرأس إلى جسده كان في العشرين من صفر من نفس العام، ولهذا الحدث كانت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليهما السلام.

وفي خبر آخر رواه ابن طاووس أن أحد خاصة غلمان يزيد كان من الشيعة وممن يوالى الحسين عليهما السلام فاشترى رأس الحسين عليهما السلام بمائة ألف دينار ورده إلى كربلاء وما زال بعدها يلبس السواد صائم النهار قائم الليل ويفطر على خبز الشعير ويعمل الزناier كل يوم بخمسين درهم يأكل منه ويتصدق بالباقي على فقراء الشيعة ولا يأكل من مال يزيد شيئاً، كل ذلك ويزيد لا يعلم بحاله بل كان لعنه الله مشغوفاً بحب هذا الغلام ولا يقدر أن يفارقه ولا يغضبه أبداً.

الاحتمال الثاني: إنه دفن في النجف الأشرف إلى جانب والده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى جنب رأسه الشريف، ويبدل على هذا الاحتمال خبر رواه جعفر بن قولويه القمي في كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليهما السلام أنه قال: إن الرأس قد رد إلى الكوفة فأمر الملعون عبيد الله بن زياد بإخراجه عنها حتى لا يفتتن به أهل الكوفة فصيّره الله عند أمير المؤمنين عليهما السلام.

وهذا الخبر لم يوضح لنا كيف صار الرأس إلى أمير المؤمنين إلا أن ذلك قد أوضحته خبر آخر يرويه كامل الزيارات أيضاً ويقول فيه أن الصادق عليه السلام كان عند قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام يزوره، فقال لابنه اسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين بن علي عليه السلام، فقال له أحد أصحابه: جعلت فداك أليس الحسين عليه السلام يكريلاء؟، فقال عليه السلام: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام.

الإحتمال الثالث: إنه دفن في دمشق وهذا خبر نقله ابن نما عن منصور بن جمهور أن يزيد لعنة الله جعل الرأس الشريف في جوئن حمراء وجعلها في خزاناته فلما فتحت بعد زوال ملكه أخذوا الرأس ولفوه بثوب ثم دفونه في دمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق. ولعل الذي دفنه بعد يزيد هو الأموي سليمان بن عبد الملك بن مروان وادعى بعد ذلك انه رأى النبي عليه السلام في المنام كأنه يبره ويلطفه.

ويظهر أن الرأس الشريف قد أصبح مركزاً مشهوراً يتبعد فيه العباد وذلك قبل زمان الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، إذ يروى الصفار في كتاب البصائر حبراً عن إحدى معجزات الإمام الجواد عليه السلام أنه جاء إلى رجل شامي كان يتبعه عند رأس الحسين بن علي عليه السلام فأخذته بلمح البصر من الشام إلى الكوفة ثم منها إلى مكة ثم رده إلى موضعه، ولعل هذا المركز هو المزار الموجود في عصرنا هذا، وهو مزار معروف في دمشق الشام في الجهة الشمالية الشرقية من الباحة المكسورة من المسجد الكبير المعروف بالمسجد الأموي، كما يحتمل أن هذا المزار هو موقع نصب الرأس الشريف والله العالم.

الإحتمال الرابع: أنه دفن في مصر وهذا زعم يزعمه أهل مصر قديماً وحديثاً، ولهم هناك مقام يزورونه ويتركون به ويزعمون أن فيه رأس الحسين عليه السلام، وذكر بعضهم أن أصل هذا المزار أن الخليفة الفاطمي بمصر أرسل إلى عسقلان - وهي بين مصر والشام - فاستخرج رأساً قال انه رأس الحسين عليه السلام فجاء به ودفنه في مصر.

وقد أنكر جماعة هذا الإحتمال إنكاراً شديداً، قال ابن تيمية في كتابه (رأس الحسين عليه السلام) متحدثاً عن مشهد الرأس في مصر: فإنه باتفاق الناس: أن هذا المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد عسقلان! وأن ذلك المشهد - عسقلان - كان قد أحدث بعد التسعين وأربعين، فأصل هذا المشهد القاهري هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعين سنة وثلاثين سنة، وهذا بعد مقتله بقريب من خمسمائه سنة، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان من تكلم في هذا الباب من أهل

العلم، على اختلاف أصنافهم - كأهل الحديث، ومصنفي أخبار القاهرة، ومصنفي التوارييخ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة، وهذا بينهم مشهور متواتر، سواء قيل: إن إضافته إلى الحسين صدق أو كذب - لم يتنازعوا أنه نقل من عسقلان في أواخر الدولة العبيدية^(١).

وقال ابن تيمية أيضاً في كتابه المذكور: إن الذين جمعوا أخبار الحسين ومقتله - مثل أبي بكر بن أبي الدنيا، وأبي القاسم البغوي وغيرهما - لم يذكر أحد منهم أن الرأس حمل إلى عسقلان، ولا إلى القاهرة، وقد ذكر نحو ذلك أبو الخطاب بن دحية في كتابه الملقب بالعلم المشهور في فضائل الأيام والشهرور،! ذكر أن الذين صنفوا في مقتل الحسين أجمعوا على أن الرأس لم يغترب، وذكر هذا بعد أن ذكر أن المشهد الذي بالقاهرة كذب مختلق: وأنه لا أصل له، وبسط القول في ذلك^(٢).

ثم قال: وما زال الناس في مصنفاتهم ومخاطباتهم يعلمون أن هذا المشهد القاهري من المكذوبات المختلقات، ويزدرون ذلك في المصنفات، حتى من سكن هذا البلد من العلماء بذلك. فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية في كتابه (العلم المشهور) في هذا المشهد فصلاً مع ما ذكره في مقتل الحسين من أخبار ثابتة وغير ثابتة، ومع هذا فقد ذكر أن المشهد كذب بالإجماع، وبين أنه نقل من عسقلان في آخر الدولة العبيدية، ثم قال: فقد حدثني طائفة من الثقات، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد، وطائفة عن الشيخ أبي محمد عبد المؤمن ابن خلف الديماطي، وطائفة عن الشيخ أبي محمد بن القسطلاني، وطائفة عن الشيخ أبي عبد الله محمد القرطبي، صاحب التفسير وشرح أسماء الله الحسني، وطائفة عن الشيخ عبد العزيز الدميري - كل من هؤلاء حدثني عنه من لا أحدهم، وحدثني عن بعضهم عدد كثیر، كل يحدثني عن حديثه من هؤلاء: أنه كان ينكر أمر هذا المشهد ويقول: إنه كذب، وأنه ليس فيه الحسين ولا رأسه. والذين حدثوني عن ابن القسطلاني ذكروا عنه أنه قال: إن فيه نصراانيا، بل القرطبي والقسطلاني ذكرروا بطلان أمر هذا المشهد في مصنفاتهما. وبينما فيها أنه كذب، كما ذكره أبو الخطاب بن دحية، وابن دحية هو الذي بنى له الكامل دار الحديث الكاملية، وعنه أخذ أبو عمرو ابن الصلاح ونحوه كثيراً مما أخذوه من ضبط الأسماء واللغات، وليس الاعتماد في هذا على واحد بعينه، بل هذا إجماع من هؤلاء، ومعلوم أنه لم يكن بهذه البلاد من يعتمد عليه في مثل هذا الباب أعلم وأدين من هؤلاء ونحوهم، فإذا كانوا متفقين على أن هذا كذب ومن: علم أن الله قد برأ منه الحسين^(٣).

(١) رأس الحسين (ع) ص ١٨٧

(٢) رأس الحسين ص ١٩٧

(٣) رأس الحسين (ع) ص ٢١١

الإحتمال الخامس: أنه في البقيع في مدينة الرسول ﷺ وأن الذي دفنه هناك هو عمرو بن سعيد الأموي، وهذا خبر منقول عن الحافظ أبي العلاء الهمданى الذى رواه بإسناده عن مشايخه أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين علیه السلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلى ثم أمر عمرو فدفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء علیها السلام.

وهذا قول مشهور عند العامة، ونقل عن محمد بن سعد، وأبيه ابن كثير، وقال ابن تيمية: أن الذى ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين أن الرأس حمل إلى المدينة ودفن عند أخيه^(١).

الإحتمال السادس: انه مدفون بظهر الكوفة دون قبر أمير المؤمنين علیه السلام، وهذا الإحتمال ورد فيه رواية عن الكليني روى رواها في الكافي بسنده عن الصادق علیه السلام.

الإحتمال السابع: أنه مدفون بعسقلان، وقد كان له مزار هناك ثم نقل إلى مصر، ولا أعلم الآن وجود مقام هناك، ولم أسمع به، وكأنه اندثر، ولعله الذي نقل إلى مصر، والله العالم.

وقد أنكر البعض هذا الإحتمال، قال ابن تيمية وهو من مشاهير قدماء النواصب، قال في كتابه (رأس الحسين عليه السلام) يتحدث عن مشهد الرأس في عسقلان: قول القائل أن ذلك الذي بعسقلان هو مبني على رأس الحسين رضي الله عنه، قول بلا حجة أصلاً، فإن هذا لم ينفعه أحد من أهل العلم الذين من شأنهم نقل هذا لا من أهل الحديث، ولا من علماء الأخبار والتاريخ، ولا من العلماء المصنفين في النسب: نسب قريش أو نسب بنى هاشم ونحوه، وذلك المشهد العسقلاني أحدث في آخر المائة الخامسة، لم يكن قدurma، ولا كان هناك مكان قبله، أو نحوه مضاد إلى الحسين، ولا حجر منقوش ولا نحوه مما يقال، إنه علامة على ذلك^(٢).

الإحتمال الثامن: أنه مدفون بحلب، ويظهر أنه كان له مقام يزار فيه زمن ابن تيمية، فقد قال: كما أن الناس لم يكونوا يتابعون الأماكن التي تضاف إلى الرأس في هذا الوقت، كموقع بحلب^(٣).

الإحتمال التاسع: أنه مدفون بباب توما في دمشق، فقد روى عبد الصمد بن سعيد

(١) رأس الحسين ص ١٩٧

(٢) رأس الحسين (ع) ص ١٨٧

(٣) رأس الحسين علیه السلام ص ٢٠٩

القاضي: حدثنا سليمان بن عبد الحميد البهائي: سمعت أبا أمية الكلاعي قال: سمعت أبا كرب قال: كنت فيمن تولب على الوليد بن يزيد بدمشق، فأخذت سقطاً، وقلت: فيه غنائي، فركبت فرسه، وخرجت به من باب توما، قال: ففتحته، فإذا فيه رأس مكتوب عليه. هذا رأس الحسين بن عليٍّ، فحفرت له بسيفي، فدقنته.

أقول: الظاهر أن المقام الذي في حلب هو الذي يقال له اليوم (مقام النقطة)، وهو مقام وضع رأس الحسين عليه السلام حينما حطَّ القوم رحالهم في حلب، ويروى أنه وقع هناك نقطة من دم الرأس الشريف، والله العالم.

تبنيه: يجب أن يعلم المسلم الناظر في كتابي هذا أن كل ما يُنسب لأهل البيت عليهما السلام من مقام وغيره فهو شريف جليل صدقت النسبة أم لم تصدق، ويكونه جلاله وشرف أنه يحيى فيه أمرهم عليهم السلام وكثرة ما يذكر فيه من الحق فإن الأمكنة تشرف وتقدس بذلك، ويدل على ما نقوله كثرة العجائب التي يظهرها الله تعالى في هذه المقامات الكريمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

استنتاج:

والذي أميل إليه هو الاحتمال الثاني أي أن الرأس الشريف دفن في النجف الأشرف إلى جانب أمير المؤمنين عليهما السلام وذلك استناداً إلى الأخبار الواردة عن المعصوم عليهما السلام والتي هي أولى بالإثبات من بقية الاحتمالات غير المستندة إلى مثل هذه الأخبار، ولا أستبعد بل ربما يكون قريباً جداً أن يكون أركان النظام الأموي برئاسة يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد قد تعمدوا إخفاء الحقيقة وتمويهها على الناس فبعثوا برؤوس متعددة إلى أماكن متعددة فكانت كل فرقة وصل إليها رأس تتخيل أنه رأس الحسين عليهما السلام وأجل ذلك تعددت الأقوال في موضع دفن الرأس.

٣ - معجزات الرأس الشريف:

لقد نقل المؤرخون عن الرأس الشريف معجزات عديدة منها:

المعجزة الأولى: روي عن زيد بن أرقم أنه قال: مرَّ برأس الحسين عليهما السلام عليٌّ وهو على رمح وأنا في غرفة لي، فلما حاذاني سمعته يقرأ «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَبَ الْكَهْفَ وَالرَّقِيرِ كَافُؤًا مِّنْ مَا إِيَّنَا عَجَّبًا لَهُ فوقف - والله - شعرى، وقلت: والله يا بن رسول الله عليهما السلام رأسك أعجب وأعجب.

المعجزة الثانية: وروي عن المنهال بن عمرو أنه قال: أنا والله رأيت رأس الحسين عليهما السلام حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفَ وَالْقَرْبَيْرِ كَانُوا مِنْ مَا إِيَّنَا عَجَّبًا﴾، فأنطق الله الرأس بلسان ذرق فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملني.

المعجزة الثالثة: نصبوا رأس الحسين عليهما السلام في موضع الصيارة وكانت الناس في أعمالها ولغطها وضواعها فتحتاجن الرأس عاليًا فاتجهت إليه الانظار مندهشة فشرع الرأس الشريف يقرأ سورة الكهف إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ مَّا مَنَّوا بِرَبِّهِمْ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدُ الظَّلَمَلِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ وروي هذا الخبر عن أبي مخنف عن الشعبي.

المعجزة الرابعة: ونصبوا الرأس أيضاً على شجرة فاجتمع أناس فسمعوه يقرأ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

المعجزة الخامسة: سمع سلمة بن كهيل أحد فقهاء العامة الرأس وهو على قنة يقرأ ﴿فَسَيَكْفِيَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ أَسْبَعُ الْمُكْلِمُ﴾.

المعجزة السادسة: روي عن ابن وكيدة أنه سمع الرأس الشريف يقرأ سورة الكهف، فتردد أن يكون القراءة من الرأس الشريف فالتفت الرأس إليه يخاطبه: يا بن وكيدة أما علمت أنا عشر الأنمة أحياء عند ربهم يرزقون، فعندما سمع ذلك عزم على أخذ الرأس الشريف ودفعه، فخاطبه ثانية وقال: يا بن وكيدة، ليس إلى ذلك سبيل إن سفكهم دمي أعظم عند الله من تسخيري على الرمح، فذرهم يعملون إذ الأغلال في أعناقهم والسلال يسحبون.

المعجزة السابعة: وفي مجلس يزيد عندما احتاج عليه رسول ملك الروم وأمر بقتله نطق الرأس بصوت رفيع: لا حول ولا قوة إلا بالله.

المعجزة الثامنة: وفي الأخبار الواردة إنهم لما وصلوا برأس الحسين عليهما السلام مع السبايا إلى الجبل الغربي مدينة حلب قطرت من الرأس الشريف قطرة دم، فعمر هناك مشهد سمي بمشهد النقطة. وفي خبر آخر إنهم وضعوا الرأس على صخرة فسقطت منه قطرة دم على الصخرة فكانت هذه النقطة تغلي كل سة يوم عاشوراء فيجتمع الناس هناك فيقيمون المأتم على الحسين عليهما السلام ويكثر العويل والبكاء حولها واستمر هذا الأمر إلى أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي أمر بنقل الحجر فلم ير له أثر بعد ذلك فبنيوا محل الحجر قبة سموها (النقطة).

أقول: ولقد أخبرني بعض أهل المنطقة هناك بوجود المسجد إلى الآن ويسمى (مسجد النقطة).

المعجزة التاسعة: روى الطبرى وابن الأثير وهما من علماء العامة عن هشام عن أبيه عن النوار بنت مالك زوجة خولي بن يزيد الذى جاء برأس الحسين عليهما السلام إلى بيته. قالت: فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار وجلست انظر إلى الرأس، قالت: فوالله ما زلت انظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجابة (التي فيها رأس الحسين عليهما السلام) ورأيت طيراً يضاً ترفرف حولها.

المعجزة العاشرة: وروى ابن طاووس عن محمد بن النجار شيخ محدثي العامة في بغداد في ترجمة علي بن نصر الشبوكي أنه لما قتل الحسين عليهما السلام وحملوا برأسه جلسوا يشربون ويحييء بعضهم بعضاً بالرأس، فخرجت يد وكتبت بقلم الحديد على الحائط:

شفاعة جدّه يوم الحساب

أترجو أمة قاتلت حسيناً

قال: فلما سمعوا بذلك تركوا الرأس وانهزموا.

أقول: وهذا الخبر رواه من علماء السنة أبو عبد الله الحافظ والبلذري في أنساب الأشراف.

المعجزة الحادية عشرة: وروي أنه لما حمل الرأس إلى الشام جنَّ عليهم الليل فنزلوا عند رجل من اليهود فلما شربوا وسکروا قالوا: عندنا رأس الحسين عليهما السلام، وأروه لليهودي وهو في الصندوق ويسطع منه النور نحو السماء، فتعجب اليهودي فاستعار الرأس وخاطبه قائلاً: اشفع لي عند جدك، فأطلق الله الرأس، فقال: إنما شفاعتي للمحمدين، ولست بمحمي، ثم إن اليهودي استوصى بالرأس وجعل يتلهف أنه لم يلحق بالرسول عليهما السلام فنطق الرأس بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع، قال ذلك ثلاث مرات، فأسلم اليهودي.

المعجزة الثانية عشرة: وروي أنهم أقاموا في طريقهم على دير للنصارى والظاهر أنه في مدينة قسرى، وفي الليل رأى راهب الدير نوراً ساطعاً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فنزل الراهب إلى القوم وسألهم عن الرأس فعرفوه انه رأس الحسين بن فاطمة بنت نبيهم عليهما السلام، فقال: تبَا لكم، والله لو كان لعيسي ابن مريم ابن لحملناه على أحدادنا، ثم إنه بذل لهم عشرة آلاف درهم حتى أغاروه الرأس إلى حين رحيلهم، فأخذنه وغسله ونظقه، وحشاه بمسك وكافور ثم وضعه في حجره ولم يزل ينوح وبكي حتى طلوا الرأس، فقال الراهب

يُخاطب الرأس: يا رأس، والله لا أملك إلا نفسي، فإذا كان غداً فأشهد لي عند جدك ثم أسلم الراهب وصار مع القافلة في خدمة أهل البيت عليه السلام، ثم تحولت دنائر الراهب إلى خزف مكتوب عليها من جانب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، وفي الجانب الآخر ﴿وَلَا تَحْسِبْ إِنَّ اللَّهَ عَذِيلًا عَمَّا يَعْلَمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وفي خبر آخر رواه النظري في الخصائص أن الراهب عندما دخل الرأس الشريف إلى صومعته سمع صوتاً ولم ير شخصاً يقول: طوبى لك وطوبى لمن عرف حرمه، فرفع الراهب رأسه وقال: يا رب بحق عيسى تأمر هذا الرأس بالتكلم معي، فتكلم الرأس وقال: أنا ابن محمد المصطفى، وأنا ابن علي المرتضى، وأنا ابن فاطمة الزهراء، أنا المقتول بكربلاء، أنا المظلوم، أنا العطشان، وسكت، فوضع الراهب وجهه على وجه الحسين عليه السلام وطلب شفاعته يوم القيمة، فتكلم الرأس وقال: ارجع إلى دين جدي محمد عليه السلام، فأسلم الراهب وتشهد الشهادتين، فضمن له الشفاعة.

واعلم أن أخبار معجزات الرأس الشريف كثيرة رواها رواة المسلمين من الفريقين السنة والشيعة معاً فلا يجوز للمسلم الإعراض على هذه الأخبار وردها لمجرد الاستغراب، فإن مقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه والإطافة برؤوسهم ونسائهم وأطفالهم من بلد إلى بلد والناس مستبشرون فرحون خطب عظيم يفوق المأثور والتصور، فمن القريب إلى العقول أن ترافقه أحداث أعمجازية تفوق المأثور والتصور ليلتفت الناس إلى عظيم الجرم الذي اجترمه وفادح الخطأ الذي ارتكبوه، بل العجب أن لا يحصل عند هذا الحدث الهائل شيء في الأرض ولا في السماء.

٤- رؤوس العباس وعلى الأكبر وحبيب بن مظاهر

ثم إن من الإحتمالات القوية أن يكون رأس العباس بن علي (عليهما السلام) كما رأس علي الأكبر بن الحسين (عليهما السلام) ورأس حبيب بن مظاهر وربما معها أيضاً بعض رؤوس الشهداء رضوان الله تعالى عليهم قد دفنت في دمشق الشام في الجبانة الشهيرة المعروفة بمقابر باب الصغير، وهي من أقدم جبانات المسلمين دفن فيها بلال الصحابي أيام عمر بن الخطاب، قال السيد محسن الأمين في أعيانه: رأيت بعد سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق بابه صخرة كتب عليها ما صورته:

هذا مدفن رأس العباس بن علي ورأس علي بن الحسين الأكبر ورأس حبيب بن مظاهر ثم أنه بعد ذلك بستين هدم هذا المشهد وأعيد بناؤه وأزيلت هذه الصخرة وبني ضريح داخل

المشهد و نقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء، ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مر.

أقول: وقرب هذا المشهد مشهد آخر لأهل البيت عليهما السلام، هو مشهد يقال أن فيه قبر سكينة بنت الحسين سيد الشهداء (عليه السلام) في مقبرة باب الصغير كان لها قبة خاصة مشهورة قد يما وكانت مزاراً يتبرك به، وقرب قبتها قبة أخرى يقال أن فيها قبر بريئة بنت الحسن بن علي (عليهما السلام)، وهذا قرب قبة الصحابي بلال، وقد ذكر ذلك المؤرخون القدماء، وروى ابن عساكر الدمشقي في تاريخ مدينة دمشق، قال:

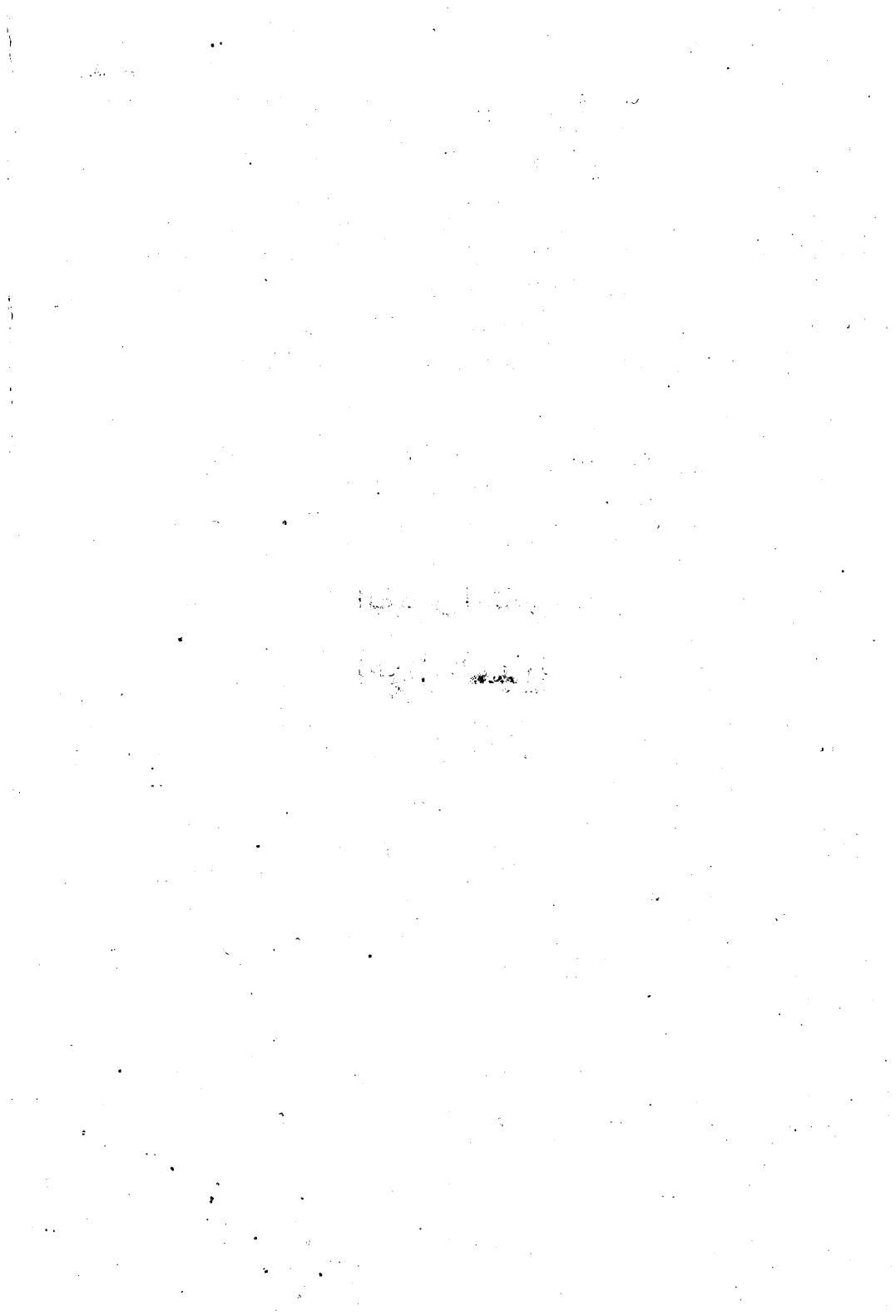
قال ابن الأكفاني: أراني الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتани قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير.. إلى أن قال: وأراني أيضاً قبر بريئة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في قبة وقبر سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب في قبة.

أقول: أبو محمد ابن الكتاني من الأعلام المشاهير توفي سنة ٤٦٦ من الهجرة.

ويقال أن في هذه المقابر قبر آخر هو لزينب بنت مولانا زين العابدين عليه السلام، وذكر الصفدي في الواقفي بالوفيات أن محمد بن يونس الساوجي الزاهد شيخ الطائفة القرنديلة قريباً من سنة ٦٠٠ هجرية حصل له زهد وفراغ عن الدنيا فأقام بمقدمة باب الصغير وبقي مديدة في قبة زينب بنت زين العابدين (عليه السلام).

ولا يبعد أن يكون القبر الشريف المنسوب إلى سكينة هو بعينه ينسب إلى زينب بنت زين العابدين (عليهم السلام).

الفصل الثاني
أحوال السبايا



الباب الأول

آل محمد ﷺ في أيدي الأعداء

١ - حسان الحسين ع

يروي المؤرخون من الخاصة وال العامة و منهم أبو إسحاق الإسفرايني والخوارزمي الحنفي أن بعد مقتل الحسين ع جعل جواد الحسين ع يهمهم و يتخطى للقتلى في المعركة قليلاً بعد قتيل حتى وقف على الجسد الشريف فوجده بلا رأس، فجعل يدور حول ناصيته و يتمرغ في دمه فلما نظر إليه عمر بن سعد قال للقوم: ويلكم اثنوني به، فركبوا خلفه و كان من جياد خيل رسول الله ﷺ، قال الإسفرايني: والأصل أنه الميمون، فلما أحس الميمون بذلك جعل يمانع عن نفسه و يلطم بيده و يضرب برجليه حتى قتل منهم ستة وعشرين فارساً و تسعه من الخيل، فصاح عمر بن سعد: ويلكم اتر كوه لأنظر ما يصنع فبعدوا عنه فلما رأى الناس تفرق عنده أمن ورجع إلى الجسد الشريف وجعل يمرغ وجهه و يقلبه بين عينيه و يصهل حتى ملأ البرية من صهيله، ثم قصد إلى خيمة النساء فلما سمعن صهيله أقبلت زينب على سكينة (عليهما السلام)، وقالت: قد جاء الماء فاخرجي إليه لتشرببي، فخرجت فوجدت السرج خالياً والجود يصهل وينعي، فصاحت: واقتلاه، واغرقياه، واحسيناه، هذا الحسين بين العداء مسلوب العمامة والرداء، بدنه بالأرض ورأسه منقطعة واليوم يصير ماله وعياله بين العدا، أوه من نار البلايا غريباً لا يرتجي، واجريحاً لا يداوى، ثم التفتت إلى الميمون فرأته يبكي و يصهل فانشدت:

وخبر عن السبط الشريف هدى العلا
وأين الذي قد كان للخطب حاماً
كفيل وللحمل الثقيل تحملها
تحمّم في خيماتنا ثم تصهلاً

فويلك يا ميمون فارجع بسرعة
أين تركت السبط ميمون قل لنا
أميمون تغدر بالحسين وما لنا
أميمون ضيعت الحسين وجئتنا

أميرون اسقيت الحسين حمامه
 وبين الأعدادي في دماء تجدلا
 ولكن قضاء الله أصبح منزلا
 وألقيته بين الأعدادي مجدلا
 قال عبد الله بن قيس:رأيت الجواد رجع من عند الحرير وحمل على القوم حتى وصل الى
 الجسد الشريف فجعل يوادعه ويمرغ ناصيته فوق أقدامه ويصله، ثم قصد القرارات وغاص
 فيه ولم ير له خبر بعد ذلك، ويقال أنه يخرج مع المهدى عليه السلام، والله العالم.

٢ - الغارة على النساء وسلبهم:

ما إن انتهوا من قتل الحسين عليه السلام وسلبه حتى غارت رعاع الجيش الزيدي الملعون رئيسهم
 ومرؤوسهم على خيام آل محمد عليه السلام فأضروا فيها النيران، وروي أن عمر بن سعد هو أول
 من طعن في سرادق الحسين عليه السلام، وشرعاً ينهبون ويسرقون دون رعاية حق أو حرمة لرسول
 الله عليه السلام ولم يكتفوا بالخيام بل تسابقوا على سلب نساء وأطفال آل محمد عليه السلام ما عليهم من
 حلي وحلل وثياب، ولم يكن لهؤلاء النساء والأطفال لواذ من هؤلاء الأعداء سوى الصحراء
 والبكاء.

١ - ذكرت فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام إنهم دخلوا عليها وهي جارية صغيرة في
 فسطاطها وفي رجلها خلخالان من ذهب فجعل رجل يفضّهما من رجلها وهو يبكي، فقالت
 له: ما يبكيك يا عدو الله؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب بنت رسول الله عليه السلام، فقالت له: لا
 تسلبني، فقال: أخاف أن يجيء غيري فياخذني.

٢ - ودخلوا على أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وأخت الحسين عليه السلام
 فأفضوا إلى قرط كان في أذنها فأخذوه وخرموا لها أذنها.

٣ - رأت فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام رجالاً على ظهر جواده ففرت منه فتبعدها
 فضررها بکعب الرمح بين كتفيها فسقطت على وجهها فخرم أذنها وأخذ قرطها ومقعتها.

٤ - وذكر الاخنس بن زيد فقال: جررت نطاً من تحت علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل
 حتى كبتته على وجهه، وخرمت أذني صفيحة بنت الحسين عليه السلام لقرطين كانوا في أذنيها.

٥ - وقال أبجر بن كعب أخذت قناع زينب عليه السلام من رأسها وقرطيها من أذنيها فجذبتها حتى

خرمتُ أذنيها، فقالت له زينب عليها السلام قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

أقول: وقد استجواب الله تعالى دعاء زينب عليها السلام وتحقق ذلك في أيام المختار كما سأ يأتي بيانه في محله.

-٦- ويروي المؤرخون عن زينب عليها السلام أنها قالت: كنا في ذلك الوقت جلوسا في الخيام إذ دخل علينا رجالاً وفيهم رجل أزرق العيون، فأخذ كل ما كان في خيمتنا التي كنا مجتمعين فيها ثم نظر إلى علي بن الحسين وهو مطروح على قطعة من الأديم فجدبها من تحته ورمي على الأرض، ثم أخذ قناعي من رأسي ونظر إلى قرط كان في أذني فعالجه وقرضه بأسنانه فخرم أذني ونزعه وجعل الدم يسيل على ثيابي، وهو مع ذلك يبكي ثم نظر إلى خلخال كان في رجلي فاطمة الصغرى فجعل يعالجهما حتى كسرهما وأخرج الخلخال منهما، فقالت له: تسلينا وأنت تبكي؟!!، فقال: أبكي لما حل بكم يا أهل البيت، قالت زينب: فخفقتي العبرة مع ووج أذني وبكاء فاطمة، قلت: له قطع الله يديك ورجليك وأذاقك الله النار في الدنيا قبل الآخرة، قال الراوي: فما كان إلا قليل حتى ظهر المختار بن عبد الله التقي في طالباً بثار الحسين فوقع في يده ذلك الرجل وهو خولي بن يزيد الأصبهي.

٣- كشف ستور حرم الرسول صلوات الله عليه:

ولم يكتف أعداء الله ورسوله صلوات الله عليه بنهب ما في المعسكر بل عمدوا إلى نساء الرسول صلوات الله عليه فسلبوا ما عليهم من مقانع ولباس حتى كشفوا رؤوسهن وهذا شيء إذا تقاد السماوات يتفترن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هذا إلا إنهم فعلوه ولم يبالوا ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

ولم يكن هذا بسبب اضطراب الأمور واحتلاط العابل بالنابل بل كان عملاً مقصوداً وحرمة للرسول صلوات الله عليه تعمدوا انتهاكهها طمعاً في النهاية واستخفاضاً بالحرمة، إذ تقول الأخبار إنهم أقبلوا حتى أحدقوا بالخيام ومعهم شمر بن ذي الجوشن فأمرهم بدخول الخيام ونبهها وسلب بزات النساء فدخل الأعداء وفعلوا ما أمروا به.

قال الراوي: وأقبلوا حتى أحدقوا بالخيام ومعهم شمر بن ذي الجوشن، فقال: أدخلوا فاسلبوا بزاتهن، فدخل القوم فأخذدوا كل ما كان بالخيام حتى أفسدوا إلى قرط كان في أذن أم كلثوم أخت الحسين عليها السلام فأخذدوه وخرموا أذنها.

والظاهر أن نهب متاع ويزارات نساء النبوة استمر حتى جاء عمر بن سعد إلى الخيام فاستفاضع هذا الأمر الفظيع، فقال: ألا لا يدخلن أحد بيوت هذه النسوة، ومن أخذ من متعاهن شيئاً فليرده، قال الراوي: والله ما ردَّ واحد منهم شيئاً غير أنهم كفوا، وإليك بعض الأخبار التفصيلية عن هتك حرمات النبي ﷺ، وما أفضعها من أخبار نذكرها مستسلمين لمشيخة الجبار:

١_ روى عن حميد بن مسلم قال: خرجت زينب بنت عليٍّ وقرطاها يجولان في أذنيها وهي تقول: ليت السماء أطبقت على الأرض، يا ابن سعد أُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه، فجعلت دموعه تسيل على خديه ولحيته فصرف وجهه عنها.

٢_ وجاء في زيارة الناحية الشهيرة: فلما رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سر جك عليه مليواً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور على الخدوود لاطمات، الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذلالات، والى مصر عك مبادرات -

أقول: فيكون خروجهن بهذا النحو هو قهر لهن بعد دخول الأعداء إلى خيامهن وسلب بزاتهن، لا اختياراً منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣_ وعن صاحب المناقب محمد بن أبي طالب قال:..... حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتى تغلب عليه.

٤_ وفي خبر آخر إنهم انتهوا كل شيء حتى الملاحف عن ظهور النساء.

٥_ ونقل العلامة المجلسي في البخار عن بعض الكتب إن فاطمة الصغرى عليها السلام كانت واقفة بباب الخيمة تنظر إلى أبيها عليه السلام وأصحابه مجرّدين كالأشباح والخيول على أجسادهم تجول فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء فلما قصدها فرت منهزمة فتبعها فذهلت خشية منه، فضرّبها بکعب الرمح بين كتفيها فسقطت على وجهها فخرم أذناها وأخذ قرطها ومقنعتها (المقنعة هي ستار الرأس): وترك الدماء تسيل على خدتها ورأسها تصهره الشمس وغشي عليها، قالت فاطمة: وإذا بعمتي زينب عليها السلام عندى تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل، فقامت وقلت: يا عمته هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظار، فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك، فرأيت رأسها مكسوفة ومتها قد أسود من الضرب.

٦_ ولقد استمرت نساء الرسالة هكذا مكسوفات الأستار قد هتك حرمتهن طوال يوم

عاشراء واليوم الذي يليه حتى وصلوا مشارف الكوفة، إذ يروي السيد: أن ابن سعد سار بالسي قلما قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهن فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأسرى أنتن؟ فقلن: نحن أسرى آل محمد ﷺ: فنزلت من سطحها وجمعت ملء وأزر ومقانع فأعطتهن فغطين... ومن الواضح أن المكان تستر الرأس، والأزر تستر ما تحت السرة، والملاء ما توضع على الرأس إلى أسفل الجسد مما يعني أن بنات الرسالة كن يفقدن هذه الألبسة او كانت عليهن ممزقات إلى حين أعطتهن إياها هذه المرأة الكوفية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٧- ومع هذه الثياب التي وصلتهم فإن بنات الرسالة بقين مكشوفات الوجوه طوال مدة السبي حتى رجعن من الشام كما سيأتي.

٤- إحراق الخيام:

ثم بعد أن سلبو خيام آل الرسول ﷺ وما فيها وسلب ما على أبدان الشهداء وما على ظهور النساء أخرجوا نساء الرسول ﷺ من الخيام وأشعلوا فيها النيران فخرجن نساء الرسول ﷺ حواسر مسلبات حافيات باكيات والنيران تأكل خيامهن.

٥- السبايا تودّع حماتها:

جاءت النسوة إلى أجساد القتلى ويا له من منظر إذ نظرن إلى إخوتهن وأبنائهن وآباءهن أجساداً بلا رؤوس، مقطعة الأوصال، مرملة بالدماء، معفورة بالتراب، مجردة عارية، تلفحها الرياح وحرارة الشمس، قد طاحتها حوافر الخيول، فصحن بأعلى أصواتهن ولطم وجوههن وصاحت زينب بنت عليٍّ تدب الحسين ﷺ وتنادي بصوت حزين وهي واضعة يديها على رأسها: يا محمداه صلي عليك ملوك السماء، هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبيناتك سبايا، وذريلتك مقتلة، إلى الله المستكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى علي المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه هذا حسين بالعراء، تسفي عليه ريح الصبا، قتيل أولاد البغايا، واحزناه ويا كربلاه، اليوم مات جدي رسول الله ﷺ، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرية المصطفى ﷺ يساقون سوق السبايا.

ثم بكت وقالت: والله على كل شئ شهيد وحفيظ، ثم إنها أخذت يد فاطمة الصغرى بنت الحسين، وهو كان يحبها حباً شديداً فجعلت تمرغ خدتها وشعرها في منحر أبيها وهي تنادي: وأبناه يعز علي والله أن أنا ديك وتخبني.

وفي رواية أخرى أنها ^{عليها السلام} نادت: يا محمداء بناتك سبايا، وذرتك مقتلة تسفي عليهم ريح الصبا، هذا حسين محزون الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي من أضحي عسكره يوم الإثنين نهاها، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من شيته تقطر بالدماء... فابكي صوتها هذا كل جلמוד، ثم وقعت على جسد أخيها الحسين ^{عليه السلام} وبسطت يديها تحت بدن المقدّس ورفعته نحو السماء ونادت نداءها الرياني التاريخي المشهور: إلهي تقبل منا هذا القربان.

وأما سكينة بنت الحسين ^{عليها السلام} فأقبلت على جسد أبيها واعتنقته فأغمي عليها فسمعت صوتاً يخرج من عنق الحسين ^{عليه السلام}:

ري عذب فاذكروني	شييعتي ما إن شربتم
أو شهيد فاندبوني	أو سمعتم بغرير

ف قامت مرعوبة قد قرحت مآقيها وهي تلطم على خديها.

وتفانلت النسوة في عناق وضم أجساد أحبائهن حتى جاء الملعون زحر بن قيس فصاح بهن فلم يقمن، فأخذ سوطه وشرع يضربهن واجتمع الناس عليهن فأقمنهن.

٦_ سوق النساء:

قالت فاطمة الصغرى: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا انظر إلى أبي وأصحابه مجرّزين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكّر فيما يقع علينا... فإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن البعض وقد أخذ ما عليهم من أحمره وأسوده وهن يصحن: واجداده، وأبتاباه، وأعلياه، وأقلة ناصراه، وأحسيناه، أما من مجرّر يجيرنا أما من زائد يزود عنا...

٧_ ضرب النساء:

وما تورعوا عن ضرب نساء آل محمد ^{عليهم السلام} وكان أكثرهن ضرباً العقبة زينب بنت علي ^{عليها السلام}، قالت فاطمة الصغرى في حديثها عن زينب ^{عليها السلام}..... فرأيت رأسها مكسوفة ومنتها قد اسود من الضرب.

بل وصل بهم الأمر حدّاً أن يصبح بينهم الصائح: لا تبقوا من أهل هذا البيت باقية ولا

تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً، وعندما وصلوا إلى خيمة علي بن الحسين عليهما السلام ووجدوه مريضاً على فراشه ينوه بنفسه جرَّ الشمر اللعين سيفه يريد قتله مدعياً أن ابن زياد أمره بقتل أولاد الحسين عليهما السلام!!! وما رده إلا تدخل بعض من حوله من لم يرتض قتل الصغار!!!

ففي بعض الأخبار أن علي بن الحسين عليهما السلام كان مع أبيه وهو ابن ثلات وعشرين سنة، وكان مريضاً نائماً على فراشه، فلما قتل الحسين عليه السلام قال شمر بن ذي الجوشن: أقتلوا هذا، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله أقتل فتى حدثاً مريضاً لم يقاتل، وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النساء ولا لهذا المريض، قال علي بن الحسين: فغبني رجل منهم وأكرم نزلي واختصني وجعل يبكي كلما خرج ودخل حتى كنت أقول إن يكن عند أحد من الناس خير ووفاء فعند هذا إلى أن نادي بن زياد ألا من وجد علي بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثة درهم قال فدخل والله علي وهو يبكي وجعل يربط يديه إلى عنقي وهو يقول أخاف فأخرجني والله إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثة درهم وأنا أنظر إليها.

٨ - جمع النساء:

ثم بعد انتهاء السلب والغارة دخل عمر بن سعد على النساء والأطفال فصحن في وجهه وبكين فأمر أصحابه أن لا يدخل أحد عليهم وأن لا يتعرضوا لعلي بن الحسين عليهما السلام، وسألته النساء أن يسترجعن ما أخذ منها ليسترن به: فقال: من أخذ من متعتهم شيئاً فليردده، مما ردوا شيئاً.

وكان جميع نساء آل محمد عليهما السلام وعددهن عشرون امرأة – سالمات إلا ما حكى عن شهر بانيه امرأة الحسين عليهما السلام من أنها أتلت نفسها في نهر الفرات، وأما الذكور فلم يبق منهم إلا إثنا عشر ذكراً كلهم أطفال لم يبلغوا الحلم وكان أكبرهم علي بن الحسين عليهما السلام الذي كان قد راهق الحلم، ويقال أنه كان في الثانية والعشرين وكان معه ابنه محمد الباقر عليهما السلام، وكان عمره ستة وشهور، ومن سلم من الذكور أيضاً زيد بن الحسن عليهما السلام، وعمرو بن الحسن عليهما السلام، وكان عمره أحد عشر عاماً، والحسن بن الحسن المثنى الذي قاتل مع عمه الحسين عليهما السلام وقتل رجالاً حتى أصابته الجراحات وقطعت يده اليمنى، ويقال أن الذي أنقذه من القتل هو خاله أسماء بن خارجه الفزارى لأن أم الحسن المثنى هي خولة بنت منظور بن زيان الفزارية من قبيلة بني فزاره.

_ قصة ولدي مسلم بن عقيل _

ومن بقي من عترة آل محمد عليه السلام طفلاً صغيراً من ولد مسلم بن عقيل، وكان من قصتهما ما يشهد لعظيم استهتار هذه الأمة الظالمة بدماء آل محمد عليه السلام، وكان من خبرهما ما رواه شيخنا الصدوقي بإسناده عن شيخ لأهل الكوفة، قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام أسر من معسكره غلامان صغيران، فأتي بهما عبد الله بن زياد، فدعا سجاناً له، فقال: خذ هذين الغلامين إليك، فمن طيب الطعام فلا تطعمهما، ومن البارد فلا تسقهما، وضيق عليهما سجنهما، وكان الغلامان يصومان النهار، فإذا جنّهما الليل أتيا بقرصين من شعير وكوز من الماء القراب، فلما طال بالغلامين المكث حتى صارا في السنة، قال أحدهما لصاحبه: يا أخي، قد طال بنا مكثنا، ويوشك أن تفنى أعمارنا وتبلّي أبداننا، فإذا جاء الشيخ فأعلمه مكاننا، وقرب إليه بمحمد عليه السلام لعله يوسع علينا في طعامنا، ويزيد في شرابنا، فلما جنّهما الليل أقبل الشيخ إليهما بقرصين من شعير وكوز من الماء القراب، فقال له الغلام الصغير: يا شيخ، أتعرف محمداً؟ قال: فكيف لا أعرف محمداً وهونبي؟ قال: أفتعرف جعفر بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف جعفر، وقد أبنت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء؟ قال: أفتعرف على بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرف علىاً، وهو ابن عم النبي وأخو النبي؟ قال له: يا شيخ، فتحن من عترة نبيك محمد عليه السلام، ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب، يدك أسارى، من طيب الطعام لا تطعمتنا، ومن بارد الشراب لا تسقينا، وقد ضيق علينا سجتنا، فانكب الشيخ على أقدامهما يقبلهما، ويقول: نفسي لنفسكم الفداء، ووجهي لوجهكم الواقع، يا عترة نبي الله المصطفى، هذا باب السجن بين يديكم مفتوح، فخذنا أي طريق شئتما، فلما جنّهما الليل أتاهم بقرصين من شعير وكوز من الماء القراب ووقفهما على الطريق، وقال لهم: سيرا - يا حبيبي - الليل، وأكمنا النهار حتى يجعل الله عز وجل لكم من أمر كما فرجا ومخراجا. ففعل الغلامان ذلك. فلما جنّهما الليل، انتهيا إلى عجوز على باب، فقالا لها: يا عجوز، إنما غلامان صغيران غريبان حدثان غير خبيرين بالطريق، وهذا الليل قد جتنا أضيفينا سواد ليتنا هذه، فإذا أصبحنا لزمنا الطريق. فقالت لهم: فمن أنتما يا حبيبي، فقد شمت الروائح كلها، مما شمنت رائحة أطيب من رائحتكم، فقالا لها: يا عجوز، نحن من عترة نبيك محمد عليه السلام، هربنا من سجن عبد الله بن زياد من القتل، قالت العجوز: يا حبيبي، إن لي ختنا فاسقاً، قد شهد الواقعية مع عبد الله بن زياد، أتخوف أن يصيّركما هاهنا فيقتلوكما قال: سواد ليتنا هذه، فإذا أصبحنا لزمنا الطريق. فقالت: سأتكما بطعم، ثم أتهما بطعم فأكلَا وشربا. فلما ولجا الفراش، قال الصغير لل الكبير: يا أخي، إنما نرجو أن تكون قد أمنا ليتنا هذه،

فتعال حتى أعانفك وتعانقني وأشم رائحتك وتشم رائحتي قبل أن يفرق الموت بيننا. ففعل الغلامان ذلك، واعتنقا وناما. فلما كان في بعض الليل أقبل ختن العجوز الفاسق حتى قرع الباب قرعا خفيفا، فقالت العجوز: من هذا؟ قال: أنا فلان. قالت: ما الذي أطرفك هذه الساعة، وليس هذا لك بوقت؟ قال: ويحك افتحي الباب قبل أن يطير عقلي وتنشق مراتبي في جوفي، جهد البلاء قد نزل بي. قالت: ويحك ما الذي نزل بك؟ قال: هرب غلامان صغيران من عسكر عبيد الله بن زياد، فنادي الأمير في معسكته: من جاء برأس واحد منهم فله ألف درهم، ومن جاء برأسيهما فله ألفا درهم، فقد أتعبت وتعبت ولم يصل في يدي شيء. فقالت العجوز: يا ختنى، احذر أن يكون محمد عليه السلام خصمك في يوم القيمة. قال لها: ويحك إن الدنيا محرص عليها. قالت: وما تصنع بالدنيا، وليس معها آخرة؟ قال: إني لأراك تحامين عنهم، كأن عندك من طلب الأمير شيئا، فقومي فإن الأمير يدعوك. قالت: وما يصنع الأمير بي، وإنما أنا عجوز في هذه البرية؟ قال: إنما لي طلب، افتحي لي الباب حتى أريح وأستريح، فإذا أصبحت بكرت في أي الطريق آخذ في طلبهما. ففتحت له الباب، وأنته بطعام وشراب فأكل وشرب. فلما كان في بعض الليل سمع غطيط الغلامين في جوف البيت، فأقبل يهيج كما يهيج البعير الهائج، ويخرج كما يخور الثور، ويلمس بكفه جدار البيت حتى وقعت يده على جنب الغلام الصغير، فقال له: من هذا؟ قال: أما أنا فصاحب المنزل، فمن أنتما؟ فأقبل الصغير يحرك الكبار ويقول: قم يا حبيبي، فقد والله وقنا فيما كنا نحاذره. قال لهما: من أنتما؟ قال له: يا شيخ، إن نحن صدقناك فلتا الأمان؟ قال: نعم. قالا: أمان الله وأمان رسوله، وذمة الله وذمة رسوله؟ قال: نعم. قالا: محمد بن عبد الله على ذلك من الشاهدين؟ قال: نعم. قالا: والله على ما نقول وكيل وشهيد؟ قال: نعم. قال له: يا شيخ، فنحن من عترة نبيك محمد عليه السلام، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل. فقال لهم: من الموت هربتما، وإلى الموت وقتما، الحمد لله الذي أظفرني بكم. فقام إلى الغلامين فشد أكتافهما، فبات الغلامان ليتهما مكتفين. فلما انفجر عمود الصبح، دعا غلاما له أسود، يقال له: فليح، فقال: خذ هذين الغلامين، فانطلق بهما إلى شاطئ الفرات، واضرب عنقيهما، واثنى برأسيهما لأنطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفي درهم. فحمل الغلام السيف، ومشى أمام الغلامين، فما مضى إلا غير بعيد حتى قال أحد الغلامين: يا أسود، ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ! قال: إن مولاي قد أمرني بقتلکما، فمن أنتما؟ قال له: يا أسود، نحن من عترة نبيك محمد عليه السلام، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل: أضافتنا عجوزكم هذه، ويريد مولاك قتلنا. فانكب الأسود على أقدامهما يقبلهما ويقول: نفسي لنفسكما الفداء، ووجهي لوجهكما الوقاء، يا عترة نبي الله المصطفى، والله لا يكون محمد عليه السلام خصمي في القيمة.

ثم عدا فرمى بالسيف من يده ناحية، وطرح نفسه في الفرات، وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاه: يا غلام عصيتي! فقال: يا مولاي، إنما أطعتك ما دمت لا تعصي الله، فإذا عصيت الله فأنا منك برع في الدنيا والآخرة. فدعا ابنه، فقال: يابني، إنما أجمع الدنيا حلالها وحرامها لك، والدنيا محرض عليها، فخذ هذين الغلامين إليك، فانطلق بهما إلى شاطئ الفرات، فاضرب عنقيهما واتبني برأسيهما، لأنطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد وآخذ جائزة ألفي درهم. فأخذ الغلام السيف، ومشى أمام الغلامين، فما مضى إلا غير بعيد حتى قال أحد الغلامين: يا شاب، ما أخووفي على شبابك هذا من نار جهنم! فقال: يا حبيبي، فمن أنتما؟ قال: من عترة نبيك محمد صلوات الله عليه وآله وسالم، يريد والدك قتلنا. فانكب الغلام على أقدامهما يقبلهما، وهو يقول لهما مقالة الأسود، ورمي بالسيف ناحية وطرح نفسه في الفرات وعبر، فصاح به أبوه: يابني عصيتي! قال: لان أطيع الله وأعصيك أحب إلى من أن أعصي الله وأطيعك. قال الشيخ: لا يلي قتكلكم أحد غري، وأخذ السيف ومشى أمامهما، فلما صار إلى شاطئ الفرات سل السيف من جفنه، فلما نظر الغلامان إلى السيف مسلولاً اغروقت أعينهما، وقال له: ياشيخ، انطلق بنا إلى السوق واستمتع بأثماننا، ولا ترد أن يكون محمد خصمك في القيامة غداً. فقال: لا، ولكن أقتلكم وأذهب برأسيكما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفي درهم. فقال له: ياشيخ، أما تحفظ قرابتنا من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم? فقال: ما لكما من رسول الله قرابة. قال له: ياشيخ، فائت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره. قال: ما إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليه بدمكم. قال له: ياشيخ، أما ترحم صغر ستنا؟ قال: ما جعل الله لكم في قلبي من الرحمة شيئاً. قال: ياشيخ إن كان ولا بد، فدعنا نصلّي ركعات. قال: فصلّيا ما شئتما إن نفعتكم الصلاة. فصلّى الغلامان أربع ركعات، ثم رفعا طرفيهما إلى السماء فناديا: يا حي يا حليم يا أحکم الحاکمين، أحکم بيننا وبينه بالحق. فقام إلى الأکبر فضرب عنقه، وأخذ برأسه ووضعه في المخلة، وأقبل الغلام الصغير يتمرغ في دم أخيه، وهو يقول: حتى ألقى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم، وأنا مختبب بدم أخي. فقال: لا عليك سوف الحقك بأخيك، ثم قام إلى الغلام الصغير فضرب عنقه، وأخذ رأسه ووضعه في المخلة، ورمي بيديهما في الماء، وهم يقطران دماً. ومر حتى أتى بهما عبيد الله بن زياد وهو قاعد على كرسي له، وبيده قضيب خيزران، فوضع الرأسين بين يديه، فلما نظر إليهما قام ثم قعد ثم قام ثم قعد ثلاثة، ثم قال: الويل لك، أين ظفرت بهما؟ قال: أضافتهما عجوز لنا. قال: فما عرفت لهما حق الضيافة؟ قال: لا. قال: فأي شيء قال لك؟ قال: قال: ياشيخ، أذهب بنا إلى السوق فبعنا وانتفع بأثماننا فلا ترد أن يكون محمد صلوات الله عليه وآله وسالم خصمك في القيامة. قال: فأي شيء قلت لهم؟ قال: قلت: لا، ولكن أقتلكم وأنطلق برأسيكما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفي درهم. قال: فأي شيء قال لك؟

قال: قالا: انت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره. قال: فأي شيء قلت؟ قال: قلت: ليس إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليه بدمكما. قال: أفلأ جثتني بهما حيين، فكنت أضعف لك الجائزة، وأجعلها أربعة آلاف درهم؟ قال: ما رأيت إلى ذلك سبيلاً إلا التقرب إليك بدمهما. قال: فأي شيء قالا لك أيضاً؟ قال: قال لي: يا شيخ، احفظ قرابتنا من رسول الله. قال: فأي شيء قلت لهما. قال: قلت: ما لكم من رسول الله قرابة. قال: ويلك، فأي شيء قالا لك أيضاً؟ قال: قالا: يا شيخ، ارحم صغر سننا. قال: فما رحمتهما؟ قال: قلت: ما جعل الله لكم من الرحمة في قلبي شيئاً. قال: ويلك، فأي شيء قالا لك أيضاً؟ قال: قالا: دعنا نصلّي ركعات. فقلت: فصلّيا ما شئتما إن نفعتكم الصلاة، فصلّى الغلامان أربع ركعات. قال: فأي شيء قالا في آخر صلاتهما؟ قال: رفعا طرفهما إلى السماء، وقالا: يا حي يا حليم، يا أحكم الحاكمين، أحكم بيننا وبينه بالحق. قال عبيد الله بن زياد: فإن أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، من للفاسق؟ قال: فانتدبه له رجل من أهل الشام، فقال: أنا له. قال: فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين، فاضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما وعجل برأسه، ففعل الرجل ذلك، وجاء برأسه فنصبه على قناء، فجعل الصبيان يرمونه بالنبال والحجارة وهم يقولون: هذا قاتل ذرية رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ) (١).

١٠- قصة ولدي جعفر الطيار

هذا وقد روى الرواة قصة قريبة من القصة المتقدمة بل تكاد تكون عينها إلا أنهم زعموا أن الولدين هما من ولد جعفر الطيار، رواها الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين عليهما السلام بإسناد قوي عن إمام أهل السنة محمد بن يحيى الذهلي، قال: لما قتل الحسين عليهما السلام بكرباء هرب غلامان من عسكر عبيد الله بن زياد أحدهما يقال له: إبراهيم، والآخر يقال له محمد، من ولد جعفر الطيار في الجنة فإذا هما بأمرأة تستقي فنظرت إلى الغلامين، وإلى حسنهما وجمالهما، فقالت لهما: من أنتما؟ فقالا: نحن من ولد جعفر الطيار في الجنة، هربنا من عسكر عبيد الله بن زياد فقالت المرأة: إن زوجي في عسكر عبيد الله بن زياد، ولو لا أني أخشى أن يجيئ الليلة لأضفتكم وأحسنت ضيافتكم، فقالا لها: أيتها المرأة انطلقي بنا فنرجو أن لا يأتي زوجك الليلة، فانطلقت المرأة والغلامان حتى انتهيا بهما إلى منزلها فأتتهما ب الطعام، فقالا: مالنا في الطعام من حاجة، ائتنا بمصلى نقضي نوافلنا فأتتهما بمصلى، فصلّيا فانطلقا إلى مضجعهما فقال الأصغر للاكبر: يا أخي ويا ابن امي الترمي واستنشق من رائحتي فاني أظن أنها آخر ليلتي، لأن أصبح بعدها وساق الحديث نحو ما مر إلى أن قال: ثم هز السيف وضرب عنق

الاكبر ورمى ببدنه الفرات، فقال الاصغر: سألك بالله أن ترکني حتى أتمرغ بدم أخي ساعة، قال: وما ينفعك ذلك؟ قال: هكذا أحب، فتمرغ بدم أخيه إبراهيم ساعة، ثم قال له: قم فلم يقم فوضع السيف على قفاه، فضرب عنقه من قبل القفا ورمى ببدنه إلى الفرات، فكان بدن الاول على وجه الفرات ساعة، حتى قذف الثاني فأقبل بدن الاول راجعاً يشق الماء شقاً حتى التزم بدن أخيه، ومضيا في الماء، وسمع هذا الملعون صوتاً من بينهما وهما في الماء: رب تعلم وترى ما فعل بنا هذا الملعون، فاستوف لنا حقنا منه يوم القيمة ثم قال: فدعوا عبيد الله بغلام له أسود يقال له: نادر. فقال له: يا نادر دونك هذا الشيخ شد كتفيه فانطلق به الموضع الذي قتل الغلامين فيه، فاضرب عنقه، وسلبه لك، ولك عشرة آلاف درهم، وأنت حر لوجه الله، فانطلق الغلام به إلى الموضع الذي ضرب أعناقهما فيه، فقال له: يا نادر لا بد لك من قتلي؟ قال: فضرب عنقه فرمى بجيفته إلى الماء، فلم يقبله الماء، ورمى به إلى الشط وأمر عبيد الله بن زياد أن يحرق بالنار، ففعل به ذلك وصار إلى عذاب الله^(١).

(١) مقتل الحسين عليه للخوارزمي ج٢ ص٥٤ ح٢٧ ، بحار الأنوار ج٤٥ ص١٠٥

الباب الثاني

آل محمد ﷺ في الكوفة

١- السبايا من كربلاء إلى الكوفة:

قد عرفت أنه تم تسير الرؤوس إلى الكوفة في نفس اليوم العاشر إلا أن السبايا والأسرى قد بقوا في عرصه كربلاء إلى زوال اليوم الحادى عشر فجموئن وكن عشرين امرأة وأحد عشر طفلاً ذكراً معهم علي بن الحسين عليه السلام وهو الوحيد^(١) من ولد الحسين عليه السلام، وفيهم عمر وزيد والحسن أولاد الحسن المجتبى عليه السلام، ثم أركبوهم على أحلاس أقتاب^(٢) فقط بغير وطاء مكسوفين لا شيء يسترهم من حر الشمس أو قر البرد أو غبار الطريق أو كعب رمح أو سوط جلاد أو أعين النظارة، ونساء الرسالة على هذا الحال الفظيع الذي ذكرناه مكسوفات الستر منتهكين الحرمة مُستَدَّلات حزينات باكيات معولات، وقد وصفهن في زيارة الناحية بما يفجع القلوب فقال: وسي أهلك كالعييد، وصَدَّدوا في الحديد، فوق أقباب المطبات، تُفتح وجوههن حر الهجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يطاف بهم في الأسواق، فالويل للعصاة الفساق. نعم هكذا سار بهن عمر بن سعد مع بقية جيشه العاتي، سار بهن على هذا النحو طوال الطريق من كربلاء إلى الكوفة وهو طريق يمتد يومين في تلك الأيام.

ويمكنا هنا أن نتخيل عبيد الله بن زياد وهو يبعث رجاله ليتشروا في ساحات الكوفة وأزقها ودوابين قبائلها وأحيائها القريبة والبعيدة ويخبرونهم بفرح واستبشران بقتل الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه وسي نسائه وعترته ويحددون لهم مكان وساعة وصول قطار السبايا والأسرى، ويأمرونهم بإظهار الفرح والسرور!!، ولهذا فقد عطلت الأسواق وأغلقت الدكاكين واجتمع الناس خلقاً كثيراً خلقاً حلقاً على مداخل الكوفة للنظر إلى هذا الموكب الرهيب موكب السبايا والأسرى من آل محمد ﷺ.

(١) وذكر بعض المؤرخين أنه نجى للحسين عليه السلام ذكر آخر وهو عمر بن الحسين عليه السلام وكان عمره أربع سنوات.

(٢) أحلاس أقتاب: أي كساء يوضع على ظهر البعير صغير على قدر سنان البعير فقط.

٢- السبايا يدخلون الكوفة:

وبالفعل وصل موكب السبايا إلى مداخل الكوفة وهناك امرأة من الكوفيات كان ما زال فيها بعض الغيرة فاستعظمت منظر نساء آل محمد عليهما السلام، فقامت فجمعت أزراً ومقانع فأعطتهن للسبايا المكسوفات فلبسن وتغطين بها.

وصل الموكب إلى مدخل الكوفة باببني خزيمة، ووقفوا هناك ساعة من النهار، ثم دخل موكب آل محمد عليهما السلام إلى الكوفة وهم على أربعين شقة تتحمل على أربعين جملًا فيها أولاد محمد عليهما السلام ونساؤه على أقتاب بغير وطاء بنحو مهين لا يكاد يحتمله عقل مسلم.

تحيط بهم الجنود من كل جانب، والبوقات تضرب، والرايات تخفق فوقهم، يتقدمهم رأس الحسين عليهما السلام على رمح طويل، ومن خلفه السبايا وهم مكبّلين بالحبال، وأول السبايا خلف الرأس الشريف أم كلثوم عليها برقع خر أدن وهي تنادي: يا أهل الكوفة نحن والله سبايا الحسين عليهما السلام، غصوا أبصاركم عن النظر إلينا، معاشر الناس أما تستحيون من الله ورسوله عليهما السلام تتظرون إلى حريم نبِّيكم وحريرم علي المرتضى وفاطمة الزهراء عليها السلام.

يروى عن مسلم الجصاص، قال: كنت في ذلك اليوم دعيت لأجصص دار ابن زياد في بينما أنا أشتغل وإذا بالأصوات وقد رفعت في جوانب الكوفة، فسألت خادماً عن ذلك فقالت: ستأتي إلينا رأس خارجي، فقلت: ما اسم صاحبها، فقال لي: الحسين، فلما سمعت ذلك تركتها حتى خرجت من القصر، فإذا أهل الكوفة لابسين الثياب الفاخرة وهم يرقبون رأس الحسين عند دخولها، وبعد قليل أقبلت الجمال عليها حريم الحسين والشهداء وهم بغير وطاء ولا غطاء!!!.

وعلي بن الحسين عليهما السلام على بغير وطاء أيضاً وأوداجه ^(١) تشخب دماً ويده مغلولة إلى عنقه، وفي عنقه الجامعة، وهو يبكي ويقول:

يا أمّة لم تُرَاعِ جَدَّنا فينا

يوم القيمة ما كتُمْ تقولونا

يا أمّة السوء لا سقيا لِرَبِّعَكُمْ

لو أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ يَجْمِعُنَا

(١) أقول: والسبب في أن أوداجه تشخب دماً هو حديد الجامعة وهي طرق حديدية حول العنق مربوطة بسلاسل متعددة إلى طوقين للذيلين وطوقين للرجلين، ولم يكن الحديد في تلك الأيام ناعماً بل كان خشنًا كان يبقى له زوايا وحرافش تحف بالعنق مما يؤدي إلا إدماء العنق وكذلك اليدين والرجلين.

تسِيرُونا على الأقتاب عارية
 بني أمية ما هذا الوقوف على
 تصفّقون علينا كفّكم فرحاً
 أليس جدي رسول الله ﷺ ويلكم
 يا وقعة الطف قد أورثتني حزناً

كأننا لم نشيد فيكم ديناً
 تلك المصائب لا تلبون داعيناً
 وأنتم في فجاج الأرض تسربوناً
 أهدي البرية من سبل المضليناً
 والله يهتك أستار المسيئيناً

يجعل أهل الكوفة ينظرون إلى هذا المنظر العظيم وهم ينوحون ويكونون، والنساء يندبن مشقةات الجيوب، فقال علي بن الحسين عليهما السلام ضعيف قد أنهكه المرض والتعب: أينو حون ويكون من أجلنا!! فمن قتلنا غيرهم.

واستمر هذا الموكب المحمدي يسير في أزقة الكوفة وأهل الكوفة ينظرون ويكونون وجعلوا يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم وربما في مواضع أخرى تصبح زينب عليها وتقول: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وتأخذ ذلك من أيدي الأطفال ومن أفواههم وترمي به إلى الأرض، وهكذا حتى انتهى موكب السبايا والأسرى إلى إحدى ساحات الكوفة واستقر هناك، ولا أظن إلا أن هذه الساحة هي المسجد الاعظم «مسجد الكوفة» حيث مركز الكوفة وقصر الإمارة.

وفي الساحة كان اجتماع الناس إجتماعاً عظيماً ووقع كلام بين السبايا والأسرى مع أهل الكوفة، ولعل أول المتكلمين مع الناس هي زينب الكبرى بنت علي عليهما السلام فإنها عندما رأت أهل الكوفة بهذا التحول توجهت نحوهم وخطبت فيهم خطبتها النورانية التاريخية.

٣- خطاب زينب عليهما السلام في أهل الكوفة:

قال حذيم^(١) بن بشير الأسد: نظرت إلى زينب بنت علي عليهما السلام يومئذ ولم أر والله خفراً أنطق منها، كأنما تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدى الأنفاس وسكتت الأجراس ثم قالت:

الحمد لله والصلة على أبي محمد ﷺ وآل الطيبين الطاهرين الأخير، أما بعد:

(١) قد اختلف المصنفون في تصحيف اسمه اختلافاً كبيراً.

يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبكون! فلا رقائق الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتحذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطاف وملق الإماماء وغمز الأعداء كمرعى على دمنة (مجمع الأوساخ) أو كفحة على ملحودة (ميته في اللحد)، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتتحجرون، أي والله فابكونوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبت بعارها (وشمارها) وشنانها ولن ترخصوها (تغسلوها) بغسل بعدها أبداً، وأئنَّ ترخصون قتل سليل خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خير تكم، ومنار حجتكم، ومدرة ستكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفة، وبؤتم بغضب من الله، وضررت عليكم الذلة والمسكنة.

ويعلمكم يا أهل الكوفة، أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، لقد جثتم شيئاً إداً تقاد السماوات يتقطرن منه وتشق الأرض وتخر الجبال هذا، لقد جثتم بها صلباء عنقاء (داهية) خرقاء شوهاء كطلاع (ملء) الأرض وملاء السماء، أفعجتكم أن قطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تتصرون، فلا يستخفنكم المهل فإنه لا تحفظه البدار ولا يخاف فوت الثار وإن ربكم لبالمرصاد، ثم أنسأت تقول:

<p>ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي مثل العذاب الذي أودى على إرم</p>	<p>ماذا تقولون إذا قال النبي لكم بأهل بيتي وأولادي ومكرمتى ما كان ذاك جزائي إذ نصحت إني لأخشى عليكم أن يحل بكم</p>
--	--

وعندما وصلت زينب ؛ في خطبتها إلى هذا المقطع ضجَّ الناس.

قال الراوى بشير الأسدى: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون قد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيئاً واقفاً إلى جنبي يبكي وقد اخضلت لحيته بالبكاء ويده مرفوعة إلى السماء وهو يقول بأبى أنتم وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى.

فقال لها زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: يا عمة اسكنتي فقي الباقى من الماضى اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فاهمة غير مفهمة، إن البكاء والحنين لا يردا من قد أباده الدهر، فسكتت.

بيان: الصلف هو من يمدح نفسه بما ليس فيه، والنطاف هو من يقذف غيره بالفجور، وملق الإمام هو تذلل الأذلاء الذين هم في نهاية الضعف والخور والعجز، والغمز هو الطعن والأذى بالقول والإشارة، والمدرة زعيم القوم، وقد فسرنا بعض الكلمات أثناء سرد الخطبة.

٤- خطاب أم كلثوم:

وكذلك تكلمت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام، مع جمع أهل الكوفة فقالت لهم: صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم وتبكينا نساكم !! فالحاكم بيتنا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

وكان من كلامها معهم أيضاً رافعة صوتها بالبكاء:

يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتمنوه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسببتم نساءه ونكبتموه، فتبأ لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم، وأي وزير على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتموها، وأي كريمة اصبتموها، وأي صبية سلبتموها، وأي أموال انتهبتموها، قتلتم خير رجالات بعد النبي عليه السلام، وزنعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون، ثم قالت:

ستُجزِّونَ ناراً حَرُّهَا يَتَوَقَّدُ وَحْرَمَهَا الْقُرْآنُ ثُمَّ مُحَمَّدٌ لَفِي سَقْرٍ حَقَّاً يَقِينًا تَخْلَدُوا عَلَى خَيْرٍ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ سَيُولَدُ عَلَى الْخَدْمَنِي ذَائِبًا لَيْسَ يَجْمَدُ	قُتِلْتُمْ أَخِي صَبِرًا فَوَيْلَ لِأَمْكُمْ سَفَكْتُمْ دَمَاءَ حَرَّمَ اللَّهُ سَفَكَهَا أَلَا فَأَبْشِرُوْنَ بِالنَّارِ إِنْكُمْ غَدَأُ إِنِّي لَأَبْكِي فِي حَيَاتِي عَلَى أَخِي بِدَمِعِ غَزِيرِ مَسْتَهْلِكِ مَكْفَكَفِ
---	--

وفي هذا الحال ضجَّ الناس بالبكاء والحنين والنوح، ونشر نساء أهل الكوفة شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمسن وجوههن، وضربن خدوذهن، ودعين بالويل

والثبور، وبكي الرجال ونفوا لحاحهم، فلم يرَ باك وباكية أكثر من ذلك اليوم.

٥- خطاب فاطمة الصغرى^(١):

وcame أيضاً فاطمة الصغرى بنت الحسين عليهما السلام فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحمض وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن ولده ذيحو بشرط الفرات بغير ذحل ولا ترات، اللهم إني أعوذ بك أن أفترى عليك الكذب وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت منأخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليهما السلام حقه المقتول بغير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيته من بيت الله تعالى فيه معاشر مسلمة بالاستheim، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتى قضيته إليك محمود النقيبة طيب العريكة معروفة المناقب مشهور المذاهب، لم يأخذك الله فيك لومة لائم ولا عذر عاذل، هديته رب للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كثيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلواتك عليه وآله حتى قضيته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاختerte وهديته إلى صراط مستقيم.

أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيانة، فإننا أهل البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عية علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجه في الأرض لبلاده ولعباده، أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد عليهما السلام على كثير من خلق تفضيلاً بيناً فكذبتمونا وكفرتمونا، ورأيتم قاتلنا حلالاً وأمواناً نهباً، كأننا أولاد ترك أو كابل كما قلتكم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم، قررت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراء منكم على الله، ومكرأً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجدل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكם والله لا يحب كل مختال فخور.

(١) عندما جاء الحسن بن الحسن عليهما السلام إلى عم الإمام الحسين عليهما السلام ليخطب إحدى بناته قال له الحسين عليهما السلام: إني أختار لك فاطمة فهي أكثر شبهها بأمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله عليهما السلام أما في الدين فتقوم الليل كلها وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين.

تبأ لكم فانتظروا اللعنة والعقاب وكأنه قد حلّ بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحقكم بما كسبتم ويديق بعضكم بأمس بعض ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيمة بما ظلمتمونا،
ألا لعنة الله على الظالمين.

وبلكم أتدرؤن أية يد طاعتكم، وأية نفس نزعت إلى قاتلنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا،
تبغون محاربتنا، قست قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفندتكم، وختم على سمعكم
وبصركم، وسؤال لكم الشيطان وأملأ لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبأ لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله ﷺ قبلكم، وذحول له لدикكم، بما عندتم
بأخيه علي بن أبي طالب عليهما السلام جدي وبنيه عترة النبي الطاهرين الأخيار، وافتخر بذلك
مفتخركم، فقال:

بسیوف هندیة ورماح	نحن قتلنا علیاً وبنی علی
ونطحناهم فأیُّ نطاھ	وسینا نسائِهم سیَ ترك

بفيك أيها القائل الكثث (ولك) الأثلب، افتخرت بقتل قوم زَّاكِهم الله وظَّهرَهم وأذهب
عنهم الرجس، فاكظم واقع كما أفعى أبوك، وإنما لكل امرئ ما قدمت يداه، حسدتمونا –
ويلا لكم – على ما فضلنا الله عليكم.

وبحرُك ساجِ لا يواري الدعامصا	فما ذنبنا أن جاش دهراً بحورُنا
-------------------------------	--------------------------------

ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

هنا بعد هذا الكلام الذي يفجر الصمم الصلب ارتفعت أصوات أهل الكوفة بالبكاء،
وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين، فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجواننا.
فسكتت عليهما.

بيان: الكثث هو التراب الدقيق، والأثلب هو الحجر الدقيق، والداعم صا جمع دعموص
وهو دوببة صغيرة تكون في مستنقع الماء، أي أن مأوئهم ضحلة لا تطمر الحشرات.

٦- خطاب زین العابدین عليه السلام:

ثم قام علي بن الحسين عليهما السلام في الناس قائماً فأولما إليهم أن اسكتوا، فسكتوا، فحمد الله

وأثنى عليه وذكر النبي وصلى عليه، ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفي فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهبا ماله، وسيبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، وكفى بذلك فخراً، أيها الناس ناشدتم بالله هل تعلمون أنكم كتبتكم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه، فتبّاً لما قدمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرن إلى رسول الله عليه السلام إذ يقول لكم: قاتلتم عترتي وانتهكتم حرمتى فلستم من أمتى.

فارتقت هنا أصوات أهل الكوفة من كل ناحية يقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون، فقال لهم علي بن الحسين عليهما السلام: رحم الله أمرءاً قبل نصحيتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله عليه السلام أسوة حسنة.

وهي ثارت النخوة مجددًا على لسان أهل الكوفة فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله عليهما السلام سامعون مطيعون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك برحمك الله، فإن حرب لحربك وسلم لسلمك، لأنخذن يزيد ونبأ ممن ظلمك وظلمتنا.

قال لهم عليهما السلام: هيئات هيئات أيها الغدرة المكررة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إلى كما أتيتكم إلى آبائي من قبل، كلا ورب الراقصات فإن الجرح لما يندمل، قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه ولم ينسني ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهاطي، (الحمة في أقصى الفم)، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغضصه يجري في فراش صدرى، ومسئلتى أن لا تكونوا لنا ولا علينا، ثم قال:

<p>قد كان خيراً من حسين وأكر ما أُصيب حسين كان ذلك أعظماً جزاء الذي أرداه نار جهنما</p>	<p>لا غزو إن قتل الحسين وشيخه فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذى قتل بشط النهر روحي فداؤه</p>
---	--

٧- إحضار الرؤوس:

وفي إحدى هذه الخطابات وبالتحديد أثناء خطاب أم كلثوم بنت علي عليهما السلام حدث خطب جليل أثار ضجة الحشود وأدى إلى انشغالهم عن خطاب أم كلثوم وأشاحوا بأبصارهم إلى جهة أخرى حيث الخطب الجلل، ألا وهو إحضار قافلة رماح مرفوعة عليها في أعلىها رؤوس

الشهداء الأبرار يقدمهم رأس الحسين عليه أشبه وجهه رسول الله عليه، رأس يشع نوراً كأنه قمر طالع، والرماح تلعب بالرؤوس وبرأس الحسين عليه وتلوح بها يميناً وشمالاً احتفالاً وامتهاناً، وكان هذا منظراً رهيباً عظيم الثقل على قلب زينب الكبرى عليه التي نظرت إلى هاتيك الرؤوس فلاح لها رأس أخيها عليه فنفتحت جينيها بمقدم المحمل حتى خرج الدم غزيراً من تحت قناعها، وأومأت إلى رأس أخيها بخرقة بيدها وقالت:

غاله خسفة فأبدا غروبا	يا هلاً لما استم كاما
كان هذا مقدراً مكتوبا	ما توهمت يا شقيق فؤادي
فقد كاد قلُّها ان يذوبا	يا أخي فاطم الصغيرة كَلِّها
ما له قد قسا وصار صليبا	يا أخي قلبك الشفيف علينا
مع الitem لا يطيق وجوبا	يا أخي لو ترى علياً لدى الأسر
بذل يفيض دمعاً سكوبا	كلما أوجعوه بالضرب ناداك
وسكن فؤاده المرعوبا	يا أخي ضمه إليك وقربه
بأبيه ولا يراه مجيما	ما أذلَّ اليتيم حين ينادي

أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بعين الله تعالى دمائهم ودموعهم وعباراتهم، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد وذريتهم وشيعتهم أي منقلب ينقلبون.

- السبايا إلى السجن:

وهكذا مضت الساعات ونساء آل محمد عليه وأطفاله بين يدي الجلاوزة، تصبح بوجوههم وتترعهم بالرماح تحت أنظار حشود أهل الكوفة.

وبعد هذه الساعات التاريخية المهولة جاء أمر الأمير عبيد الله بن زياد بسوق نساء وأطفال محمد عليه إلى السجن، فجئي بعلي بن الحسين عليه فغلّوه من جديد وحمل مع النسوة إلى السجن، فما يمر بزقاق من أزقة الكوفة إلا وكان مليئاً بالرجال والنساء ينظرون ويبكون ويضربون بوجوههم.

واستمر العتاة الظلمة يسوقون آل محمد عليه السلام على هذا الحال حتى أودعوهم في سجن وأطبقوه عليهم، وهذا السجن هو دار يقع إلى جانب مسجد الكوفة، وعندما أدخلت زينب بنت علي عليها السلام إلى هذا السجن قالت كلمتها المعبرة: لا تدخل علينا عربية إلا أم ولد أو مملوكة فإنهن سين كمَا سينـاـ!.

٩- السبايا عند ابن زياد:

وفي نفس هذا اليوم أو في اليوم التالي جلس الأمير عبيد الله بن زياد في قصر الإمارة وأمر بفتح باب القصر، وأذن للناس إذنًا عاماً كما هي عادة الأمراء في الأيام المشهودة أو الأعياد والأفراح، فجاءت السيدات ومشايخ القبائل وأعيان مصر وجموع المتملقين فيجلسوا مجالسهم، ثم أمر الأمير ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فوضعوه بين يديه، ولكي يتم المنظر ويشفي حقده الدفين أمر أن يدخلوا عليه في هذا المجلس نساء محمد عليه السلام وصبيانه، فأدخلوا على هذه الحال وفيهن امرأة جليلة عليها أرذل ثيابها متنكرة، فمضت حتى جلست ناحية وحفت بها إماوها، وقد لفت بجلالتها نظر عبيد الله بن زياد فلم يعرفها، فقال: من هي التي انحازت وجلست ناحية ومعها نساوها، وهو يوجه السؤال إلى هذه السيدة الجليلة، ولكنها لم تجبه، فأعاد السؤال ثانية فلم تجبه، فأعاد السؤال ثالثة فلم تجبه، فقالت له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثكم.

قالت زينب عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلوات الله عليه وسلم، وطهّرنا من الرجس تطهيرا، إنما يُفْتَضَحُ الفاسق ويُكَذَّبُ الفاجر، وهو غيرنا، فقال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك، فقالت: ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فيرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا بن مرجانة.

ولما سمع ذلك عبيد الله بن مرجانة هذه الإهانة وهو الأمير المتغطرس الفرح والمنتشي بنصره غصب حتى كأنه هم بزينب، فقال عمرو بن حرث: إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فاستحب أن كان يستحب، ثم قال لزينب عليها السلام: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

قالت زينب عليها السلام: لعمري لقد قلت كهلي، وقطعت فرعى، واجتشت أصلى، فإن كان هذا

شفاؤك فقد اشتفيت.

فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعمري كان أبوك سجّاعاً شاعراً.

فقالت عليهما: يابن زياد ما للمرأة والسجّاعة. وقالت أيضاً: إن لي عن السجّاعة لشغلاً.

وتوجه ابن زياد (لعنه الله) فقال: أيكن أم كلثوم بنت الحسين عليهما، فقالت: ما ت يريد مني يا عدو الله، فقال لها: الحمد لله الذي قتل رجالكم، فكيف ترون ما فعل بكم؟ فقالت: يا ابن زياد، لئن قررت عينك بقتل الحسين عليهما فطالما قررت عين جده عليهما به، وكان يقبله ويلشم شفتيه ويضعه على عاتقه. يا ابن زياد، أعد لجده جواباً، فإنه خصمك غداً، فقال لها: قبحكم الله، فقالت: إنما يقع الفاسق والكافر، وانت الكاذب والفاقد فابشر بالنار، فضحك من قولها وقال: ان صرت الى النار في الآخرة فقد بلغت مرادي وما أؤمله، فقالت: يا ويلك قد أرويت الأرض من دم أهل البيت، فقال لها: أنت سجّاعة مثل أليك، ولو لا أنك امرأة لضررت عنقك.

١٠- موقف زين العابدين عليهما:

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليهما فقال: من هذا، فقيل له: علي بن الحسين عليهما فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين عليهما، فقال له علي بن الحسين عليهما: قد كان لي أخي يسمى علي بن الحسين عليهما قتل الناس، فقال ابن زياد: بل قتله الله، فقال علي بن الحسين عليهما: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لما تمت في مماتها، فقال ابن زياد: ولنك جرأة على جوابي، اذهباً به فاضربوا عنقه.

فلما سمعت عمته زينب عليهما هذا الكلام وثبتت على ابن أخيها فتعلقت به واعتنقته وقالت لابن زياد: يابن زياد حسبك من دمائنا، والله لا أفارقه فإن قتلتني فاقتلتني معه. فقال علي عليهما لعمته: اسكنني يا عمّة حتى أكلمه، ثم أقبل على ابن زياد فقال له: أبالقتل تهددني يا ابن زياد، أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة.

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثم قال: عجباً للرحم والله إني لأظنها ودّت أنني قتلتها معه، دعوه فإني أراه لما به.

ثم ان ابن زياد أمر بردهم إلى السجن وبعث رجاله إلى نواحي الكوفة والعراق يبشرؤن بقتل الحسين عليهما.

الباب الثالث

آل محمد ﷺ في شام الأعداء

١- أوامر يزيد بن معاوية:

وكان ابن زياد لعنه الله قد بعث الرسول الى مولاه يزيد بن معاوية خليفة المسلمين!! ليبشره بقتل الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته وأصحابه ونبي نساء وذرية محمد ﷺ، وهذا الرسول هو زحر بن قيس الذي جد السير حتى دخل على يزيد، فقال يزيد له: ويلك، ما وراءك وما عندك؟ فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي عليهما السلام في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا اليهم، فسألناهم أن يستسلموا ويتزلو على حكم الأمير عبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال على الإسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحاطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيف ماخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويهربون منا بالأكام والحرفر لواذا كما لاذ الحمام من الصقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتبنا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرن الشمس وتسفى عليهم الريح، زوارهم الرخم والعقبان.

ثم بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإنفاذ الرؤوس والسبايا والأسرى إليه.

أقول: لقد كذب هذا الرسول الفاجر ما لاذوا ولا عاذوا ولا فر أحد من أصحاب الحسين عليهما السلام، كيف وهو يشهد أنهم إختاروا القتال، وأنباء شجاعتهم وتفانيهم في القتال أوضح وأشهر من أن تذكر، ولقد بالغ هذا الرسول الكاذب في زمن حسم المعركة فلقد دامت إلى ما بعد الزوال بساعة، وقتلوا منهم الكثير، وأما ما قاله من أن زوار قبر الحسين عليهما السلام الرخم والعقبان، فلعمري لو أنه يأتي ساعة لرأى زوار قبر الحسين عليهما السلام، ولعلم أنهم هم الزوار اليوم، ولرأى قبره الحقير وقبور أسياده الفجرة قد طمسهم الزمان، ولعلم الفرق بين أهل الحق وأهل الباطل، وسيعلم الطالعون أي منقلب ينقلبون.

ثم إنه يروى أنه كان في أهل الكوفة من يوصل الأخبار خفية إلى نقل آل محمد عليهما السلام وهم في السجن، وذلك أنه أثناء ذهاب الرسول زحر بن قيس إلى يزيد بن معاوية كتبت رقعة وربطت بحجر ورميت في السجن الذي فيه آل محمد عليهما السلام وفيها مكتوب: خرج البريد إلى يزيد بأمركم في يوم كذا ويعود في يوم كذا، فإذا سمعتم التكبير فأوصوا وإلا فهو الامان، فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقى في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما يتذكر البريد يوم كذا وكذا، ثم جاء البريد ولم يسمع التكبير.

٢- السبايا في الطريق إلى الشام:

امتثل ابن زياد أمر يزيد بن معاويه ببعث بالرؤوس مع زحر بن قيس والسبايا والأسرى مع مخفر بن ثعلبة العائذى ومعه شمر بن ذي الجوشن وشيث بن ربى التميمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي وجماعة آخرون، وأمرهم أن يشهروا الرؤوس والسبايا في كل بلد، فجذوا السير حتى التقوا بالرؤوس في بعض المنازل واتحد الموكبان.

فساروا بالرؤوس وسبايا وأسرى آل محمد عليهما السلام كما يسار سبايا الكفار، وهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء مكسوفات الوجه يتضفع وجوههن أهل الأقطار، والقريب والبعيد، بل ذكر بعض المؤرخين أن نساء آل محمد عليهما السلام كن في الطريق من الكوفة إلى الشام مهتوًّات الأستان مكسوفات الوجه والشعور، وهذا أمر لو صحَّ كان رهيباً وعملأً شيئاًًاً أقدم عليه ابن زياد عاماً متعمداً لأنك علمت أن السبايا كنْ تسترن وتقنعن في الكوفة.

وفي الأسرى كان زين العابدين عليه السلام مغلولاً في عنقه بجامعة من حديد أو داجه تشخب الدم، صامتاً لا يكلم أحداً من القوم طوال الطريق من الكوفة إلى الشام ولا حتى كلمة واحدة.

٣- السبايا في الليلة الأولى من المسير

ساروا بالسبايا على هذا النحو إلى أن وصلوا إلى أول منزلة فنزلوا بها فسمعوا أم كلثوم تقول:

وزادني حسرات بعد حسرات

ماتت رجالي وأفني الدهر ساداتي

انا الشريفات ابناء الشريفات

مال اللئام علينا بعد ما علموا

كانا بينهم من عهر قيمات
بأهل بيتك يا خير البريات
وقد هداكم الى سبل الهدایات

وحملونا على الأقتاب عارية
صعب عليك رسول الله ما صنعوا
كفاكموا برسول الله خصمكموا

٤- السبايا في جرجرايا^(١)

ثم استمرت القافلة مجدةً مسرعة حتى وصلوا ثانٍ متزلة وهي بلدة يقال لها: جرجرايا، وهي من بلاد النهروانات بين بغداد وواسط كانت تقع شرقي بغداد، ثم خربت مع ما خرب من البلاد، فنزلوا ووضعوا الرؤوس والسبايا بينهم ثم جلسوا يشربون الخمر فينما هم كذلك إذ سمعوا هاتفا يقول:

أبشروا بالعذاب والتنكيل	أيها القاطعون رأس حسين
من نبي مقرب ورسول	كل من في السماء يبكي عليه
في الكتاب المبين والإنجيل	قد لُعنتم على لسان محمد
ففزعوا من ذلك فزعاً عظيماً وتركتوا الخمر وباتوا تلك الليلة فلما حملوا وساروا فينما هم سائرون إذ سمعوا هاتفا يقول:	

قام سؤال والرسول سؤول
وفاطمة الزهراء وهي بتول
له الحق فيما يدعى ويقول
وليس الى رد الجواب سبيل
سوى خصمكم والشرح فيه يطول
فإن له نار الجحيم تؤول
ونجح وهذا بالنجاح كفيل

ألا أيها الغادرون إن أمامكم
وفيه رسول الله فيكم مخاصم
وان عليا في الخصم مؤيد
فماذا تردون الجواب عليهم
ولا يرجى في ذلك اليوم شافع
ومن يكن المختار والله خصمه
فإنهم سفن النجاة لمعرف

(١) في المطبوعة (جرجرايا) وهو تصحيف.

لها غرر محجولة ومحجول

مناقبهم بين الورى مستنيرة

بما قام منهم شاهد ودليل

مناقب وحي الله اثبتها لهم

٥- السبايا في تكريت:

لم أجده نصاً يحدد بدقة الطريق التي مرّ عليها نساء وذرية آل محمد صلوات الله عليه وهم سبايا وأساري عندما نقلوهم من الكوفة إلى الشام، إلا أن الظاهر من الأخبار والتاريخ المترافق أنهم انتقلوا من بعد جرجايا يتبعون الطريق المحاذي للنهر الكبير فوصلوا إلى تكريت وفي هذه المدينة نشرت الأعلام وخرج أهل تكريت يستقبلون الموكب بالفرح والسرور.

٦- السبايا في الموصل

ثم استمرت القافلة إلى أن أقبلوا على مدينة الموصل فكتبو إلى حاكمها: تلقانا فان معنا رأس خارجي، فلما وصله الكتاب أمر بنشر الأعلام وضرب الطبول، فعند ذلك قال لهم رجل منهم: يا قوم والله ليس بخارجي وإنما هو رأس الحسين صلاته، فلما سمعوا ذلك غضبوا غضباً شديداً وتحالفوا بأنهم يقتلونهم ويخلصون الرأس من أيديهم، فلما وصل الخبر إلى جنود القافلة أعرضوا عن دخول الموصل وارتحلوا من طريق آخر. وكان هذا موقفاً كريماً يحفظ لأهل الموصل.

٧- السبايا بين الموصل ونصيبين

ثم سارت قافلة سبايا آل محمد صلاته من نواحي الموصل متوجهة نحو نصبيين ولم أجدهن تصوّراً تحدد المحطّات التي تزلّتها قافلة أهل البيت صلوات الله عليهم، ومن ثم فالظاهر الذي لا محيص عنه أن هذه القافلة مرت بطريق القوافل المتعارف في تلك الأيام وهو طريق يبلغ مسيرة ستة أيام للقوافل السائرة في تلك الأيام، وتمر بعد الموصل ببلدة الدوّلعة، ثم مرق، ثم برقيعه وبينها وبين نصبيين أكثر من عشرة فراسخ، وبرقيعه بلدة ما لبست أن أصبحت خراباً، ثم وصلوا بلدة سنجار وبينها وبين نصبيين تسعه فراسخ، ثم بلدة مفهوم وهي المرحلة الأخيرة قرب نصبيين.

٨- السبايا في نصبيين:

ثم استمرت القافلة حتى وصلت إلى مدينة نصبيين وفيها (مشهد النقطة)، يقال انه وقع فيه

نقطة من دم رأس الحسين عليهما السلام كما يوجد (مشهد الرأس) يقال أنه عُلق هناك لما عبروا به.

٩- السبايا بين نصبيين وحلب:

ثم الثابت أن القافلة انطلقت إلى مدينة حلب ولكن لم أجده نصوصاً تصرّح ببيان المحطات الواقعة بين نصبيين، وحلب ومن ثم فالظاهر أن طريق القافلة كان هو الطريق المتعارف.

١٠- السبايا في حلب:

ثم وصلت القافلة قريباً من حلب، فكتبو إلى صاحب حلب: تلقانا فان معنا رأس خارجي، فلما وصله الكتاب فرح فرحاً شديداً وأمر بنشر الأعلام وأخذ قمه وخرجوا لمقابلتهم من نحو ثلاثة أميال وأنزلهم عنده وأقاموا ثلاثة أيام وأكرمهم غاية الإكرام.

وأقاموا في جبل غربي مدينة حلب فقطرت هناك من الرأس الشريف قطرة دم، فعمروا هناك مشهدأً عرف به (مشهد النقطة).

ووصلوا قريباً من حلب من جهة الغرب أيضاً وهناك جيء بنساء الحسين عليهما السلام، ففرح أهل ذلك الحي وأظهروا السرور فدعت عليهم زينب بنت علي عليهما السلام، وفي ذلك المكان أيضاً أسقطت إحدى زوجات الحسين عليهما السلام حملها وكان اسمه (المحسن)، فبنوا مشهدأً يقال له (مشهد السقط)، ويقال له أيضاً (مشهد الطرح)، ويقال له أيضاً (مشهد الدكة).

١١- السبايا قرب قنسرين

ذكر بعضهم أن القافلة قافلة السبايا انطلقت من حلب فمررت على مدينة قنسرين وهي على مرحلة يوم من حلب^(١)، وهناك أسلم الراهب النصراوي في القصة المشهورة، وقد تقدم ذكرها، إلا أن الظاهر أن القافلة لم تدخل قنسرين ذاتها وإنما مرت قريباً منها حيث يذكر بعض المؤرخين أنهم لما وصلوا قنسرين وبلغ أهلها خبرهم أغلقوا الأبواب في وجوههم وقالوا: لا يمرون في بلدنا، فأذعنوا ومضوا مرتحلين.

١٢- السبايا في معرة النعمان وكفر طاب

ثم استمرت القافلة سائرة فوصلوا مدينة النعمان وهي على مسيرة يومين من حلب فاستقبلوهم وذبحوا لهم الذبائح ثم ارتحلو إلى كفر طاب فأغلقوا في وجوههم الأبواب.

(١) وذكر في المراسد أن مدينة قنسرين قد اندررت وكانت عامرة آهلاً فلما غلب الروم على حلب سنة احادي وخمسين وثلاثمائة خاف أهل قنسرين وجلوا عنها وتفرقوا في البلاد ولم يبق بها إلا خان تنزله القوافل

١٣- ثورة أهل سيراز^(١)

ثم ارتحلت القافلة إلى مدينة سيراز، فلما وصلوها تقلد أهلها بالسيوف وركبوا القنطرة فلما وصلوا إليهم قال لهم خولي: لا تفعلوا ذلك يا أهل سيراز، فلم يلتفتوا إليه بل حملوا عليها وقاتلوهم حتى قتلوا منهم ستة وثمانين فارساً، وقتل منهم خمسة رجال، فعند ذلك قالت أم كلثوم عليهما السلام: ما يقال لهذه المدينة؟ فقالوا: سيراز، فقالت: أذعب الله ماءها، وأرخص أسعارها، ورفع أيدي الظالمين عنها، قال الراوي: فلما رأى خولي هذه الفعال من أهل سيراز أمر قومه بالرحيل إلى طريق آخر فارتحلوا إلى حماة.

١٤- السبايا في حماة:

ثم وصلوا إلى مدينة حماة فعرف أهلها بشأن السبايا والرؤوس فأنفوا لذلك ورفضوا استقبالهم وأغلقوا أبواب المدينة في وجوههم، فقالت أم كلثوم عليهما السلام: ما اسم هذه المدينة؟ فقالوا: حماة، فقالت عليهما السلام: حماها الله من كل ظالم. فاضطربت القافلة إلىبقاء خارج مدينة حماه بالقرب منها، وهناك مسجد يُقال له مسجد الحسين عليهما السلام، ويقال أن فيه حجر وضع عليه رأس الحسين عليهما السلام.

١٥- السبايا في حمص

ثم سارت القافلة المهمية إلى أن وصلوا مدينة حمص فكتبوا إلى حاكمها: أن تلقانا فإن معنا رئيس خارجي، فلما وصله الكتاب أمر بمنصب الأعلام وخرج ولاقام وآخرهم وأكرمهم غاية الإكرام.

١٦- السبايا في خندق الطعام

ثم سارت القافلة إلى منطقة سماها الإسبرائيني (خندق الطعام)، ولا أعلم موضعها الآن، وكيف كان فقد كان لها موقف شريف كبعض القرى التي سبقتها إذ يروي أن أهلها أغلقوا الأبواب ورفضوا استقبالهم، فارتحلوا عنها باتجاه مدينة جوسية.

١٧- السبايا قرب جوسيه

ثم بلغت القافلة الحزينة مدينة جوسيه وكان حاكمها محبًا لأهل البيت عليهما السلام فذكر بعض

(١) في المصدر الذي نقلت عنه (شيراز) وهو خطأ حتماً فإن شيراز من مدن فارس، ولم أعرف الاسم الصحيح لهذا الموضع، كما لم أعرف موضع هذه البلدة، والله العالم.

من حضر ذلك اليوم بجوسية ان حاكمها جرّد أربعة الاف فارس وأمرهم أن يقاتلو الجنود ويأخذوا الرؤوس والأسارى منهم، فلما أحس الجنود بذلك أعرضوا عن مدينة جوسية مرتاحلين صوب مدينة بعلبك.

١٨- السبايا في بعلبك:

ثم ساروا إلى مدينة بعلبك فلما قربوا منها كتبوا إلى أمير بعلبك فأمر بالرايات فنشرت وخرج الناس والصبيان يتلقون قافلة سبايا آل محمد عليه السلام على نحو من ستة أميال من بعلبك، فلما رأتهم أم كلثوم بنت علي عليها السلام على هذا النحو قالت لهم: أباد الله كثرتكم، وسلط عليكم من يقتلكم.

١٩- صومعة الراهب

ذكر بعضهم أن القافلة ارتحلت من بعلبك آخر النهار فأدر كهم المساء عند صومعة راهب في الطريق فنزلوا عندها واستندوا الرؤوس عليها، فلما جن الليل سمع الراهب دويا كدوبي التحل فعلم انه تسبيح ملائكة فارخي رأسه من الصومعة فرأى فناديل مدللة من السماء الى الأرض وسمع زين العابدين عليه السلام يبكي ويقول:

عن الكرام ولا تهدا مصائبه	هذا الزمان فما تفني عجائبه
بصره والى كم ذا نحراره	فليت شعري الى كم ذا يحارينا
وسائل العيس يحمي عنه غاربه	يسري بنا فوق أعياس بلا وطا
كأن ما قاله المختار كاذبه	كأننا من أساري الروم بينهمو
يا أمة السوء ما هذى مذاهبه	كفرتمو برسول الله ويحكمو

فلما سمع الراهب ذلك خرج من صومعته وأقبل على القوم وقال: من أميركم؟ فأشاروا الى خولي، فقال له: انت الأمير؟ فقال: نعم، فقال: هذه رأس من، فقال: رأس خارجي، فقال: ما اسمه؟، قال الحسين: فقال: ومن أمه؟ فقال: فاطمة بنت محمد، فلما سمع ذلك خر مغشيا عليه، فلما أفاق، قال: صدقتك الأخبار، لأنهم قالوا في هذا الشهر يقتلنبي أو وصينبي، ثم قال: يا أمير أعطني الرأس حتى أعطيها وأردها لك، فقال: ادفع الجائزه، فقال: وما الجائزه؟ قال: عشرة آلاف درهم، فدفعها له، فأمر بإعطاء الرأس له، فلما نظره انكب على وجهه يقبّله،

ويقول: لعن الله قاتلك، يعز علي أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك، ولكن إذا لقيت جدك فاقرمه مني السلام، وأخبره أني على قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم ضمخها بالمسك والطيب وردها لهم، ثم إن خولى أراد أن يعطي قومه مما أخذه من الراهب فوجدها حجارة مكتوبًا عليها ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُقْلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، فرمها وقال: يا قوم اكتموا هذا الأمر لأنه عار علينا، ثم كتب إلى يزيد كتابا يقول فيه: نهى أمير المؤمنين وتعلم أنه أسر رأس عدوكم الحسين وحرمه وأطفاله، ونحن قريب من دمشق فخرج لنا وتلقانا. ثم سارت القافلة إلى دمشق.

٢٠- السبيا على باب الشام:

ولما قربت قافلة سبيا وأساري آل محمد ﷺ من مدينة دمشق انضم موكب الرؤوس إلى موكب السبيا حتى صار الموكبان موكباً واحداً، والرؤوس الشريفة مرفوعة على أعلام بين محامل النساء والأطفال.

وأمر يزيد جيشه فعُباء مائة وعشرين راية فانضموا إلى الموكب للإحتفال بدخول رأس الحسين عليهما السلام إلى دمشق، وأمرهم أن يدخلوا من باب جiron، ومنه يسيروا إلى باب توما، وأمر المنادي أن ينادي في الناس للخروج والإحتفال.

وصل الموكب إلى باب جiron مع مشرق الشمس ومنه دخلوا دمشق ثم وصلوا إلى باب توما حيث ازدحم الناس ازدحاماً عظيماً فرحا واستبشارا بمشاهدة الموكب، فلم يستطع الموكب أن يدخل من باب توما، فعدلوا إلى باب الكراديس، فلم يتمكنوا من الدخول منه أيضا للإزدحام العظيم، فجازوه إلى باب الساعات فوقفوا عنده ثلاثة ساعات في إزدحام شديد.

٢١- السبيا يدخلون الشام:

فلما أراد الموكب أن يدخل دمشق على هذه الصورة صباح النهار والنساء مكشفات الوجوه مهتو كات الأستار دنت أم كلثوم من شمر بن ذي الجوشن فقالت له: لي إليك حاجة، فقال: ما حاجتك، فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة وتقدم إليهم أن يخرجوها هذه الرؤوس من بين المحامل وينحوها عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذا الحال.

ولكن الشمر لا ينصح إلا بما في جوفه من الغي والبغى والكفر والحق واللؤم فما كان منه في جواب أم كلثوم إلا التأكيد على هذه الصفة فأمر أن يجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحاصل، ودخل دمشق وسلك بهم بين النظارة.

هكذا كانت صورة الموكب الرهيب وهو يدخل الشام، علي بن الحسين عليهما مغلول بالجامعة، غلت يداه إلى عنقه، وعنته في طوق الحديد، وهو على بغير وطاء يتقدم النساء، وهم خلفه على البغال، والجميع مقرنون بعضهم إلى بعض بالجبال، ورأس الحسين بن علي عليهما على علم بين المحاصل، وكذلك بقية الرؤوس الشريفة، ولعل أعداد البغال أو الجمال التي تحمل الأساري والسبايا أربعون أو يزيدون، يحيط بهم من كل جانب على طول القافلة فرسان غلاظ طغاة يحملون الرماح كلما دمعت عين أحد من السبايا والأساري أو صدر منه صوت قرعوا رأسه بالرمح، هكذا دخلت قافلة السبايا سور دمشق، وما أن دخلوها حتى صاح الصائح في دمشق: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون !!.

ثم أقبلت الريات تدخل دمشق يتلو بعضها بعضاً، ومن بينها فارس يده رمح طويل عليه رأس الحسين عليهما، وجهه أشهى بوجه رسول الله عليهما وهو يتهلل نوراً كأنه البدر الطالع، وحوله نساء آل محمد عليهما، أقربهم إليه أم كلثوم وهي تنادي: وأخاه وأسيداته، وامحمداته، وأعليائه، وسكينة بنت الحسين عليهما تنادي: يا أخي، يا خالي، يا أبي، يا جدي، يا جدتي، يا محمداته، وأعلياته، واحسيناته، واعباساته، هلكت عصابة محمد المصطفى عليهما على يدي أبي سفيان وعتبة.

وعلي بن الحسين عليهما إذ نظر إلى الناس وإجتماعهم على بغضهم وإذدحامهم فرحاً بكى بكاءً شديداً، فقال:

أقاد ذليلاً في دمشق كأنني
ووجدي رسول الله في كل مشهد
فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن

من الزنج عبد غاب عنه نصيره
وشيخي أمير المؤمنين وزيره
يزيداً في البلاد أسيره

وهكذا لا تسمع في هذه القافلة إلا صائحة تصريح: وامحمداته، وأعلياته، واحسيناته، ولو رأيتم ما حلّ بنا من الأعداء، أو صائحة تصريح: يا رسول الله، بنا لك أسرى كأنهن بعض اليهود والنصارى، وأخرى توح بصوت شجي يقرع القلوب على الرضيع وعلى المذبوج من القفا، المهتوك الخبا، العريان بلا رداء، واحزناه لما نالنا أهل البيت، فعند الله نحتسب مصيبتنا.

ويروى أنه كان في الجموع المحتشدة نصراني كشف الله عن سمعه، فسمع رأس الحسين عليهما السلام وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَنِيًّا عَنْ أَعْمَالِ الظَّالِمِينَ﴾، فأسلم هذا النصراي وتشهد الشهادتين ثم اتضى سيفه وشدّ به على القوم وهو يبكي، فقتل منهم جماعة ثم تكاثروا عليه فقتلوه.

وعندما سمعت أم كلثوم هذه الضجة سالت عما حدث فأخبروها فقالت: واعجباه، النصارى يحتشمون لدين الإسلام، وأمة محمد عليهما السلام الذين يزعمون أنهم على دين محمد عليهما السلام يقتلون أولاده ويسيرون حريمه!!!.

٢٢ - عيد الشام:

في أول يوم من شهر صفر وصلت قافلة سبايا آل محمد عليهما السلام إلى مدخل دمشق، وهي مدينة مزهوة فرحاً وفخراً بالنصر، روي عن سهل بن سعد الساعدي وهو أحد الصحابة الذين صاحبوا النبي عليهما السلام أنه قال يصف أهل الشام ساعة دخول السبايا عليهم، فقال:

خرجت إلى بيت المقدس حتى توسطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهر كثيرة الأشجار قد علقوا الستور والحبوب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلبسن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لا نرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيت قوماً يتتحدثون، فقلت: يا قوم لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن، قالوا: يا شيخ نراك أعرابياً، فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت محمداً عليهما السلام، قالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها، قلت: ولم ذاك!؟، قالوا: هذا رأس الحسين عليهما السلام عترة محمد عليهما السلام يهدى من أرض العراق، فقلت: واعجباه يهدى رأس الحسين عليهما السلام والناس فرحون، قلت، من أي باب يدخل، فأشاروا إلى باب يقال له باب ساعات، قال: فيبينما أنا كذلك حتى رأيت الريات يتلو بعضها بعضًا فإذا نحن بفارس بيده لواء متزوج السنان عليه رأس أشبه الناس وجهها برسول الله عليهما السلام، فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاهم، فقلت: يا جارية من أنت؟ فقلت: أنا سكينة بنت الحسين عليهما السلام، فقلت لها: ألك حاجة إلىي، فأناس سهل بن سعد من رأى جدك عليهما السلام، وسمعت حدديثه، قال: يا سهل بن سعد قل لصاحب هذا الرأس أن يقدم الرأس أمامنا حتى يستغل الناس بالنظر إليه ولا يتظروا إلى حرم رسول الله عليهما السلام، قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس، فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربع مائة دينار، قال: ما هي، قلت: تقدم الرأس أمام الحرم ففعل ذلك، فدفعت إليه ما وعدته.

وفي خبر آخر عن سهل بن سعد يصف حال أهل الشام وحال قافلة السبايا بنحو ما

تقدّم ويزيد فيه: أنه رأى عجائزًا طعنوا في السن أخذتهم الحمية والعصبية الفاجرة كغيرهم من أهل الشام، فشرعوا يرمون هذا الموكب المقدس بالحجارة وتعمّد بعضهم أن يرمي بالحجارة رأس الحسين عليه السلام، وعندما أراد سهل أن يتكلّم مع القافلة اقترب منها حتى تعلق بقائمة المحمّل ونادى بأعلى صوته - حتى يتمكّنا من سماعه وسط الضوضاء - السلام عليكم يا آل بيت محمد ورحمة الله وبرّ كاته، فقالت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: من أنت أيها الرجل، لم يسلّم علينا أحد غيرك مثل سلامك منذ قتل أخي وسيدي الحسين عليه السلام.

أقول: كلام أم كلثوم يزيد في القلب حسرة حيث يبيّن لنا أنهم على مر الأ أيام والأسباب التي أطافوا بها في معظم بلاد وقرى المسلمين لم يلقوا بأحد من أهل الخير فإنما الله وإنما إليه راجعون.

نعم هذا هو حال مدينة دمشق حين دخلها أطفال ونساء محمد عليه السلام، مدينة مزهوة بالنصر فرحة مستبشرة، أهلها يلعبون بالدفوف، ويضربون الطبول، هيئوا أنفسهم ونظفوا أطفالهم وألبسواهم وأخرجوهم لرؤية نساء وأطفال محمد عليه السلام شعثاً غبراً يساقون في أزقة هذه المدينة مكسوفات الوجه يتضفّحن الغريب والبعيد، واستمرّوا يسوقونهم كذلك من باب دمشق إلى أن وصلوا إلى المسجد الأعظم في دمشق، فحطّت القافلة هناك، وهناك أنزلوا نساء وأطفال محمد عليه السلام على درج باب هذا المسجد كما هي عادتهم في إنزال سبايا الكفار الذين يغنمونهم في الحروب.

وكان أطفال ونساء محمد عليه السلام من أحسن الناس وجهًا وفضلاً كأنّ وجوههن الأقمار المنيرة، وكان أهل الشام الجفاّة الطغاة ينظرون إلى هذا النوع الغريب من السبايا ويقولون: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، وربما يسألون من أنت؟ فتقول سكينة بنت الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمد عليه السلام.

ففي الخبر الصحيح عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: لما قدم على يزيد بذراري الحسين عليه السلام أدخل بهن نهاراً مكسوفات وجوههن، فقال أهل الشام الجفاّة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمن أنت؟ فقالت سكينة بنت الحسين: نحن سبايا آل محمد.

٢٣ - سبايا على درج المسجد:

كانت عادتهم في تلك الأيام أن يأتوا سبايا الكفار ويقيمونهم على درج المسجد الأعظم ويتركونهم هناك إلى حين تستريح القافلة ثم يأتي الأمر بمصيرهم، غالباً ما يتم بيعهم.

وهذا ما فعلوه مع سبايا آل محمد ﷺ، فأقاموا عترة محمد ﷺ على درج المسجد الأعظم في دمشق ينتظرون بهم أمر يزيد بن معاوية.

وعلى هذا الدرج بالذات جرت محادثة معبرة لا بأس بروايتها.

تقول الرواية أن شيخاً من شيوخ الشام تقدم من هؤلاء السبايا وفيهم علي بن الحسين عليهما السلام، وهو فتى شاب، فقال الشيخ له: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة وأراح البلاد من رجالكم وأمكّن أمير المؤمنين منكم، ثم شرع يشتمهم ولم يأل جهداً، وعلى بن الحسين عليهما السلام يسمع كلامه حتى انقضى، فقال له: يا شيخ أما قرأت كتاب الله عز وجل، فقال الشيخ: نعم، فقال عليهما السلام: أما قرأت هذه الآية **﴿فَلَمَّا آتَيْنَاكُمْ عَلَيْهِ أَخْرَى إِلَّا مَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**، قال الشيخ: بلـ، فقال عليهما السلام: فنحن أولئك، ثم قال له: أما قرأت **﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَفَّهُ﴾**، قال بلـ، قال عليهما السلام: فنحن همـ، ثم قال له: فهل قرأت هذه الآية **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ وَفَإِنَّ اللَّهَ يُحِسْنُهُ وَلَرَسُولُهُ وَلَذِلِّي الْقُرْبَى﴾**، فقال الشيخ: بلـ، فنحن ذو القربيـ، ثم قال له: أما قرأت هذه الآية **﴿وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الْرِجَسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُوْكُبَ طَهِيرًا﴾**، قال الشامي: بلـ، فقال عليهما السلام: فنحن هـ، فبكى الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم بهـ، ثم قال لعلي بن الحسين عليهما السلام: بالله إنكم هـ؟، فقال عليهما السلام: والله إننا لنهـنـ هـمـ من غير شـكـ، وحقـ جـدـنا رـسـولـ الله عليهـ السلامـ إنـا لـنهـنـ هـمـ، فبكـيـ الشـيـخـ وـرمـيـ عـمـامـتـهـ وـرفعـ رـأـسـهـ إـلـىـ السـمـاءـ وـقالـ: اللـهـمـ إـنـيـ أـبـرـأـ إـلـيـكـ مـنـ عـدـوـ آلـ محمدـ ﷺـ مـنـ جـنـ وـإـنـسـ، ثـمـ قـالـ: هلـ لـيـ مـنـ تـوـبـةـ؟ـ، فـقـالـ عليهـ السلامـ: نـعـمـ إـنـ تـبـ تـابـ اللهـ عـلـيـكـ وـأـنـتـ مـعـنـاـ، فـرـفـعـ رـأـسـهـ إـلـىـ السـمـاءـ، وـقـالـ: اللـهـمـ إـنـيـ أـتـوبـ إـلـيـكـ، اللـهـمـ إـنـيـ أـتـوبـ إـلـيـكـ، اللـهـمـ إـنـيـ أـتـوبـ إـلـيـكـ، اللـهـمـ إـنـيـ أـتـوبـ إـلـيـكـ، وـلـقـدـ قـرـأـتـ الـقـرـآنـ مـنـ دـهـرـ فـمـ شـعـرـتـ بـهـ قـبـلـ الـيـوـمـ. وـيـقـالـ أـنـ يـزـيدـ سـمـعـ بـهـذـهـ الـمـحـادـثـةـ فـأـمـرـ بـهـذـاـ الشـيـخـ فـقـتـلـ.

٢٤- السبايا عند يزيد:

ثم إنهم ساقوا سبايا آل محمد ﷺ إلى يزيد بن معاوية وهم مقرونون بالحبال، فالحبل في عنق علي بن الحسين عليهما السلام ومن عنقه إلى زينب، ومنها إلى أم كلثوم، يقودهم اللثيم الشير مخفرة بن ثعلبة العاذري، فما أن وصل بهم إلى باب يزيد رفع صوته ليسمع يزيد بن معاوية، فقال: هذا مخفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين بالفجرة اللثام، وفي خبر آخر أنه قال عن رأس الحسين عليهما السلام: جئنا برأس أحمق الناس وألأمهم!!!!

فلما سمعه علي بن الحسين عليه السلام قال: ما ولدت أم مخفر أشر وألم، ولكن قبح الله ابن مرjanة، ويقال أن هذه الكلمة التي قالها علي بن الحسين عليه السلام هي أول كلمة سمعها منه القوم من حين خروجه من الكوفة.

أما يزيد بن معاوية أمير المؤمنين ذلك الزمان الأسود فقد كان جالساً على سريره، وعلى رأسه تاج مكمل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش ورؤساء الناس، فأمرهم فأدخلوا عليه نساء وأطفال محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه علّه يشفى غليله من محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، وكانوا إثنا عشر ذكراً مغللين، وعشرين امرأة من نساء آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهم مقرنون في العبال، أدخلوهم جميعاً حتى وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال، وهو على حاله من المجد والأبهة، فأراد يزيد لعنه الله أن يصغر من قدر الحسين بن علي عليه السلام وعياله، فقال لهم: أخلطتم أنفسكم بعيد أهل العراق، ما علمت بخروج أبي عبد الله عليه السلام حين خرج ولا بقتله حين قُتل.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام وهو مغلول: أنسدك الله يا يزيد، ما ظنك برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لو رأنا على هذه الحالة، ثم قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: يا يزيد، بنت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه سبايا!!! فبكى الناس، وبكي أهل الدار حتى علت الأصوات، ثم قال علي بن الحسين عليه السلام ثانية: يا يزيد أنا ذن لي في الكلام، فقال يزيد: قل، ولا تقل هجراً، فقال علي بن الحسين عليه السلام: لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنك برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لو رأني في الغل، فقال يزيد لمن حوله: حلوه، فقطعوا العبال، ثم الجلسوا السبايا خلف يزيد لثلا ينظرون إلى رأس الحسين عليه السلام وهو موضوع أمامه.

ثم ذهب لعنه الله يقرع رأس الحسين عليه السلام بمخرضة في يده ويقول الأشعار التي ذكرناها سابقاً عند التعرض لما جرى على رأس الحسين عليه السلام ومما قال:

علينا وهم كانوا أعق وأظلموا

نلق هاماً من رجال أعزه

ثم إلتفت إلى النعمان بن بشير الأنباري وقال: الحمد لله الذي قتله، فقال النعمان: قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله، فقال يزيد: قد كان ذلك قبل أن يخرج لو خرج على أمير المؤمنين لقتله.

٢٥- إستقبال نساء آل يزيد:

وكان من أعظم المواقف تعاطفاً مع نساء وأساري آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه موقفاً عاطفياً جياشاً

وقتها نساء آل يزيد نفسه، فإنهن لم يستطعن أن يتحملن هذا المشهد الرهيب، فقد ذكر المؤرخون أنه عندما أدخلت نساء آل محمد صلوات الله عليه بالصورة التي ذكرناها كأنهن سبايا الكفار لم يبق أحد من نساء آل معاوية ولا آل أبي سفيان إلا استقبلتهن بالبكاء والصرخ والنياحة على الحسين عليه السلام وألقين ما عليهم من الثياب والحلبي، وكان في جملة النساء الموجودات في دار يزيد إمرأة هاشمية فجعلت تدب على الحسين عليه السلام، وتندى: واحبباه، يا سيد أهل بيته، يا بن محمداته، يا رب الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعية، نادت وندبت حتى أبكت كل من سمعها، ولعل أعظم المواقف إنفعالاً وتائراً هو موقف هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز زوجة يزيد التي لم تتمالك نفسها حتى قامت وشقت الستر وهي حاسرة وواثبت إلى يزيد وهو في المجلس العام وقد قدمنا ذكرها عند التعرض لأحوال رأس الحسين عليه السلام.

٢٦- خطاب زينب عليها السلام عند يزيد:

وكانت السيدة الكبرى زينب بنت علي عليه السلام في النساء المنتجحن في مجلس يزيد خلفه بحيث لا يرون رأس الحسين عليه السلام الموضوع في طست من ذهب أمام يزيد، فقامت النساء تتطاولن للنظر إلى وجه الحسين عليه السلام، فلما رأته سكينة وفاطمة صرخن بالبكاء، وأما زينب عليها السلام فإنها لما رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام فلم تتمالك أن رفعت بيدها ثم أهوت إلى جيبيها فشققته ثم نادت بصوت حزين يفجع القلوب: يا حسیناه، يا حبيب رسول الله صلوات الله عليه عليه السلام، يا بن مكة ومني، يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا بن بنت المصطفى عليه السلام.

يقول الراوي الذي روى هذا الخبر: إنها أبكت - والله - كل من كان في المجلس، ويزيد ساكت.

ثم قامت زينب عليه السلام فقالت:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على جدي سيد المرسلين، صدق الله كذلك يقول ﴿نَّمَّا كَانَ عَيْنَةً لِّذِينَ أَسْتَوْأُوا شَوَّاعَيْنَ كَذَّبُوا بِيَائِسِنَ كَوَافِرُهُنَّ وَرَبَّهُنَّ﴾، أذنت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تُساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك على الله كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسة والأمور متسبة، وحين صفا لك ملوكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً أنسنت قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَعْلَمُ لَهُمْ خَيْرٌ لَّا يَقْسِمُهُمْ إِنَّمَا نُعْلِمُ لَهُمْ لِرَدَادٍ وَإِلَشْمَاءٍ وَظُمْعَ عَذَابٍ مُّهِينٍ﴾، أمن العدل يا ابن الطلقاء

تخديرك حرائرك وإمائتك وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا، قد هنكت ستورهن وأبديت وجههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناقل والمناقل، ويتصفح وجههن القريب والبعيد، والدنيء والشريف، ليس معهن من رجالهن ولهم، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء، وكيف يستبطئ في بعضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

ثم قالوا يا يزيد لا تشن

وأهلوا واستهلو فرحاً

منحياً على ثنيا أبي عبد الله عليه سيد سباب أهل الجنة، تنكتها بمحصرتك!! وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تnadيهem، فلتدركَ وشيكاً موردهم وتلتوَّدَّ أنك شلت وبكمت ولم يكن قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولرحمته حيث يجمع الله شملهم ويلم شعthem ويأخذ بحقهم «وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاهُ اللَّهُ عَنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»، حسبك بالله حاكماً، وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلأً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرَّتْ على الدواهي مخاطبتك، وإنني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريرك، وأستكبر توييحك، لكنَّ العيون عبرى، والصدور حرى، لأنَّ العجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دماتنا، والأفواه تحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتابها العواسل وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنمًا لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدَّمتَ، وما ربك بظلام للعيدي، فإلى الله المشتكى وعليه المعول، فكك كيدهك، واسع سعيك وناصب جهدهك، فوالله لن تمحو ذكرنا، ولا تميت وحياناً، ولا تدركَ أمننا، ولا ترخص عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعتك إلا بدد، يوم ينادي المناد: ألا لعنه الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود وحسيناً الله ونعم الوكيل.

قال يزيد:

ما أهون الموت على النواح

يا صيحة تحمد من صوائح

٢٧- محنـة فاطمة بـنـت الحـسـين

وفي أثناء جلوس نساء وأطفال محمد ﷺ بين يدي يزيد لعنه الله تعالى جرى على فاطمة بنت الحسين علـى حـدـث مخيف أرـعـدـتـهـاـ فـرـائـصـهـاـ وـوـجـبـ عـنـهـ قـلـبـهاـ الـفـارـغـ إـلـاـ مـنـ نـورـ اللـهـ تـعـالـىـ،ـ وـإـلـيـكـ تـفـاصـيلـ الـحـدـثـ.

قالـتـ فـاطـمـةـ بـنـتـ الـحـسـينـ عـلـىـهـ:ـ وـلـمـ جـلـسـنـاـ بـيـنـ يـدـيـ يـزـيدـ رـقـ لـنـاـ فـاقـمـ إـلـيـهـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ الشـامـ أحـمـرـ،ـ فـقـالـ:ـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ هـبـ لـيـ هـذـهـ الـجـارـيـةــ يـعـنـيـ،ـ وـكـنـتـ جـارـيـةـ وـضـيـةـ،ـ فـأـرـعـدـتـ وـظـنـتـ أـنـ ذـلـكـ جـائزـ لـهـمـ فـأـخـذـتـ بـشـابـ عـمـتـيـ زـينـبـ عـلـىـهـ،ـ وـكـانـتـ تـعـلـمـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـكـونـ،ـ فـقـلـتـ لـعـمـتـيـ:ـ أـوـتـمـتـ وـأـسـتـخـدـمـ!!ـ.

فـقـالـتـ عـمـتـيـ لـلـشـامـيـ:ـ كـذـبـتـ وـالـلـهـ وـلـئـمـتـ،ـ وـالـلـهـ مـاـ ذـلـكـ لـكـ وـلـاـ لـهــ.ـ فـغـضـبـ يـزـيدـ،ـ وـقـالـ:ـ كـذـبـتـ وـالـلـهـ إـنـ ذـلـكـ لـيـ لـوـ شـئـتـ أـنـ أـفـعـلـ لـفـعـلـ.

فـقـالـتـ:ـ كـلاـ وـالـلـهـ مـاـ جـعـلـ اللـهـ لـكـ ذـلـكـ إـلـاـ أـنـ تـخـرـجـ مـنـ مـلـتـنـاـ وـتـدـيـنـ بـغـيرـهـ.

فـاسـطـلـارـ يـزـيدـ غـضـبـاـ،ـ وـقـالـ:ـ إـيـاـيـ تـسـقـبـلـيـنـ بـهـذـاـ!!ـ إـنـمـاـ خـرـجـ مـنـ الدـيـنـ أـبـوـكـ وـأـخـوـكـ،ـ فـقـالـتـ زـينـبـ عـلـىـهـ:ـ بـدـيـنـ اللـهـ وـدـيـنـ أـبـيـ وـدـيـنـ أـخـيـ إـهـتـدـيـتـ أـنـتـ وـأـبـوـكـ وـجـدـكـ إـنـ كـنـتـ مـسـلـمـاـ،ـ فـقـالـ يـزـيدـ لـعـنـهـ اللـهـ تـعـالـىـ:ـ كـذـبـتـ يـاـ عـدـوـ اللـهـ،ـ فـقـالـتـ لـهـ زـينـبـ عـلـيـهـ السـلـامـ:ـ أـنـتـ أـمـيرـ تـشـتـمـ ظـالـمـاـ وـتـقـهـرـ بـسـلـطـانـكـ،ـ فـكـأنـهـ اـسـتـحـيـاـ وـسـكـتـ.

فـعـادـ الشـامـيـ يـقـولـ لـيـزـيدـ:ـ هـبـ لـيـ هـذـهـ الـجـارـيـةـ،ـ فـقـالـ لـهـ يـزـيدـ:ـ اـعـزـبـ،ـ وـهـبـ اللـهـ لـكـ حـفـاـ قـاضـيـاـ.

أـقـولـ:ـ وـيـرـوـىـ أـنـ أـمـ كـلـثـومـ شـتـمـتـ الشـامـيـ،ـ وـقـالـتـ لـهـ:ـ أـسـكـتـ يـاـ لـكـعـ الرـجـالـ،ـ قـطـعـ اللـهـ لـسـانـكـ،ـ وـأـعـمـيـ عـيـنـيـكـ وـأـبـسـ يـدـيـكـ،ـ وـجـعـلـ النـارـ مـثـواـكـ،ـ إـنـ أـوـلـادـ الـأـنـبـيـاءـ لـاـ يـكـونـونـ خـدـمـةـ لـأـوـلـادـ الـأـدـعـيـاءـ.

(١) وـيـرـوـىـ أـنـ هـذـاـ حـدـثـ جـرـىـ مـعـ فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ عـلـىـهـ

فقال الشامي يسأل يزيد عن هذه الجارية التي يطلبها: من هذه الجارية؟، فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام، فقال الشامي مستغرباً: الحسين بن فاطمة عليهما السلام وعلي بن أبي طالب عليهما السلام؟، فقال يزيد: نعم، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك وتسبى ذريته!! والله ما توهمت إلا أنهم سبى الروم، فقال يزيد: والله لأنحقنك بهم، فأمر بضرب عنقه فضربت.

ويروى أن الله تعالى استجاب دعاء أم كلثوم في هذا الشامي فقالت: الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فهذا جزء من يتعرض لحرم رسول الله عليهما السلام.

٢٨ - موقف سكينة ومنامها

ثم إن سكينة تقدمت إلى يزيد وقالت: إعلم أنني رأيت البارحة في نومي قصراً من لؤلؤة بيضاء ولها أربعة أبواب، وعلى كل باب خدم لا يحصلون، وبينما أنا أنظر إليها وإذا قد افتح باب منها وخرج منه خمس رجال وخمس بسوة، يتقدمهم غلام لهم، فتقدمت للغلام وقلت: لمن هذا القصر؟ فقال: للحسين عليهما السلام، فقلت: ومن هؤلاء الذين معك؟ فقال: ومن أنت؟ قلت: أنا سكينة، فقال: يا سكينة هذا آدم عليهما السلام، وهذا نوح عليهما السلام، وهذا إبراهيم عليهما السلام، وهذا موسى وعيسى عليهما السلام، بينما أنا أنظر إليهم وإذا برجل قد أقبل وهو متغير اللون وله نور ساطع وهو مغتم يميل كالمرأة التكلّي قابض على لحيته باكيًا حزيناً، فقلت للغلام: من هذا الرجل الذي هو متلبس بالأحزان؟ فقال: ألا تعرفيه؟ قلت: لا، فقال: هذا جدك، قلت: والله لأشكون له ما حلّ بنا، ثم دنوت منه ولزمنت صدره وأنا شاهقة بالبكاء فضمني إلى صدره وبكي حتى أغمي عليه، ثم قال لي: لا تخافي يا بنته، فقلت: يا جدي قتلوا الحسين عليهما السلام وأخوتي وأعمامي وأولاد أخواتي وبني عمي ورجالنا وسبياناً وحملنا إلى يزيد لعنه الله مهتكات ينظرون إلينا البار والفاجر، ثم بكى بكاء عظيماً، فقال عليهما السلام: أسكني يا سكينة فقد أبكى الملائكة، ثم أخذ بيدي وأدخلني القصر مع الخمس نسوة التيرأيتنهن، وبينهن امراة عظيمة الخلقة ناثرة شعرها وعليها ثياب سود ومعها قميص ملطخ بدم وهي تقوم ساعة وتقعد أخرى، فقلت للغلام: من هؤلاء النساء؟ فقال: هذه حواء، وهذه مريم، وهذه آسية، وهذه جدتك خديجة، قلت: والتي معها القميص؟ فقال: هذه فاطمة عليهما السلام، فدنوت منها وقلت لها: قد قتل الحسين عليهما السلام وأخوتي وأعمامي وجميع عشيرتنا وحملنا أسرى إلى يزيد، فعند ذلك ضمتني إلى صدرها وبكت وبكت معها النساء، ثم قالت: يا أمي حواء وأمي خديجة ويا أخواتي انظرن إلى هؤلاء القوم و فعلتهم بأولادي بعدى، ثم صرخت صرخة عظيمة حتى ظنت أن

القصر قد انطبق ثم نادت: وأولدها، واثمرة فؤاده، ثم قالت لي: يا سكينة صبرا جميلا، يا ابنتي لو رأيت ما صار إليه الحسين من النعيم والكرامات لاشتاقت عينك إليه، ولو رأى يزيد ما أعد الله له من العذاب الاليم والنار الحامية والسعير لذابت نفسه ونسى يومه، إذا وضع في أطباقيها ونهشته حياتها، وهذا قيمص الحسين عليه السلام معي لا يفارقني حتى آتي به إليه (وسيعلمُ الذين ظلمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ) ههـ، عند تمام الآية انتهت، فحار يزيد من كلامها وقال: أنتم أهل البيت قد خصتم بالحكمة كبيرةكم وصغيركم وذكركم وأنثاكم.

٢٩ - كلام زين العابدين عليه السلام مع يزيد:

ثم إن يزيد بن معاوية توجه إلى علي بن الحسين عليهما السلام، فقال له:

يا علي الحمد لله الذي قتل أباك، فقال علي عليهما السلام: قتل أبي الناس، فقال يزيد: الحمد لله الذي قتلته فكيفانية، فقال عليهما السلام: على من قتل أبي لعنة الله، أفتراني لعنت الله عز وجل، فغضب هنا يزيد وأمر بضرب عنق علي بن الحسين عليهما السلام: فشاور يزيد من كان حاضرا من جلسايه وأعوانه في أمر علي بن الحسين عليهما السلام فأشاروا عليه بقتله، فقال زين العابدين عليهما السلام: يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم بموسى وهارون، فإنهم قالوا له: أرجوه وأخاه، ولا يقتل أولاد الأنبياء وأبناءهم إلا الأدعية، وقال له أيضا: إن عزمت على قتلي وكان بينك وبين هؤلاء النساء رحم فأرسل معهن من يؤديهن، أي يوصلهن إلى مدينة الرسول عليه السلام.

فكأن يزيد استحيا ورجع عن رأيه، وقال له: بل تؤديهن أنت، ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده، ثم قال له: يا علي بن الحسين، أتدري ما الذي أريد بذلك، فقال عليهما السلام: بلني ت يريد أن لا يكون لأحد على منة غيرك، فقال يزيد: هذا والله ما أردت، ثم قال يزيد: يا ابن حسين، أبوك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعوني سلطاني، فصنع الله به مارأيت، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

فقال يزيد لإبني خالد: أردد عليه.

فلم يدر خالد ما يرد عليه، فقال له يزيد قل: (وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَنِيدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: ما هذه فينا نزلت، وإنما نزل فينا (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ).

يَسِيرٌ ٢٢ لَكِنَّا لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَكُمْ، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أتيتنا.

وقال علي بن الحسين عليهما السلام ليزيد: يا ابن معاوية وهند وصخر لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب عليهما السلام في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوك وجدرك في أيديهم رايات الكفار.

ثم جعل علي بن الحسين عليهما السلام يقول:

ماذا فعلت وأنتم آخر الأمم
ماذا تقولون اذا قال النبي لكم

منهم أسرى ومنهم ضرموا بدم
بعترتي وأهلي عند مفتقدي

ثم قال عليهما السلام: ويلك يا يزيد، إنك لو تدري ماذا صنعت، وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهررت في الجبال، واقترشت الرماد، ودعوت بالوليل والثبور أن يكون رأس أبي الحسين عليهما السلام وعلى عليةما السلام منصوباً على باب مدینتكم! وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم، فأبشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيمة.

٣٠- زين العابدين عليهما السلام على منبر الشام:

ثم إن يزيد لعنه الله تعالى دعا بخطيب من رجاله الجفاة، فأمره أن يصعد المنبر فيذم الحسين عليهما السلام وأباه علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما ويخبر الناس بسوء رأيهما وفراقهما الحق وبغيهما على معاوية ويزيد.

فصعد المنبر وذمهما صلوات الله عليهما وبالغ في ذمهما ومدح معاوية ويزيد، فصاح به علي بن الحسين عليهما السلام: ويلك أيها الخطيب اشتريت مرضاه المخلوق بسخط الخالق، فتبوا معدك من النار، ثم قال عليهما السلام: يا يزيد إذن لي أن أصعد هذه الأعواود فأتكلم بكلمات فيهن الله رضا ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب، فأبي يزيد أن يأذن له، فقال الناس الحاضرون: يا أمير المؤمنين إذن له أن يصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً، فقال يزيد: إنه إن صعد لم يتزل إلا بفضحيتي وبفضيحة آل أبي سفيان، فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما قدر ما يحسن هذا الغلام. فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً، فلم يزالوا يلحون عليه حتى أذن له، وقال له: يا علي إصعد المنبر فأعلم الناس حال الفتنة، وما رزق الله أمير المؤمنين من الظفر.

٣١- خطبة زين العابدين عليه السلام:

فتصعد علي بن الحسين عليهما السلام المنبر فخطب خطبة أبكى بها العيون وأوجل القلوب، ثم قال: أيها الناس أعطينا ستًا وفُضّلنا بسبعين، أعطينا العلم والحمل والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا بأن منا النبي المختار محمدًا عليه السلام، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومناأسد الله وأسد رسوله عليهما السلام، ومنا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أبأته بحسبي ونبي، أيها الناس أنا ابن مكة ومني، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائترر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعي، أنا ابن خير من حج ولبي، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله.

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله عليه السلام بسيفين، وطعن برمجين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وقاتل بيدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرئيل والمنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل المارقين والناكثين والقاطنين والمجادل أداء الناصبين، وأفخر من مشى بقريش أجمعين، وأول من أجاب وإستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، وميد المشرken، وسهم من موامي الله على المتنافيين، ولسان حكمة العابدين وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة علمه.

سمح سخي، بهي بهلول زكي، أبطحي رضي، مقدم همام، صابر صوام، مهذب قوام،
 قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأمضاهم عزيمة، أشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقربت الأعنة طحن الرحاحا
 ويدروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز وكبس العراق.

مكي مدني خيفي عقي بدرى أحدي شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوعي ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب.

ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، واستمر يقول أنا أنا... إلى أن قال: أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزون الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السنان يهدى، أنا ابن من حرمته من العراق إلى الشام تسبى.

فلم يزل يقول: أنا أنا.. حتى ضجَّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشى يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن أن يؤذن ويقطع عليه الكلام، فلما قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، قال علي عليهما السلام: لا شيء أكبر من الله، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي عليهما السلام: شهد بها شعرى وبشري ولحمي ودمي، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمد رسول الله عليهما السلام، إلتفت علي بن الحسين عليهما السلام من فوق المنبر إلى يزيد فقال: محمد هذا جدي أم جدك يا يزيد، فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قلت عترته، ولم قلت أبي وسيط حرمته لم يسبيني، ثم قال: معاشر الناس هل فيكم من أبوه وجده رسول الله، فعلت الأصوات بالبكاء، ثم لما فرغ المؤذن تقدم يزيد فصلى صلاة الظهر.

٣٢- السبايا في المحبس:

ثم إن يزيد لعنه الله تعالى أمر بنقل نساء وذرية آل محمد عليهما السلام إلى الحبس فجسوهن في محبس هو خربة متصدعة تكاد أن تقع وتتهدم، لا يرددُ عنهن حرًا ولا بردًا، فبقين فيه حتى تقدَّرت وجوههن، وكُنْ يتوقعن الأذى من تصدع السقف عليهم أو الضرب أو القتل في كل حين وكان هذا بذاته عاملاً إضافياً في زيادة محنتهن سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليهن.

وفي هذا المحبس أطلق سبايا أهل البيت عليهما السلام لأنفسهم ما كانوا كتبوا من الصراخ والبكاء والنواح فعقدوا فيها مجالس البكاء والتواح ليلاً ونهاراً ولم يبق في دمشق قرشية ولا هاشمية إلا وشدت إليهم الأوساط.

ويُروى أن في محبس الشام تجددت المصائب على آل البيت عليهما السلام عندما استيقظت رقية ابنة الحسين عليهما السلام من نومها ذعرة صارخة تسأله عن أبيها وتلح في الصراخ والبكاء ولا تقبل من أحد عذرًا إلا برأوية أبيها، فتهاجم النساء وعلا صراخهن، وقيل وصل الصراخ إلى قصر يزيد فتساءل عن الخبر فقيل له: طفلة الحسين عليهما السلام تطلب أباها، فأمرهم أن يحملوا إليها رأس أبيها عليهما السلام، فجاؤوا بالرأس الشريف في طشت وعليه غطاء، فظلت طعاماً فرفضته، وعندما

كشفت الغطاء عن الرأس الشريف ارتفع صوت نساء آل محمد عليه السلام بالبكاء والعويل، وأما رقية فلم يهدأ صراخها حتى فارقت روحها بدنها، فأحضروا لها مغسلة لتجهزها فلما رأت أضلاع رقية زرقاً تمنع من غسلها، توهمت أن بها مرض أو علة، أجابتها زينب عليها السلام أن زرقة أضلاعها من ضرب السياط، جهزوها ودفنوها في تلك الخربة، ومرقدها الآن مزار معروف في ناحية الشام قريباً من المسجد الكبير المعروف بالمسجد الأموي.

٣٣- تبدل سياسة يزيد:

وروى بعضهم أن يزيد أتزلهن في داره الخاصة فما كان يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر على بن الحسين عليه السلام.

وفي خبر آخر أن يزيد أدخلهن داره فأقمن المناحة على الحسين عليه السلام ثلاثة أيام، والله العالم.

وإذا صدق هذا الخبر وما يشبهه من الأخبار التي تحدثت عن إظهار يزيد لبعض العطف على السبايا، فلعل الظاهر الذي يقتضيه الجمع بين خبر جسنهن وأذتهن وخبر استضافهن وإكرامهن هو أن يزيد لعنه الله كان في بادئ الأمر قد سجنهن وضيق عليهم وسعى في إذلالهن وإهانتهم يريده بذلك إفراج لؤمه وكيده وإبراز نصره النهائي على أهل بيته محمد عليه السلام للجميع، ولكنه لمارأى أن صنيعه المرذول هذا لم يلق استحساناً لدى شيوخ قريش وسادات أهل الشام بل وعموم أهل الحل والعلق، بل رأوه عملاً قبيحاً مستنكراً مستهجناً، بل كان عمله هذا مستقبحاً حتى من زوجاته ونساء داره، فلذا اضطر يزيد أن يعدل عن هذه السياسة وهذا الصنيع إلى ما هو أولى به وأليق في أنظار مشايخ العرب، فعدل من إهانتهم إلى إكرامهن ومن سجنهن إلى إستضافهن وصار لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر على بن الحسين عليه السلام على ما نقله البعض.

ولعل هذه العناية الزائدة بالإمام السجاد عليه السلام تعمداً يزيد لأجل استجلاب محبة الإمام عليه السلام وصلحه كي يأمن بوائق الزمن الآتي.

والذي يؤيد تحقق تبدل في سياسة يزيد مضافاً إلى ما قدمناه الخبر الذي يقول أنه استشار أهل الشام فيما يصنع بسبايا آل محمد عليه السلام، فقال له بعضهم: لا تتحذ من كلب سوء جروا!!!، فقال له آخرون ومنهم النعمان بن بشير: أنظر ما كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع بهم فانصنع بهم.

ويدل على ما ذكرناه من الجمع الخبر المروي عن كتاب السراير بسنده عن داود بن فرقد، عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه ذكر دخولهم السجن في الشام ثم قال عليهما السلام: فمكثنا يومين ثم دعاانا وأطلق عنا، وفي خبر آخر أنهم بقوا في هذه الخربة ثلاثة أيام، وفي خبر ثالث أنهم بقوا في هذا المنزل شهراً ونصف حتى تقدشت وجوههن من حر الشمس.

ولعل هذا التبدل في سياسة يزيد هو الذي أدى إلى أن يصدر من يزيد عدة عبارات يتبرا فيها مما عمله عبد الله بن زياد ويذمه ويلعنه، ومن هذه العبارات:

١- قوله: لعن الله ابن مرجانة إذ أقدم على مثل الحسين بن فاطمة عليهما السلام، لو كنت صاحبه لما سألهي خصلة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله أمراً فلم يكن له مرد.

٢- ومنها قوله عندما دعا النساء والصبيان فأجلسوا بين يديه فرأى هيئة مُنَكَّرة، فقال: قبح الله ابن مرجانة لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم على هذا الحال.

٣- ومنها أن علي بن الحسين عليهما السلام قال: يا يزيد بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي فوجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم رسول الله عليهما السلام فقال له يزيد لعن الله: لا يردهن غيرك، لعن الله ابن مرجانة فوالله ما أمرته بقتل أبيك ولو كنت متولياً لقتاله ما قتلتة.

أقول: من الواضح لكل ذي مسكة أن يزيد هو رأس الأفعى وهو السلطان الأعظم والأمر المتبع، وهو الذي أمر بقتل الحسين عليهما السلام، ويدل على ذلك مضافاً إلى ما هو معلوم من قانون السياسة والإمرة الأخبار الدالة على أن يزيد كان قد أمر عامله والتي المدينة أن يأتيه برأس الحسين عليهما السلام حتى قبل خروجه من المدينة، والأخبار الكثيرة الدالة على أن يزيد كان قد بعث من يقتل الحسين عليهما السلام بمكة المكرمة حتى ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة!! ولأجل ذلك اضطر الحسين عليهما السلام أن يعدل عن إتمام الحج مع أنه ليس بينه وبين الحج إلا بضعة أيام!!، وعدل من عمرة التمتع التي كان عليها إلى العمرة المفردة وخرج من مكة يوم الثامن من ذي الحجة.

كما ويظهر من سياق الأحداث ولا سيما أن عبد الله بن زياد كان كلباً وفيها ومخلصاً لسيده يزيد فلا يمكن أن يرتكب في الحسين عليهما السلام ما لم يأمر به يزيد ولا سيما بهذه الشدة والقساوة.

كما تدل كل الأخبار، التي قدمناها في هذا الكتاب أن يزيد هو الذي أمر بقتل الحسين

عليه ونبي نسائه وأطفاله وإهانتهم على هذا النحو القاسي الذي لا يخطر ببال إنسان فيه قلب ينبض، وهو الذي كان جذلان مسروراً بقتل الحسين عليه، وهو الذي أمر أهل الشام بإظهار السرور والفرح وإعلان تلك الأيام أيام عيد وفرح وقرع طبول، ولقد استمرت عادة أهل الشام على اتخاذ أيام محرم ويوم عاشوراء أيام أفراح وأعياد ولم تقطع هذه العادة إلا بعد قرون عدة، ولقد بلغنا أن بعض الناس في هذه الأيام يقومون ببعض الأعمال والأفراح في يوم عاشوراء، يفعلون ذلك وراثة لتقاليد آبائهم وأجدادهم دون أن يعرفوا أنهم يحتفلون بقتل الحسين وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

٣٤- موقف في الشام:

ولسيدنا علي بن الحسين عليه عدة مواقف في الشام لا بد من ذكرها:

١- منها أنه لقيه أحد الصحابة قيل هو المنهاج بن عمرو، وقيل هو مكحول، فسأله فقال: كيف أمسيت يا ابن رسول الله عليه، فقال عليه: أمسينا كمثلبني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهاج أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدًا عليه منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدًا عليه منها، وأمسينا عشر أهل بيته ونحن مغضوبون مقتولون مشردون، فإنما الله وإنما إليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهاج، قال منهاج: وبينما هو يكلمني إذ إمرأة خلفه تقول له: إلى أين يا نعم الخلف، فتركتني وأسرع إليها، فسألت عنها فقيل لي: هذه عمة زينب عليه.

٢- ومنها أن يزيد قال لعلي بن الحسين عليه: يا علي، أتصارع ابني خالدا، قال عليه: ما تصنف بمصارعي إيه، أعطني سكينا وأعطيه سكينا، فليقتل أقواناً أضعفنا، فقال له يزيد: شنشنة أعرفها من آخرزم، لا تلد الحياة إلا الحياة، أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب عليه، وبروي بعض المؤرخين أن هذه الحادثة جرت مع عمرو بن الحسن عليه.

٣- وعن كتاب دعوات الرواندي أنه لما حمل علي بن الحسين عليه إلى يزيد لعنه الله هم بضرب عنقه فوقفه بين يديه وهو يكلمه ليستطعه بكلمة يوجب بها قتله وعلى عليه يجيئه حسب ما يكلمه وفي يده سبحة صغيرة يديرها بأصابعه وهو يتكلم، فقال له يزيد: أكلمك وأنت تجيئني وتدير أصابعك بسبحة في يدك فكيف يجوز ذلك؟، فقال عليه: حدثني أبي عن جدي أنه كان إذا صلى العدالة وانقتل لا يتكلم حتى يأخذ سبحة بين يديه فيقول: اللهم إني أصبحت أسبحك وأمجدك وأهلك بعد ما أديرك به سبحتي وأأخذ السبحة ويديرها وهو يتكلم بما يريد من غير أن يتكلم بالتسبيح، وذكر أن ذلك محتسب له، وهو حرز إلى أن يأوي إلى فراشه، فإذا آوى إلى فراشه قال مثل ذلك القول ووضع سبحته تحت

رأسه فهي محسوبة له من الوقت إلى الوقت، ففعلت هذا إقتداءً بجدي، فقال يزيد: لست أكلم أحداً منكم إلا ويجيني بما يعود به.

الباب الرابع

العودة الحزينة

١-خروج السبايا من الشام:

قد عرفت أن يزيد عزم على إظهار كرمه المسطّع بإكرام السبايا، فقال لعلي بن الحسين عليهما السلام: أذكّر حاجتك الثلاث الالاتي وعدتك بقضاءهن، فقال عليهما السلام: الأولى: أن ترني وجه سيدي وأبي ومولاي الحسين عليهما السلام، فأنتزود منه وأنظر إليه وأودعه، والثانية: أن ترد علينا ما أخذنا منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن عليهما السلام، فقال يزيد: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأما قتلك فقد غفرت عنك، وأما النساء فما يؤدّيهن إلى المدينة غيرك، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته، فقال عليهما السلام: أما مالك فما نريده وهو موفر عليك، وإنما طلبت ما أخذناه لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد عليهما السلام ومقنعتها وقلادتها وقيصها، فأمر برد ذلك وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليهما السلام وفرقها في الفقراء والمساكين.

ويروى أن يزيد لعنه الله عرض عليهم المقام بدمشق فأبوا ذلك وقالوا: بل ردنا إلى المدينة فإنه مهاجر جدنا عليهما السلام.

فأمر برد الأسارى والسبايا إلى المدينة.

ويروى أن يزيد هو الذي استعجل خروج السبايا والأساري من الشام لأنه خشي الفتنة وانقلاب الرأي العام عليه، فأمر النعمان بن بشير أن يتولى تجهيزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم رجالاً من أهل الشام أميناً صالحاً معه خيل وأعوان ليؤدوا السبايا إلى حرم جدهم.

ويروى أن يزيد بعث إلى المدينة فاستقدم منها جماعة من مواليبني هاشم ليكونوا مع قافلة السبايا في طريق عودتها مع خيل أهل الشام.

ثم كسا السبايا وجباهم وفرض لهم الأرزاق وسِيرَهم على صورة جميلة، فكان الرسول معهم كهيئة حارس لهم فإذا نزلوا في منزل تتحى وتفرق عنهم هو وأصحابه وينزل بهم حيث أرادوا ويقضي حوائجهم ويلطف بهم، واستمر كذلك إلى أن وصل بهم إلى المدينة.

ولذلك قالت فاطمة بنت علي عليهما السلام لأنختها زينب عليها السلام: قد وجب علينا حق هذا الرجل لحسن صحبته لنا، فهل لك أن نصله، فقالت زينب عليهما السلام: والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيه حلينا، فأخذت سوارها ودملجها وسوار أختها ودملجها فعثنا بها إليه واعتذرنا من قتلها وقلن له: هذا بعض جزائك لحسن صحبتك إيانا، فقال: لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي، ولكن والله ما فعلته إلا الله وقرباتكم من رسول الله عليهما السلام.

٢- السبايا في كربلاة:

سارت قافلة السبايا راجعة إلى المدينة فلما انفصلت من الشام ووصلت إلى العراق قالوا للدليل: مُرّينا على طريق كربلاة.

فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا هناك الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله عليهما السلام قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليهما السلام فما وفروا في وقت واحد، وقد قيل أن أول زائر للحسين عليهما السلام من الإنس هو جابر بن عبد الله الانصاري يوم العشرين من صفر، وكان جابر ومن معه من آل الرسول عليهما السلام وجماعة من بني هاشم عند قبر الحسين عليهما السلام عندما لاح لهم سواد قد طلع عليهم من بعيد من ناحية الشام فقال جابر لعبد: إنطلق إلى هذا السواد وآتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجم إلى ملجم، وإن كان زين العابدين عليهما السلام فأنت حر لوجه الله تعالى، فمضى العبد فيما كان بأسرع من أن رجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله عليهما السلام هذا زين العابدين عليهما السلام قد جاء بعماته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي القدمين مكشوف الرأس إلى أن دنا من زين العابدين عليهما السلام، فقال له زين العابدين عليهما السلام: أنت جابر، فقال: نعم يا ابن رسول الله عليهما السلام، فقال عليهما السلام: يا جابر هنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيالنا، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المأتم المقرحة للأكباد، واحتمع إليهم نساء الحي ورجالهم وقاموا ينوحون على الحسين عليهما السلام أيامًا.

٣- موقف جابر بن عبد الله الانصاري:

وكان موقف جابر بن عبد الله الانصاري من المواقف المشكورة التي وقفها لأهل بيته

نبهَ عليهِ تَعَالَى اللَّهُ، إذ وقف على قبر الحسين عليهِ تَعَالَى اللَّهُ فأجهش بالبكاء وقال: يا حسین ثلاثة، فلم يسمع جواباً فقال:

حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثابجلك، وفرق بين رأسك وبدنك، فأشهد أنك ابن خاتم النبیین وابن سید المؤمنین، وابن حلیف التقوی وسلیل الھدی وخامس أصحاب الکسائے وابن سید النقایء، وابن فاطمة الزهراء سیدة النساء، ومالك لا تكون كذلك وقد غذتك کف سید المرسلین، وربیت في حجر المتقین، ورضعت من ثدي الإیمان، وفطممت بالإسلام، فطبت حیاً وطببت میتاً غير أن قلوب المؤمنین غير طيبة بفرارک ولا شاکة في الخیرة لک، فعلیک سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضیت على ما مضی على أخوک یحيی بن زکریا، ثم أجال بصره حول القبر وقال:

السلام عليکم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسین عليهِ تَعَالَى اللَّهُ وأناخت برحله، أشهد أنکم أقمتم الصلاة واتیتم الزکاة وأمرتم بالمعروف ونهیتم عن المنکر وجاهدتكم الملحدین وعبدتم الله حتى أتاکم الیقین، والذی بعث محمدًا عليهِ تَعَالَى اللَّهُ بالحق نبیاً لقد شارکناکم فيما دخلتم فيه، فقال له عطیة العوفی: کیف ولم نهبط وادیا ولم نعل جلاً ولم نضرب بسیف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟!، فقال جابر: إني سمعت حبیبی رسول الله عليهِ تَعَالَى اللَّهُ يقول: من أحب قوماً كان معهم، ومن أحب عمل قوم أشرک في عملهم، والذی بعث محمدًا بالحق نبیاً إن نبی ونیة أصحابی على ما مضی عليه الحسین عليهِ تَعَالَى اللَّهُ وأصحابه.

وفي خبر آخر قال عطاء: كنت مع جابر بن عبد الله يوم عشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغسلت في شريعتها ولبس قميصاً طاهراً كان معه ثم قال لي: أعملک شيء من الطیب يا عطاء؟، قلت: معي سعد، فجعل منه على رأسه وسائر جسده، ثم مشی حافیاً ثم لم يخط خطوة إلا ذکر الله حتى وقف عند قبر الحسین عليهِ تَعَالَى اللَّهُ فقال: ألسنیه فألمسته، فکبر ثلاثة ثم خرمغشاً عليه فلما أفاق، قال: يا حسین ثلاثة... إلخ كما تقدم.

٤- عیال محمد عليهِ تَعَالَى اللَّهُ على باب مدینته:

بعد أن أقام علي بن الحسین عليهِ تَعَالَى اللَّهُ مع ذریة ونساء آل محمد عليهِ تَعَالَى اللَّهُ في كربلاء ثلاثة أيام انطلقت هذه القافلة المقدسة راجعة إلى المدينة فلما قربوا من المدينة نزل علي بن الحسین عليهِ تَعَالَى اللَّهُ فحط الرحال وضرب الفسطاط وأنزل النساء، وقال لبشير بن حذلمن وقد كان

معه: يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه، فقال بشير: بلّى يا ابن رسول الله ﷺ إني شاعر: فقال ﷺ: أدخل المدينة وانع أبو عبد الله ﷺ.

ركب بشير فرسه وركض به حتى دخل المدينة، فلما بلغ مسجد النبي ﷺ رفع صوته بالبكاء وأنشأ يقول:

قتل الحسين فأدمعي مدرار	يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
والرأس منه على القناة يدار	الجسم منه بكر بلاء مضرج

ثم قال: هذا علي بن الحسين ﷺ مع عُمَّاته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه.

قال بشير يصف ما حدث بعد قوله هذا، قال: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلا برزن من خدورهن، مكسوفة شعورهن، مخمسة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، ثم قال: فلم أر باكيًا أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه، وسمعت جارية تتوح على الحسين ﷺ فتقول:

نعمي سيدني ناع ناعه فأوجعا	فأصبح هذا المجد والدين أجدى
وأمرضني ناع ناعه فأوجعا	على من دهى عرش الجليل فزعزعا
وجوداً بدمع بعد دمعكما معا	فعنيني جودا بالدموع واسكبا
فأصبح هذا المجد والدين أجدى	على ابن نبي الله وابن وصيه
وان كان عنا شاطط الدار أشبعها	نعمي سيدني ناع ناعه فأوجعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزتنا بأبي عبد الله ﷺ وخدشت منا قروحاً لما تندمل، فمن أنت رحمك الله، فقلت أنا بشير بن حذلّم، وجهني مولاي علي بن الحسين ﷺ وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله ﷺ ونسائه، قال بشير: فتركتني مكانني وبادروا.

وكانت أم سلمة زوج النبي ﷺ ما زالت حيّة فدخلت عليها إحدى النساء صارخة تصرخ فقالت: قتل الحسين ﷺ، فقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: فعلوها، ملأ الله قبورهم ناراً.

ويقال أنه في هذه الحال من الحزن العارم الذي ملأ المدينة حتى أصبحت المدينة كلها كأنها تصبح صيحة واحدة، ضحلّك أمير المدينة عمرو بن سعيد بن العاص الأموي وتتمثل

بقول الشاعر:

كعجيج نسوتنا غداة الأرب

عجت نساءبني زياد عجة

كأنه يشبه صيحة نساءبني هاشم وأنصارهم بصيحة نساء كفاربني أمية وقريش يوم بدر.

٥- لقاء السبابا مع محمد بن الحنفية

أما محمد بن الحنفية فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان مريضاً من يوم خروج الحسين عليه السلام، وهو باكي العين، فلما سمع الصيحة في المدينة وكثرة البكاء والتحب سأله عن ذلك فأخبروه بقدوم أهله، فلما سمع ذلك خرج هائماً، يقوم تارة ويقعده أخرى إلى أن وصل إليهم وهو صارخ قائل: وألآه، وأحسيناه، فأقاموا في وجهه الصراخ والبكاء والتحب فخرّ مغشاً عليه، فلما أفاق قام واحتضن ابن أخيه وقبله بين عينيه، وقال: يا أخي يعز على قتلك وأنا لست معاك وكانت أفيديك بروحني، ثم جلس إلى زين العابدين عليه السلام.

٦- إجتماع زين العابدين مع أهل المدينة وخطبته عليه السلام فيه:

بعد أن أدى الناعي وظيفته وأخبر أهل المدينة بقدوم عيال محمد عليه السلام نساء وأرامل وأيتام قد فقدموا سيدهم أبا عبد الله الحسين عليه السلام وليس معهم من الرجال إلا علي بن الحسين عليه السلام المحزون المكروب، وما سمع أهل المدينة هذا الخبر الذي نزل عليهم نزول الصاعقة حتى بادروا إلى لقاء آل محمد عليه السلام، قال بشير بن حذلم يصف هذا اللقاء:

ضربت فرسى حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواقع فنزلت عن فرسى وتحطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً ومعه خرقه يمسح بها دموعه وخلفة خادم معه كرسى فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وما لبث أن جاء عممه محمد بن الحنفية فجلس إلى جانبه، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين الجواري والنساء، والناس من كل ناحية يعزونه فضجت تلك البقعة ضجةً شديدة، فأوْمأ بيده أن اسكنوا فورتهم، فقال عليه السلام:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلي، وقرب فشهاد النجوى، نعمده على عظام الأمور وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضايقة اللوازع، وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاضحة الكاتمة الفادحة الجائحة.

أيها الناس إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبد الله وعترته وسبني نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلا لها رزية.

أيها الناس، فأي رجالات منكم يسررون بعد قتله، أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجهها والسماءات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولحجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس أي قلب لا يندفع لقتله، أم أي فؤاد لا يحن إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام

أيها الناس أصبحنا مشردين مذودين شاسعين عن الأنصار كأننا أولاد ترك أو كابل من غير جرم اجترمناه ولا مكرره ارتكبناه ولا ثلمه في الإسلام ثلمتناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوليين إن هذا إلا احتلاق.

والله لو أن النبي ﷺ تقدم إليهم في قاتلنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فإن الله وإنما إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأكظنها وأفظطها وأمرها وأفدىها، فعنده الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا، إنه عزيز ذو إنتقام.

٧- قصيدة أم كلثوم:

ونادت أم كلثوم:

فبالحسرات والأحزان جينا

بأنا قد فجعنا في أبينا

بلا رؤوس وقد ذبحوا البنينا

وبعد الأسر يا جد سُبيينا

جنابك يا رسول الله فينا

بناتك في البلاد مشتتينا

مدينة جدنا لا تقبلينا

ألا فأخبر رسول الله عنا

وأنا رجالنا بالطف صرعى

وأخبر جدنا أنا أسرنا

وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا

أفاطم لو نظرت إلى السبايا

أفاطم لو نظرت الى الحيارى
ولو عاينت يا مولاي ساقوا
على متن السياق بلا وطاء
مدينة جدنا لا تقبلينا
خرجنا منك بالأهلين جمعا
كنا في أمان الله جهرا
فنحن الصائعتات بلا كفيل
ونحن السائرات على المطايا
ألا يا جدنا قتلوا حسينا
ألا يا جدنا بلغت عدانا
لقد هتكوا النساء وحملوها
وزينب أخرجوها من خباهها
وزين العابدين بقيد ذلِّ

ولو أبصرت زين العابدينا
عيال أخيك أصبحوا صائعينا
حريراً لا يجدن لهم معينا
وشاهدت العيال مكتشفينا
بالحسرات ولاحزان جينا
رجعنا لا رجال ولا بنينا
رجعنا بالقطيعة خائفينا
ونحن النائحات على أخيينا
نُشَالُ على جمال المبغضينا
ولم يراعوا جناب الله فينا
منها واشتفى الأعداء فينا
على الأقتاب قهراً أجمعينا
وفاطم والله تُبْدِيَ الأنينا
وراما قته أهل الخُوْونَا^(٤)

قال الراوي: فما استمت نداءها هذا إلا وأهل المدينة قد خرجوها صائгин رجالاً ونساء،
وهم يتصارعون ويبكون إلى أن قابلوهم وسلموا عليهم وهم على بكاء ونحيب.

٨- دخول السبايا إلى المدينة:

ثم مالبث أن دخل علي بن الحسين عليه السلام مع نساء آل محمد عليه السلام إلى داخل المدينة حتى
وصلوا إلى مسجد النبي عليه السلام وهم باكون صارخون: يا جدنا قتلوا حسينا بأرض كربلاء، ثم

(٤) هذه القصيدة إختصرناها ومن أرادها بطولها راجع بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٧

أخذت زينب عليها السلام بعضاً مني بباب المسجد وتوجهت إلى جدها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وصاحت: يا جده إني ناعية إليك أخي الحسين عليه السلام.

وصاحت سكينة فقالت: يا جده إليك المشتكى مما جرى علينا، فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافرا ولا مشركا شرّا منه ولا أجفا وأغاظ، فلقد كان يقرع ثغر أبي بمحضرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين!!

ثم تقدم زين العابدين عليه السلام وبكي وجعل يقول:

ونالوا بنا والله كل مناء
قتيلا وفي الأحساء حر ظماء
كما البدر يبدو في علو سماء
بغير وطاء جدنا وغطاء
جميعهم يهجوننا بهجاء
وقد أوقفونا عنده بسواء
بقتل أخيكم قد بلغت هنائي
وذى عمتى صاحت بغير عزاء
فقال دعوه ذا من الطلقاء

وهكذا عاد موكب النور خافتًا حزينا منكسفا بعد أن خرج متلائلاً وهاجا بنور أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ولله در القائل الباكي:

فلم أرها أمثالها يوم حلت
 وإن أصبحت منهم بزعمي تخلت

مررت على أبيات آل محمد
فلا يبعد الله الديار وأهلها

٩- وداع القافلة

ويروى عن علي بن يزيد، قال: كنت مع علي بن الحسين عليه السلام عندما انصرف من الشام إلى المدينة فكنت أحسن إلى نسائه وأقضى حوائجه. فلما نزلوا المدينة بعثوا إلي بشئ من حليهن، فقلت: فعلت هذا الله تعالى. فأخذ علي بن الحسين عليه السلام حجراً أسود صما فطبعه بخاتمه، ثم قال: خذه وسلم كل حاجة لك منه. فوالذي بعث محمداً بالحق لقد كنت أسأله الضوء في البيت فيسرج في الظلام، وأضعه على الاقفال فتفتح، وآخذه بيدي وأقف بين يدي السلاطين فلا أرى سوءاً.

أقول: ولا أعلم أين أقامت ذرية النبي صلوات الله عليه في مدينة جدهم حيث أن الأخبار تروي أن والي المدينة من قبل يزيد كان قد هدم دور علي والحسن والحسين وعقليل عليهم السلام.

وبذلك نختم الكلام عما جرى على نساء وذرية آل محمد صلوات الله عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.



الفصل الثالث
حزن الكائنات



الباب الأول

أحزان الحق وأهله.

١- أحوال الكائنات:

إشعرت أظله العرش لدم الحسين عليه السلام وبكاه كل شيء من دون سدمة المنتهى إلى الثرى جزعاً عليه، وروي عن مولانا أبي جعفر الباقر عليهما السلام أنه قال: بكـت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها.

وعن الصادق عليهما السلام أنه قال: إن أبا عبد الله الحسين عليهما السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب عليهمـن والنار والجنة وما خلق ربنا وما يرى وما لا يرى إلا ثلاثة أشياء هي البصرة ودمشق وآل عثمان بن عفان.

وجاء في زيارة الحسين عليهما السلام المشهورة التي علمـها الإمام الصادق عليهما السلام لجماعة من خاصة أصحابـه:

أشهد أن دمك سـكن في الخلـد واقـشعرت له أظلـه العـرش وبـكـي له جـمـيع الـخـلـائق، وبـكت له السـماـوات السـبـع والأـرضـون السـبـع وماـفيـهـنـ وماـبـيـهـنـ ومنـيـتـقـلـبـ فيـالـجـنـةـ والنـارـ منـخـلـقـ ربـنـاـ، وماـيـرـىـ وماـلاـيـرـىـ.

وجاء في زيارة أخرى

وأقيمت عليك المـآتمـ في أعلى عـلـيـينـ، تـلـطـمـ عـلـيـكـ فيهاـ الـحـورـ العـيـنـ وـتـبـكـيكـ السـماـواتـ وـسـكـانـهـاـ، وـالـجـبـالـ وـخـزانـهـاـ، وـالـسـحـابـ وـأـقـطـارـهـاـ، وـالـأـرـضـ وـقـيـعـانـهـاـ، وـالـبـحـارـ وـحـيـانـهـاـ، وـمـكـةـ وـبـيـانـهـاـ، وـالـجـنـانـ وـوـلـدـانـهـاـ، وـالـبـيـتـ وـالـمـقـامـ، وـالـمـشـعـرـ الـحرـامـ، وـالـحـطـيمـ وـزـمـزمـ، وـالـمـنـبرـ الـمـعـظـمـ، وـالـنـجـومـ الـطـوـالـعـ، وـالـبـرـوقـ الـلـوـامـ، وـالـرـعـودـ الـقـعـاعـ، وـالـرـياـحـ الـرـاعـزـ، وـالـأـفـلـاكـ الـرـوـافـعـ...

وجاء في زيارة ثلاثة ذكرها الإمام الصادق عليه السلام قال:

... بأبي أنت وأمي يا سيد، بكينك يا خيرة الله وابن خيرته، وحق لي أن أبكيك وقد بكتك السماوات والأرضون والجبال والبحار، فما عذرني إن لم أبكك وقد بكك حبيب ربي وبكتك الأئمة صلوات الله عليهم وبكاك من دون سدرة المنتهي إلى الثرى جزعاً عليك.

ولا بأس بتفصيل هذه الأحداث.

٢-غضب الله ونداؤه:

لقد غضب الله على أمة قتلت أو ظلمت أو خذلت حسيناً عليه السلام، ولما ضرب الحسين بن علي عليه السلام بالسيف ثم ابتدر لقطع رأسه نادى مناد من قبل رب العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال: ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها لا وفقكم الله لأضحي ولا فطر.

ولقد قال الله للملائكة بعد أن ضجّت عند مقتل الحسين عليه السلام: قرروا ملائكتي فوعزتني وجلاي لأنتقمن منهم ولو بعد حين، ثم كشف عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسررت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتم منهم.

وفي خبر آخر أن في يوم قتل الحسين عليه السلام ماجت السماوات بأهلها وتزعزعت الأرض من أقطارها ومادت الجبال وكثير اضطربها واصطفقت البحور بأمواجهها غضباً لمحمد عليه وذريته واستعظاماً لما ينتهك من حرمه، ولم يبق شيء إلا استأذن الله في نصرة آل محمد عليه فيوحي الله تعالى إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن: إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر على الإنتصار والإنتقام، وعزتي وجلاي لأعذبن من وتر رسولي وصفيفي وانتهك حرمه وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهله عذاباً لا أعزبه أحداً من العالمين. فعند ذلك يضج كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم العترة وإستحل حرمة محمد عليه السلام.

٣-حزن الملائكة فرقة المنصور:

أما ملائكة السماء فإنهم حزنوا وبكوا على الحسين عليه السلام حتى قبيل استشهاده عليه، ففي الخبر أنه لما أتت على الحسين عليه سنة كاملة من مولده هبط على الرسول عليه أثنا عشر ملكاً... محمرة وجههم، باكية عيونهم، قد نشروا أحجتهم... الحديث.

وهكذا لا زالت الملائكة تبكي على الحسين عليه السلام وتنزل على رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وتعزيه بهذه المصيبة المهولة التي ستقع بولده وثمرة فؤاده ومهجته الحسين عليه السلام، وفي الخبر الذي رواه الشيخ الجليل ابن قولويه رحمه الله في كامل الزيارات عن سليمان قال: وهل يقى في السماء ملك لم ينزل إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه يعزيه بولده الحسين عليه السلام ويخبره بثواب الله إياه ويحمل إليه تربته مصروعاً عليها مذبوحاً مقتولاً جريحاً طريحاً مخدولاً... الحديث.

أقول: ليس من عادة علمائنا ولا سيمما ابن قولويه في كتاب الكامل الزيارات أن ينقل كلمات غير الأئمة عليهم السلام، فالظاهر أن هذا الخبر من كلام الإمام عليه السلام وأن سليمان وهو من أصحاب الصادق عليه السلام، قد روى الخبر عنه عليه السلام وأضمر اسمه.

وعندما علمت الملائكة بخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى القتال هبطت فرقة منهم عددهم أربعة ألف ورئيسهم ملك يقول له المنصور، هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام وويريدون نصره على أعدائه ولكن الله تعالى غالب على أمره لم يأذن لهم في القتال مع الحسين عليه السلام، فاستمرروا يراجعون الله تعالى في الإستئذان حتى أذن لهم، فهبطوا إلى الأرض فإذا بهم يرون الحسين عليه السلام مقتولاً ومذبوحاً، فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا بالإنحدار وأذنت لنا في نصرة الحسين عليه السلام، فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تعالى إليهم أن: إلزموا قبته حتى ترونوه وقد خرج فانصروه وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكـت الملائكة حزناً وجـزاً وهم عند قبره يـكون شـعاً غـراً إلى يوم القيـمة.

وإن هؤلاء الملائكة ليكون الحسين عليه السلام بكاء يبكي له كل من في الهواء والسماء من الملائكة، ويضجّون على الحسين عليه السلام عند قبره ليكون ويصرخون لا يفترون ولا يسامون، وهم من خشيه الله مشفقوـن ومن عذابـه حـذـرون، لا تـغـيرـهم الأـيـام ولا يـهـرـمون، وفي نواحيـه يـشهـقـون، وسـيـدـهم يـرى ما يـصـنـعـون وما فـيـهـ يـتـقـلـيون، قد انـهـملـتـ مـنـهـمـ العـيـونـ فـلاـ تـرـقـأـ، واـشـتدـ مـنـهـمـ الـحزـنـ بـحرـقـةـ لـاـ تـطـفـأـ.

وما من صباح إلا وعلى قبر الحسين عليه السلام هاتف من الملائكة ينادي: يا طالب الخير أقبل إلى خالصـةـ اللهـ تـرـحلـ بـالـكـرـامـةـ وـتـأـمـنـ النـدـامـةـ، فـيـسـعـ هـذـاـ النـدـاءـ أـهـلـ المـشـرقـ وـأـهـلـ الـمـغـرـبـ إلاـ الشـتـلـينـ، ولاـ يـقـىـ فيـ الـأـرـضـ مـلـكـ مـنـ الـحـفـظـ إـلاـ عـطـفـ عـلـىـ قـبـرـ الـحـسـينـ عليـهـ السـلـامـ عـنـ دـرـقـ العـبـادـ حتـىـ يـسـبـحـ اللهـ عـنـهـ وـيـسـأـلـ اللهـ الرـضاـ عـنـهـ، ولاـ يـقـىـ مـلـكـ فيـ الـهـوـاءـ يـسـمـعـ الصـوتـ إـلاـ أـجـابـ بـالـتـقـدـيسـ للـهـ تـعـالـىـ، فـتـشـتـدـ أـصـوـاتـ الـمـلـائـكـةـ وـأـهـلـ السـمـاءـ الدـنـيـاـ حتـىـ يـتـبـلـغـ أـهـلـ السـمـاءـ السـابـعـةـ فـيـسـعـ أـصـوـاتـهـ النـبـيـونـ فـيـتـرـحـمـونـ وـيـصـلـوـنـ عـلـىـ الـحـسـينـ عليـهـ السـلـامـ وـيـدـعـونـ لـمـ زـارـهـ.

وسيستمر هؤلاء الملائكة الكرام بهذا البكاء عند قبر الحسين عليهما السلام إلى يوم القيمة، يصلون على الحسين عليهما السلام ويحرسون قبره ولا يأتيه زائر إلا استقبلوه ودعوا له، ولا يمرض أحد من زواره إلا عادوه، ولا رجع منهم أحد إلا دعوه ولا يموت أحد منهم إلا شيعوا جنازته بالإستغفار له والترحم عليه.

٤- حزن كافة الملائكة:

ونزل ملك البحار من ملائكة الفردوس فنزل إلى البحر فنشر أجنحته عليها ثم صاح صيحة، فقال: يا أهل البحار البسوأ ثواب الحزن فإن فرخ رسول الله عليهما السلام مذبوح، ثم حمل من تربته في أجنحته إلى السماوات فلم يبق ملك فيها إلا شهها وصار عنده لها أثر ولعن قتلته أشياعهم وأتباعهم، ولقد ضجت الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب، وقالت: يا رب يُفعل هذا بالحسين عليهما السلام صفيك وابن نبيك، إلهنا وسيدنا أتغفل عن قتل صفوتكم وابن صفوتكم وخيرتك من خلقك، ربنا أئذن لنا في هلاك الخلق حتى نجد لهم من جديد الأرض بما استحالوا حرمتكم وقتلوا صفوتكم.

وعندما عرجت روح الحسين عليهما السلام لم تمر في سماء إلا فزع له سمعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصيلهم إلى يوم القيمة. ولم يبق في السماوات ملك إلا نزل إلى رسول الله عليهما السلام يعزيه بولده الحسين عليهما السلام ويخبره بشوائب الله ويحمل إليه من تربته.

وأقيمت المآتم في السماوات تحضرها الملائكة وتلطم العيون وبكي جميع ملائكة السماوات والأرضين ورضوان ومالك وحملة العرش، واقشعررت أظلة العرش، وبكت كل الملائكة أربعين صباحاً، ولا يزال كل واحد من الملائكة يسأل الله تعالى في زيارة قبر الحسين عليهما السلام، ففوج منهم يهبط من السماء وفوج يصعد حتى صار قبر الحسين عليهما السلام وهو عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسرأً (أي ما يقارب تسعه أمتار في تسعه أمتار) معراجاً للملائكة إلى السماء وروضة من رياض الجنة.

٥- حزن جبريل عليهما السلام

روى شيخنا ابن قولويه في كتاب كامل الزيارة بإسناده عن ابن عباس، قال: الملك الذي جاء إلى محمد عليهما السلام يخبره بقتل الحسين عليهما السلام كان جبريل عليهما السلام الروح الأمين، منشور الأجنحة باكيَا صارخاً، قد حمل من تربة الحسين عليهما السلام وهي تفوح كالمسك، فقال رسول الله عليهما السلام: وتُلْحِ أَمْتِي تُقْتَلْ فَرْخِي - أو قال: فرخ ابنتي. فقال جبريل عليهما السلام: يضر بها الله بالإختلاف فتختلف قلوبهم.

٦- حزن كافة الروحانيين

وروى بعض أهل السنة عن سلمان الفارسي أنه قال في حديث: كل شيء في الأرض يبكي على الحسين عليه السلام إذا قتل، حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويُسجد ذلك اليوم، ويقول: إلهنا وسيدنا أنت الحكم العليم، ثم لا يرثون رؤوسهم حتى ينادي ملك السماء والأرض أن يا معاشر الخلقة ارفعوا رؤوسكم فقد وفيتم لرب العزة.

٧- حزن الأنبياء عليهما السلام:

أما الأنبياء الله فقد حزنو وبكوا على الحسين عليه السلام أثناء حياتهم وقبل مقتله عليه السلام، كما ورد في آدم عليه السلام أنه لعن قاتل الحسين عليه السلام، وكان إذا ذكر الحسين عليه السلام ينكسر قلبه ويخشى وتسيل دموعه ويبكي، وكان يبكيه مع جبرئيل بكاء الشكلي.

وورد أن نوح عليه السلام لعن قاتل الحسين عليه السلام وظالمه وخاذله.

وورد أن إبراهيم عليه السلام جزع على الحسين عليه السلام وبكي حتى توجع قلبه ولعن يزيداً لعنًا كثيراً وأمر ولده بلعنه.

وورد أن موسى بن عمران عليه السلام قد بكى ووصل إلى كربلاء ولعن يزيداً ودعا عليه وأمن على دعائه وصييه يوش بن نون عليه السلام وأمر أمته بلعنه.

وداود النبي عليه السلام لعن قاتل الحسين عليه السلام وأمربني إسرائيل بلعنه.

وليمان بن داود عليه السلام هبط في أرض كربلاء فلعن قاتل الحسين عليه السلام ودعا عليه وأمن على دعائه الإنس والجن.

وإسماعيل بن حزقيل صادق الوعد عليه السلام ظلمه قومه حتى سلخوا فروة رأسه ووجهه فتأسى بالحسين عليه السلام وطلب الكراهة معه يوم الكراهة.

وكان زكرياء عليه السلام إذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهارة، وتدمع عينه، وثور زفاته، وعندما أوحى الله تعالى إليه بما يحدث على الحسين عليه السلام لزم المسجد ثلاثة أيام ومنع الناس من الدخول عليه، وأقبل يبكي ويتحبب ويرثي الحسين عليه السلام.

وعيسى بن مریم عليه السلام مر على كربلاء ومعه الحواريون فشم بعر الظباء التي كانت مجتمعة

تبكي على الحسين عليه السلام ثم جلس يبكي، ويبكي معه الحواريون، ولعن يزيداً ودعا عليه وأمنَ الحواريون.

بل ورد الخبر أنه ما من نبي إلا زار كربلاء ووقف عليها وقال: إنك لبقة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر.

وقد حكى ابن طاووس عن ابن النجار إمام العامة في وقته أنه روى له في كتابه التذليل على تاريخ بغداد للخطيب خبراً جميلاً في بكاء مسمار من مسامير سفينة نوح على إمامنا الحسين صلوات الله عليه، وقد رواه بإسناده عن عطيه العوفي، عن ثابت البناي، عن أنس بن مالك، عن النبي عليه السلام أنه قال: لما أراد الله عز وجل أن يهلك قوم نوح عليه السلام أوحى الله إليه أن شق ألواح الساج فلما شقها لم يدر ما يصنع فهبط جبريل عليه السلام فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت ومائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار، فسر بالمسامير كلها السفينة إلى أن بقيت خمسه مسامير فضرب بيده مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضي الكوكب الدربي أفق السماء فتحير من ذلك نوح فأطلق الله ذلك المسمار بلسان طلق ذلق فقال: على اسم خير الأنبياء محمد بن عبد الله فهبط عليه جبريل فقال له: يا جبريل ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله، قال: هذا باسم خير الأولين والآخرين محمد بن عبد الله أسمره أولها على جانب السفينة اليمين، ثم ضرب بيده مسمار ثان فأشرق وأثار فرقاً في نوح: وما هذا المسمار قال: مسمار أخيه وابن عميه علي بن أبي طالب فأسمره جانب السفينة اليسار في أولها، ثم ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار، فقال: هذا مسمار فاطمة فأسمره إلى جانب مسمار أبيها، ثم ضرب بيده مسمار رابع فزهر وأنار فقال: هذا مسمار الحسن فأسمره إلى جانب مسمار أبيه، ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس فأشرق وأنار وبكي فقال: يا جبريل ما هذه الندوة، فقال: هذا مسمار الحسين بن علي سيد الشهداء فأسمره إلى جانب مسمار أخيه ثم قال عليه السلام **وَحَمَّلْتَهُ عَلَى ذَاتِ الْوَرْجِ وَدُسْرِهِ**، قال النبي عليه السلام **الألواح خشب السفينة، ونحن الدسر** لو لانا سارت السفينة بأهلها^(١).

أما بعد مقتل الحسين عليه السلام فإن الأنبياء عليهم السلام هم في السماء عند ربهم لم يبقنبي منهم في السموات إلا ويسأل الله تعالى أن يأذن له في زيارة الحسين عليه السلام ففوج من الأنبياء ينزل وفوج منهم يصعد.

الباب الثاني

حزن السماوات والأراضيين وما بينهن

١- بكاء السماء:

لقد بكى على الحسين عليه السلام السماء وما فيها من نجوم وشمس وقمر، أما السماء فقد بكت على الحسين عليه السلام وإنها لم تبك على أحد أبداً منذ أن بكت على الشهيد النبي يحيى بن زكريا، وإنها لم تبك إلا على هذين الشهيدَيْنِ، الحسين الشهيد ويحيى الشهيد.

وكان بكاؤها أربعين يوماً تطلع حمراء وتغرب حمراء وأمطرت تراباً أحمر كأنه دم، بل قيل: أمطرت السماء دماً فامتلأت العجاب والجرار والأواني دماً، وبقيت آثار هذا الدم على البيوت والجدران والحيطان مدة من الزمن.

وأظلمت الدنيا ثلاثة أيام واسودت إسوداداً عظيماً فلم ير نور الشمس في النهار، وبدت الكواكب نصف النهار وأخذت بعضها يضرب ببعضها حتى ظن الناس أن القيمة قامت.

وبقيت السماء حمراء سنة كاملة، بل قيل بقيت كذلك سنة وتسعة أشهر.

٢- دفع تشكيك:

قد يتخيّل بعض من لا يعلمون أن بكاء السماء واحمرارها عند قتل الحسين عليه السلام هي أخبار مبالغ فيها يرويها محبو الحسين عليه السلام فقط، وبالتالي هي أخبار غير ثابتة أو غير دقيقة.

والجواب أن هذا الخيال إنما يعرض على أذهان من لا خبرة لهم في شؤون التاريخ ومعلوماته وإلا فإن أدنى مراجعة في ذلك تكشف عن صحة هذه الأخبار واستفاضتها حتى أنها قد رواها علماء أهل السنة قبل رواة الشيعة، ولتوسيع الحال نقول أمرين.

الأول: أن هذه الأخبار نُقلت عن أئمّة عباد الله في كتب الرواية المعتمدة وبالأسانيد

الصحيحة المعتبرة والكثيرة بحيث تأخذ بأعناق الناظر فيها إلى الجزم بصحتها، ومنها الخبر الصحيح الذي رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال: إن الحسين عليه السلام بكى لقتله السماء والأرض وأحرمَت، ولم تبكيَا على أحد قط إلا على يحيى بن زكرياء والحسين بن علي عليهما السلام.

ومنها الخبر الصحيح الذي رواه داود بن فرقان عن الصادق عليه السلام قال: احرّمت السماء حين قتل الحسين عليهما السلام سنة وعلي يحيى بن زكرياء، وحررتها بكاؤها.

ومنها الخبر الموثوق الذي رواه عبد الخالق بن عبد ربه عن الصادق عليه السلام قال: ولم تبك السماء إلا عليهم أربعين صباحاً، قال: قلت: ما بكاؤها؟، قال: كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء.

ومنها الخبر الصحيح الذي رواه الريان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام قال في الحديث: ... لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه أمطرت السماء دما وتراباً أحمر.

وغير هذه الأخبار كثيرة يطول المقام بذكرها.

الثالث: إن هذه الأخبار رواها علماء العامة من أهل السنة ومؤرخوهم المعتمد عليهم عندهم، وإليك شطراً من ذلك.

١ - عن الزهرى قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام لم يبق بيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط.

٢ - عن أبي نعيم في دلائل النبوة، وعن التسوى في المعرفة قالت نصرة الأزدية: لما قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وحباباً وجرارنا صارت مملوءة دماً، وقال قرظة بن عبد الله: مطرت السماء يوماً نصف النهار على شملة بيضاء فنظرت فإذا هو دم، وذهبت الإبل إلى الوادي لشرب فإذا هو دم، وإذا هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

٣ - روى ابن جرير الطبرى والشاعرى والقرطبي في تفاسيرهم عن السدى قال: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت السماء، وبكاؤها حمرتها.

٤ - عن ينابيع المودة عن محمد بن سيرين قال: أخبرونا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الإمام الحسين عليه السلام.

٥ - عن ينابيع المودة عن سليمان القاضى قال: مطرنا دماً أيام قتل الحسين عليه السلام.

- ٦ - عن الطبراني في الكبير قال أبو قبيل: لما قتل الحسين عليه انكسرت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار.
- ٧ - وعن عثمان ابن أبي شيبة أن السماء بكت سبعة أيام فصارت حمراء، وروى مثله في تاريخ الخلفاء.
- ٨ - عن ابن الجوزي روى عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام وظهرت الحمرة في السماء.
- ٩ - روى أحمد بن حنبل في كتابه العلل (١٠١٩) قال: ذكر لسفيان جدته فقال: قالت: يوم قتل الحسين عليه صار اللumen كذا وصار الورس أسود.
- أقول: هذا خبر عظيم الإسناد وسفيان شيخ أهل علم هو من أعظم شيوخ العامة وأساطين الرواية عندهم.
- ١٠ - وروى ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره (١٩٠٦٥) بإسناده عن عبيد المكتب، عن إبراهيم، قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين، قيل لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن، قال: ذلك مقامه وحيث يصعد عمله، قال: وتدري ما بكاء السماء، قال: لا، قال: تحرر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل أحرمت السماء وقطرت دما، وإن حسين بن علي يوم قتل أحرمت السماء.
- ١١ - وبالجملة فقد رويت هذه الأخبار في الكثير من كتب أهل السنة منها ١. تاريخ ابن عساكر، ٢. علل ابن أبي حاتم، ٣. الصواعق المحرقة، ٤. الخصائص الكبرى، ٥. معاجم الطبراني، ٦. الخطط المقرizi، ٧. تذكرة الخواص، ٨. مقتل الخوارزمي، ٩. ينابيع المودة، ١٠. تفسير الثعلبي، ١١. الإتحاف بحب الأشراف، ١٢. تهذيب التهذيب، ١٣. تاريخ الخلفاء، ١٤. الدلائل لأبي نعيم، ١٥. الكواكب الدرية، ١٦. مجمع الروائد، ١٧: تفسير الطبراني، ١٨: تفسير القرطبي، ١٩: السنن الكبرى للبيهقي، ٢٠: مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ٢١: تهذيب الكمال للمزمي، ٢٢: الذرية الطاهرة للدولاني، وهذا ما حصلنا عليه على عجلة دون بحث ولا تبع والحاصل أن هذه الأخبار هي من الصحة بمكان لا ينبغي للمنصف أن يشكك فيها، والله العالم.

٣ - بكاء الأرض:

وبكت الأرض على الحسين عليه أربعين صباحاً وكان بكاؤها اسودادها وأنه لم يُرفع حجر إلا وجد تحته دم، حتى روى العامة عن الزهرى أنه قال: لم يبق في بيت المقدس

حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط، وقال رجل من أهل بيت المقدس: والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين بن علي عليهما السلام، فقيل له كيف ذاك؟، قال: ما رفينا حجراً ولا مدرأً ولا صخراً، إلا ورأينا تحتها دم عبيطاً يغلي، وأحرمت الحيطان كالعلق، ومطرنا ثلاثة أيام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل، يقول:

شفاعة جده يوم الحساب	أترجو أمة قتلت حسينا
شفاعة أحمد وأبي تراب	معاذ الله لا نلزم يقيناً
وخير الشيب طرأً والشباب	قتلتم خير من ركب المطايا

وانكسفت الشمس ثلاثة أيام ثم تجلت عنها، وإنشبكت النجوم، فلما كان من الغد أرجفنا بقتله، فلم يأت علينا كثير شيء حتى نعي إلينا الحسين عليهما السلام.

أقول وفي الخبر عن الباقي عليهما السلام أنه قال عن الليلة التي قتل فيها الحسين عليهما السلام: لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دماً عبيطاً حتى طلع الفجر، وأن هذا يعني حدث ليلة مقتل أمير المؤمنين عليهما السلام، وليلة قتل هارون أخو موسى عليهما السلام، وليلة قتل فيها يوش بن نون عليهما السلام، وليلة رفع عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى السماء.

وتققطعت الجبال وتناثرت البحار وتفجرت، وما من سحابة تمر وترعد إلا لعنت قاتله.

٤- بكاء الجن:

وبكي الجن وناحوا على الحسين عليهما السلام وذكروا فيه أبياتاً وأشعاراً كثيرة من أهمها:	فإن قتيل الطف من آل هاشم
أذلَّ رقاباً من قريش فذُلت	حبيب رسول الله لم يك فاحشاً
أبانت مصيبتك الأنوف وجلت	ولن أطيل على القارئ بذكر الأشعار التي نقلت عن الجن.

٥- بكاء الطير والوحش والحوت والجن:

بكى مؤمنوا الإنس والجن وحزنت الوحش حتى قال عليهما السلام: حتى لكأني أنظر إليها مادة أعناقها إلى قبر الحسين عليهما السلام تبكيه وترثيه حتى الصباح، وبكت الوحش في الفلوات والحيتان في البحر حتى ذرفت دموعها.

٦ - حزن ال يوم وهيامها:

وحزن الطيور وكانت أشدّها تأثراً طائر ال يوم فإنه قبل مقتل الحسين عليه السلام كان طيراً أليفاً يظهر نهاراً يأوي العمران والمنازل والقصور والدور وكانت تقع أمام الناس فيرمون لها الطعام فتأكل وتسقى وترجع إلى مكانها، فلما قتل الحسين عليه السلام قالت ال يوم: بئس الأمة أنتم، قلت ابن بنت نبيكم، ولا آمنكم على نفسي، فخرجت إلى الخراب والجبال والبراري وابتعدت عن الناس وتركت العمران ولا تكاد تظهر في النهار ولا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجيئها الليل، فإذا جاء الليل تدلهت وترنمت ورأت على الحسين عليه السلام حتى تصبح.

٧ - والحمام الراعبي:

وأما الحمام الراعبي فلا يزال يدعو على قتلة الحسين عليه وسلم ويلعنهم ولذلك ورد الأمر عن الأئمة عليه السلام باقتائه في المنزل.

٨ - والغراب:

والغراب كان له شأنه إذ يروى عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: لما قتل الحسين عليه السلام جاء غراب فوق في دمه ثم تمرغ فيه ثم طار فوق بمدينة الرسول عليهما السلام على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي - وهي الصغرى - فرفعت رأسها ونظرت إليه فبكت بكاء شديداً وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من تneauه ويلك يا غراب

قال: الإمام، قلت: من، قال: الموفق للصواب

إن الحسين بكريلا بين الأسنة والحراب

فأبكي الحسين بعيرة ترجي الإله مع الثواب

قلت: الحسين؟ فقال لي: حقاً لقد سكن التراب

ثم استقل به الجناح فلم يطق ردّ الجواب

فبكى مما حل بي بعد الدعاء المستجاب

٩ - والخطاف

والخطاف أيضاً يبكي على ما أصاب آل محمد صلوات الله عليهم من البلاء مع أن أعظم مصيبة أصابت آل محمد هي مصيبة الحسين عليهما السلام، فقد روي عن داود الرقي أو غيره قال: بينما نحن قعود عند أبي عبد الله عليهما السلام إذ مر رجل بيده خطاف مذبوح فوثب إليه أبو عبد الله عليهما السلام حتى أخذه من يده ثم دحاه إلى الأرض، ثم قال: أعلمكم أمركم بهذا أم فقيهكم؟ أخبرني أبي عن جدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الستة، منها الخطاف، وقال: إن دورانه في السماء أسفًا لما فعل بأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم وتسبيحه قراءة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ألا ترون أنه يقول: ﴿ولا الصالين﴾.

١٠ - حسان الحسين عليهما السلام:

ولا ننسى هنا أن نذكر أن حسان الحسين عليهما السلام كان له شأن في الحزن والبكاء على الحسين عليهما السلام فقد وقف على مصرعه ولطخ عرفة وناصيته بدم الحسين عليهما السلام وجعل يركض ويصهل ويحمل باكيًا.

بل بكى غير خيل الحسين عليهما السلام من الخيول التي حضرت مأساة كربلاه، إذ يروي رواة الخاصة وال العامة ومنهم الموقف الخوارزمي الحنفي الذي ذكر أنه عندما نادى عمر بن سعد بالرجل من عرصة كربلاه إلى الكوفة مررت مواكب النساء بجثمان الإمام الحسين عليهما السلام وجثامين أصحابه، فصاحت النساء ولطمأن وجوههن، وصاحت زينب: يا محمداه، صلى عليك ملوك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، معفر بالتراب، مقطع الأعضاء، يا محمداه، بناتك في العسكر سبايا، وذرتك قتلى تسفي عليهم الصبا، هذا ابنك محزوز الرأس من القفا.. قال الراوي: فما زالت تقول هذا القول حتى أبكت والله كل صديق وعدو حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها؟

١١ - بكاء جهنم:

حتى جهنم التي هي دار غضب الله تعالى لما خرجت نفس الحسين عليهما السلام عند قتله زفرت زفراً كادت الأرض تشق لزفرتها، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعته، ولكنها مأمورة مصفودة، ومع ذلك فلقد عنت على خزانها غير مرة حتى أتتها جبرائيل عليهما السلام فضررها بجناحه فسكتت، ولو لا من هم على الأرض من حجاج الله تعالى لنقضت الأرض وأكفلت بمن عليها وإنها لتبكي على الحسين عليهما السلام وتندبه وإنها لتلتقطى على قاتله، وعندما خرجت نفس عبيد

الله بن زياد ونفس يزيد بن معاوية لعنهم الله تعالى شهقت جهنم شهقةً لو لا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها.

١٢ - سرور الشيطان:

المخلوق الوحيد الذي فرح بقتل الحسين عليه السلام بعد دمشق والبصرة وآل عثمان بن عفان هو رئيسهم المطاع الشيطان الرجيم، فإنه لعنه الله طار فرحاً في يوم عاشوراء وجال الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول لهم: يا عشر الشياطين، قد أدرّكنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة وهم شيعتهم، فأجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغوائهم بهم وبأوليائهم حتى تستحكم ضلالـةـ الـخـلـقـ وـ كـفـرـهـمـ وـ لـاـ يـنـجـ مـنـهـ نـاجـ.

وقد فرح أولياء الشيطان وأتباعه في الدنيا فأعلنوا يوم عاشوراء يوم مباركاً وسنوا فيه أنواع السنن المبتدةعة اللازمـةـ لإظهـارـ الشـكـرـ والـفـرـحـ والـسـرـورـ إـعـانـاـ بـالـفـجـورـ وـعـدـاؤـ آلـ محمدـ عليـهـ السـلامـ، ومن جملـةـ هذهـ السنـنـ المـبـتـدـعـةـ هيـ سـنـةـ الصـيـامـ يومـ عـاـشـورـاءـ، وـرـوـوـواـ فـيـ كـذـبـاـ منـ الفـضـلـ ماـ اللـهـ تـعـالـىـ حـسـيـبـهـمـ عـلـيـهـ، وـيرـوـىـ عـنـ أـئـمـنـاـ عـلـيـهـمـ السـلامـ أـنـ الـذـيـ سـنـ الصـيـامـ فـيـ هـذـاـ الـيـوـمـ هـوـ الـمـلـعـونـ ابنـ مـرـجـانـةـ وـآلـ بـيـتـهـ عـلـيـهـمـ لـعـنـاتـ اللـهـ تـعـالـىـ.

الباب الثالث

حزن أهل البيت ع

١- حزن رسول الله ﷺ:

رسول الله ﷺ هو المصاب الأول والمفجوع الأعظم بمصيبة استشهاد فلذة كبده ومهجة قلبه وريحانة روحه، ولطالما بكى رسول الله ﷺ وطال بكاؤه على الحسين عليهما السلام حتى قبل استشهاده، ولأهمية هذا الأمر ستفصل حزن رسول الله ﷺ إلى قسمين: الأول: حزنه عليهما السلام قبل تحقق الشهادة، الثاني حزنه عليهما السلام بعد الإستشهاد.

الأول حزن الرسول ﷺ قبل الشهادة:

دلت الأخبار المستفيضة والمعتبرة والمعتمد عليها أن جبريل عليهما السلام جاء إلى رسول الله ﷺ يبشيره عن الله تعالى بمولود له تلده ابنته فاطمة عليهما السلام ثم تقتله أمها من بعده، وكان من الطبيعي أن يكون هذا الخبر الإلهي الحتمي محزناً ومفجعاً لرسول الله ﷺ، كما كان محزناً ومفجعاً لفاطمة الزهراء عليهما السلام، بل في بعض الأخبار أن رسول الله ﷺ وبضعته الزهراء عليهما السلام قالاً: لا حاجة لنا في مولود تقتله الأمة، وأن جبريل عليهما السلام عندما سمع هذا الجواب عرج به إلى السماء، ثم هبط مكرراً ومعيناً مخبراً عن الله تعالى ببقاء هذا القضاء الإلهي المفجع، وكرار رسول الله ﷺ وفاطمة عليهما السلام ما قالاه ثانية، فعرج جبريل عليهما السلام مرة ثانية، ثم هبط من السماء وأعاد للمرة الثالثة بيان بقاء القضاء الإلهي المحتوم إلا أن هذه المرة جاءت زيادة برؤسات إلهية في أعلى درجات الأهمية، وهي أن الله تعالى قد جعل الإمامة الإلهية إلى يوم القيمة من ذرية هذا المولود المبارك.

مع هذه الزيادة المقدسة لم يكن بد من رضا الرسول ﷺ وبضعته فاطمة عليهما السلام بولادة الحسين عليهما السلام قبولاً بهذه الفضيلة وإدراكاً منها لاستحالة بقاء الدنيا دون أئمّة، فرضياً صلوات الله عليهما بولادة الحسين عليهما السلام ثم استشهاده على يد أئمّة تدعّي أنها أئمّة جده محمد ﷺ.

ومن هذا الحين كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يبكي ويطول بكاؤه على مصيبة ولده الحسين عليهما السلام، ولقد استفاضت هذه الأخبار حتى رواها علماء أهل السنة مستفيضاً، وإليك شطراً من هذه الأخبار.

١- روى محمد بن علي الشجري وابن قولويه بالأسانيد عن محمد بن الحسين بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه فعملنا له خزيرة، وأهدت لنا أم أيمن قوباً من لين وزبد وصحفة من ثريد، فأكل رسول الله صلى الله عليه وأكلنا معه، ثم وضأت رسول الله عليه وسلم، فمسح يديه وجهه ولحيته بيده، ثم استقبل القبلة فدعا الله عزوجل ما شاء الله، ثم أكب على الأرض بدمع غزيرة مثل المطر، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فهينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسألة، فوثب الحسين عليه السلام وأكب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكي، فضممه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ قال: يا أبا رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله قط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بني اني سرت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم قبله بمثله، وان حبيبي جبريل أتاني فأخبرني انكم قتلوا وان مصارعكم شتى، فأحزنني ذلك فدعوت الله لكم بالخير. فقال الحسين: يارسول الله من يزورنا على تستتنا وتباعد قبورنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طائفة من أمتي تريد به بري وصلتي، إذا كان يوم القيمة زرتها بالموقف وأنجيتها من أهواه وشدائدھ^(١).

٢- ما عن كفاية الطالب للكنجي بسنده عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين عليهما السلام بين يدي النبي ﷺ في بيته فنزل جبريل عليهما السلام فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، وأواماً بيده إلى الحسين عليهما السلام، وناوله كفأاً من التراب، فبكى رسول الله ﷺ وضمّه إلى صدره، وشمّ رسول الله ﷺ التراب وقال ريح كرب وبلاء، ثم قال: وديعة عندك هذه التربة يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني قد قتل.... الحديث.

٣- ومثله الخبر الذي رواه الشيعة والسنّة كأحمد بن حنبل في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن ماجة وأبي نعيم وابن عساكر وابن سعد وغيرهم رووا عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم في بيته، فقال: لا يدخل على أحد، فانظرت فدخل الحسين فسمعت شيخ رسول الله ﷺ يبكي فاطلعت فإذا حسین في حجره والنبي ﷺ يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إن جبريل عليهما السلام

(١) فضل زيارة الحسين ص ٣١ وص ٣٣، كامل الزيارات ص ١٢٦ ح ١٤١

كان معنا في البيت، فقال: تحبه، قلت: أما من الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلا، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها، فأراها النبي عليه السلام فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض، قالوا: كربلا، قال: صدق الله رسوله، أرض كرب وبلاه.

٤- ما عن أعلام النبوة للماوردي الشافعي ورواه الطبراني في المعجم الكبير، عن عائشة قالت: دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله عليهما السلام وهو يوحى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبريل عليهما السلام: يا محمد، إن أمتك ستُفتَّن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاها بقربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يُقتل ابنك، اسمها الطف، فلما ذهب جبريل عليهما السلام خرج رسول الله عليهما السلام إلى أصحابه والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي عليهما السلام وحديفة وعمار وأبوذر وهو يبكي... الحديث.

٥- ما روى عن أم الفضل بنت الحارث زوجة العباس عم النبي في حديث الرؤية التي رأتها في منامها أنها دخلت يوماً على النبي عليهما السلام وهي تحمل الحسين عليهما السلام فوضعته في حجره، ثم حانت منها التفاتة فإذا عينا رسول الله عليهما السلام تهريقان بالدموع، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله عليهما السلام، ما لك؟، قال: أتاني جبريل عليهما السلام فأخبرني أن طائفتي من أمتي ستقتل ابني هذا.

٦- ما عن ينابيع المودة فيما يرويه عن ذخائر العقبى عن أسماء بنت عميس أن النبي عليهما السلام أخذ الحسين عليهما السلام في حجره وبكي، فقالت أسماء: فذاك أبي وأمي، مما تبكي؟ قال عليهما السلام: يا أسماء ابني هذا تقتله الفئة الباغية من أمتي، لا أنا لهم الله شفاعتي... الحديث.

٧- وفي أخبار أخرى أن النبي عليهما السلام كان إذا دخل عليه الحسين عليهما السلام يقع عليه فيقبله وي بكى، فيقول له الحسين عليهما السلام: يا أبا، لم تبك، فيقول رسول الله عليهما السلام: يا بني أقبل مواضع السيف منك وأبكى.

٨- ولما اشتتد برسول الله عليهما السلام مرضه الذي مات فيه ضم الحسين عليهما السلام إلى صدره ويقول: مالي ولزيذ، لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد، ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبل الحسين عليهما السلام وعيناه تذرفان ويقول: إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل.

٩- وروى شيخنا الصدوق من طريق العامة عن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال: بينما أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله عليهما السلام، إذ التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكى مما يصنع بكم بعدي. فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكى من

ضربيتك على القرن، ولطم فاطمة خدها، وطعنة الحسن في الفخذ، والسم الذي يسكنى، وقتل الحسين. قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء! قال: أبشر يا علي، فإن الله عز وجل قد عهد إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

١٠- ويروى عن جابر الجعفي قال: دخلت على سيدي الباقي (عليه السلام) فقلت: مولاي حدثني مولاك خالد بسوق العقيق، قال: سمعت مولاي الحسين بن علي يقول دخلت على جدي رسول الله ﷺ فلما رأني ضماني إليه وقبل ما بين عيني وتفنس صعداً وانهملت عيناه بالدموع، ثم قال لي: فديتك يا قتيل الفجرة وابناء الفجرة إلى الله اشكو عظم مصيبي فيك يا حسين وانهملت عيناه، قال: وكان لي في ذلك الوقت ثلاثة سنين، فلما سمعت كلام جدي رسول الله ﷺ عرض لي البكاء فبكيت لما سمعت منه ولبكائه، فقال: لا تبك يا حسين، بل اضحك سناً يا حسين، لا يحزنك ما سمعت من قتلك فإن الله خلقك من نور لا يطفأ ولن تطفأ أبداً، ووجه لم يهلك أبداً، وخلق من صلبه أنواراً أئمةً أبراً، وجعل فيك وفيهم حكم البدء والفناء والأخرة والأولى وزمام كل زمام، قال الحسين عليه السلام: فكأن الله عز وجل جلا عني حزني وأملأ قلبي سروراً فما حزنت منذ سمعت كلام جدي رسول الله ﷺ.

١١- وروى الشيخ الصدوقي في أماليه بإسناده عن ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام: يا رسول الله، إنك لتحب عقلاً؟ قال: إِي وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّهُ حَبِّيْنَ: حبا له، وحبا لحب أبي طالب له، وإن ولده لم يقتل في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلி عليه الملائكة المقربون. ثم بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

أقول: إن جريان الدموع إلى الصدر هو بكاء عظيم مهول لا عهد له بمثله ولم أر مثله في عمري كله إلا قليلاً، فإن الله وإنما إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإلى الله تعالى وحده نشكو عظيم أحزان النبي وعترته صلوات الله تعالى وبركاته عليهم.

١٢- وتقدم فيما رواه شيخنا ابن قولويه بإسناده عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام في حديثه الطويل وفيه: فقالت أمي زينب عليهما السلام: حدثني أم أيمن أن رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام، فعملت له حريرة صلى الله عليهما، وأتاه علي عليه السلام بطريق فيه تمر ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لين وزبد، فأكل رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام من تلك الحريرة، وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله ﷺ يده وعلى

عليه يصب عليه الماء. فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام نظراً عرفاً في السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً ثم وجه وجهه نحو القبلة ويسط يديه ودعا، ثم خر ساجداً وهو ينشج، فأطال النشوج وعلا نحبه، وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر!!، فحزنت فاطمة وعلى الحسن والحسين عليهم السلام، وحزنت معهم لما رأينا من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك، قال له علي وقالت له فاطمة: ما يكثيك يا رسول الله لا أبكي الله عينيك، فقد أفرج قلوبنا ما نرى من حمالك؟ فقال: يا أخي سرت بكم سروراً ما سررت مثله قط، وإنني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته على فِيكم، إذ هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنك وبسطيك، فأكمل لك النعمة، وهنالك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم ملك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم يحبون كما تحب، ويُعطون كما تعطى، حتى ترضى وفوق الرضا، على بلوى كثيرة تناولهم في الدنيا؛ ومكاره تصيبهم بأيدي أناس يتخلون ملكك ويزعمون أنهم من أمتك، براء من الله ومنك خطباً خططاً، وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم، ولكل منهم، فأحمد الله عزوجل على خيرته وأرض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم. ثم قال جبرئيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعده، مغلوب على أمتك، متّعوب من أعدائك، ثم مقتول بعده يقتله أشر الخلق والخليقة، وأشقي البرية، نظير عاقر الناقة بيلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم. وإن سبطك هذا وأوّل ما يده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار من أمتك، بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفني حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض وأعظمها حرمة، وإنها لمن بطحاء الجنة، فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كثائب أهل الكفر واللعنة، ترزعـت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال وكثـر اضطرابها واصطفـت البحار بأمواجها، وما جـت السماوات بأهلها، غضـباً لـك يا محمد ولـذريـتك واستـعظامـاً لـما يـنتهـك من حـرمـتكـ، ولـشـرـ ما تـكـافـيـ بهـ فيـ ذـريـتكـ وـعـترـتكـ، ولا يـبـقـيـ شـيـعـ منـ ذـلـكـ إـلاـ استـأـذـنـ اللهـ عـزـوجـلـ فيـ نـصـرـةـ أـهـلـكـ الـمـسـتـضـعـفـينـ الـمـظـلـومـينـ الـذـيـنـ هـمـ حـجـةـ اللهـ عـلـىـ خـلـقـهـ بـعـدـكـ، فـيـوـحـيـ اللهـ إـلـىـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـالـجـبـالـ وـالـبـحـارـ وـمـنـ فـيـهـنـ: إـنـيـ أـنـاـ اللـهـ الـمـلـكـ الـقـادـرـ الـذـيـ لـاـ يـفـوتـهـ هـارـبـ، وـلـاـ يـعـجزـهـ مـمـتـعـنـ، وـأـنـاـ أـقـدـرـ فـيـهـ عـلـىـ الـاـنـتـصـارـ وـالـاـنـتـقـامـ، وـعـزـتـيـ وـجـلـالـيـ لـأـعـذـبـنـ مـنـ وـتـرـ رـسـوـلـيـ وـصـفـيـ، وـأـنـتـهـكـ حـرـمـتـهـ وـقـتـلـ عـرـتـهـ، وـنـبـذـ عـهـدـهـ وـظـلـمـ أـهـلـهـ عـذـابـاـ لـأـعـذـبـهـ أـحـدـاـ مـنـ الـعـالـمـينـ. فـعـنـدـ ذـلـكـ يـضـحـ

كل شئ في السموات والارضين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك، فإذا بربت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولي الله عزوجل قض أرواحها بيده، ويهبط إلى الارض ملائكة من السماء السابعة، ... ثم قال: ويقيمون رسما لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علما لاهل الحق، وسيبا للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواره... إلى أن قال: ثم قال رسول الله ﷺ: فهذا أبكاني وأحزنني....

الثاني: حزن الرسول ﷺ بعد الشهادة:

١- جاء في إحدى الزيارات يخاطب الحسين عليه السلام: لقد أصبح رسول الله ﷺ من أجلك موتورا... ثم يقول: وقام ناعيك عند قبر جدك الرسول ﷺ فعاك إليه بالدموع الهطول، قائلاً: يا رسول الله قتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسيبي بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وبنيك، فنزع الرسول ﷺ الرداء، وعزّاه بك الملائكة والأنباء...

وفي رواية أخرى:.... فانزعج الرسول ﷺ وبكي قلبه المهوول...

٢- قدمنا في خبر أم سلمة أنها رأت رسول الله ﷺ في منامها وهو شعث مذعور، فسألته عن ذلك فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته عليهما فدنته، وال الساعة فرغت من دفهم.

وفي خير آخر أنها رأته شاحباً كثيماً، فقد روى شيخنا المفيد في أماليه بإسناده عن غيث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: أصبحت يوماً أم سلمة رحمها الله تبكي، فقيل لها: مم بكاؤك؟ فقالت: لقد قتل ابني الحسين عليهما السلام الليلة، وذلك إنني ما رأيت رسول الله ﷺ منذ قبض إلا الليلة، فرأيته شاحباً كثيماً، قالت: فقلت: مالي أراك يا رسول الله شاحباً كثيماً؟ قال: ما زلت الليلة أحفر قبوراً للحسين وأصحابه عليهم السلام. وفي خبر ثالث أنها رأته مغرباً صلوات الله عليه وآله.

٣- وعن ابن عباس أنه رأى رسول الله ﷺ في نحو هذا المشهد الكئيب، وسيأتي نقل الخبر.

٤- وفي الخبر المعتبر عن معاوية بن وهب عن الصادق عليهما السلام قال في حديث:... ما أصيب ولد فاطمة عليهما السلام ولا يصابون بمثل الحسين عليهما السلام، ولقد قُتل في سبعة عشر من أهل بيته نصحوا الله وصبروا في جنب الله فجزاهم الله أحسن جزاء الصابرين، إنه إذا كان يوم القيمة أقبل رسول الله ﷺ ومعه الحسين عليهما السلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول يا رب سل أمتى فيم قتلوا ابني.

٢- حزن علي بن أبي طالب عليهما السلام:

وكان علي عليهما السلام كرسول الله عليهما السلام وفاطمة عليهما السلام قد علم أن الله تعالى شأنه قفت حكمته أن ولده ونور عينه، وفلذة كبده، وخلاصة عمره، ونور قلبه، سُيُقتل في أرض الطف غريباً مكروباً، فكان كثيراً ما يذكره ويبكيه، وربما اجتمع مع رسول الله عليهما السلام يبكيانه معاً، وإليك شطراً مما وصلنا من هذه الأخبار:

١- في الخبر المعتبر عن الصادق عليهما السلام قال: لما أن هبط جبرئيل عليهما السلام على رسول الله عليهما السلام بقتل الحسين عليهما السلام أخذ يد علي عليهما السلام فخللا به ملياً من النهار فغلبتهما العبرة، فلم يفترقا حتى هبط عليهما جبرئيل - أو قال: رسول رب العالمين - فقال لهم: ربكمما يقرؤكم السلام ويقول: قد عزمت عليكمالما صبرتما، قال: فصبرا.

٢- ما عن الأصيع بن نباتة قال: أتينا مع علي عليهما السلام بكربلاء فنزل فيه وبكي، وقال: هنا مناخ ركابهم، وهذا موضع رحالهم، وهذا مهراق دمائهم، فتة من آل محمد عليهما السلام يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

٣- عن الشعبي قال: مرّ علي عليهما السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفين فبكى حتى بل الأرض من دموعه، فقال عليهما السلام: دخلت على رسول الله عليهما السلام وهو يبكي، فقلت: يا رسول الله عليهما السلام بأبي وأمي، ما يبكيك؟، قال عليهما السلام: كان عندي جبرئيل عليهما السلام آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين عليهما السلام يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يُقال لها: كربلاء، ثم قبض جبرئيل قبضة من ترابه وشَمَّمني إياه، فلم أملأ عيني أن فاضتا...

٤- وفي الخبر عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليهما السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل نينوى وهي بشط الفرات، قال بأعلى صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟، قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال: لو عرفته كمعرفي لم تكن تجوزه حتى تبكي بكائني، قال: فبكى كثيراً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره و بكينا معاً. وهو يقول: آه آه، مالي ولآبي سفيان، صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم... ثم بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً...

٥- وفي كتاب سليم بن قيس عن عبد الله بن عباس، قال: دخلت على علي عليهما السلام بذري قار فأخرج إلى صحفة، وقال لي: يا ابن عباس هذه صحفة أملأها على رسول الله عليهما السلام وخطي بيدي، فقلت: يا أمير المؤمنين، أقرأها على فقرأها، فإذا فيها كل شيء كان منذ قبض رسول

الله ﷺ إلى مقتل الحسين عليهما السلام وكيف يُقتل ومن يقتله ومن ينصره ومن يستشهد معه. فبكي بكاء شديدا وأبكاني. فكان فيما قرأه علي: كيف يُصنع به عليهما السلام، وكيف تستشهد فاطمة عليهما السلام وكيف يستشهد الحسن ابنه عليهما السلام، وكيف تغدر به الأمة. فلما أن قرأ كيف يقتل الحسين عليهما السلام ومن يقتله أكثر البكاء... الحديث.

٦- وفي خبر آخر عن تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي الحنفي روى أن علي عليهما السلام عندما وصل إلى كربلاء وقف وبكي وقال: بأبي أغيلمة يُقتلون هنا، هذا مناخ ركبهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجل، ثم ازداد بكاؤه.

٧- وفي بعض أول أيام صفين عندما أخذ جيش معاوية شريعة النهر ومنع الماء عن أهل العراق فقام فوارس العراق وفيهم الحسين عليهما السلام حتى أخذوا الشريعة وطردوا أهل الشام فلما وصل الخبر إلى علي عليهما السلام بكى فقيل له: ما يكثيك يا أمير المؤمنين، وهذا أول فتح ببركة الحسين عليهما السلام؟، فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلاء حتى ينفر فرسه ويحمل ويقول: الظلمة الظلمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها.

٨- وورد في بعض الزيارات يخاطب الحسين ممثلاً حال مقتله يقول:... واختلفت جنود الملائكة المقربين تعزّي أباك أمير المؤمنين عليهما السلام وأقيمت عليك المآتم في أعلى عاليين.

٩- وروى شيخنا المفيد عن جويرية بن مسهر العبدى قال: لما توجهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين طفوف كربلاء وقف عليه السلام ناحية من العسكرية، ثم نظر يميناً وشمالاً واستعبر ثم قال: «هذا - والله - مناخ ركبهم وموضع منيthem» فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع؟ قال: «هذا كربلاء، يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب» ثم سار. فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه بالطف ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصدق الخبر فيما أبأهم به.

٣- حزن فاطمة عليهما السلام قبل ولادة الحسين:

لقد حزنت فاطمة عليهما السلام على مقتل ولدتها الحسين عليهما السلام حتى قبل ولادته كما ورد في الأخبار المعتبرة، والأخبار في هذا المجال كثيرة، وقد تقدم بعضها، ومن الأخبار المؤثرة الكريمة ما روي بالإسناد عن جابر بن عبد الله الانصاري في حديث زفاف فاطمة عليهما السلام إلى علي عليهما السلام قال: فما كان إلا أن دخل رسول الله ﷺ وبيه مصباح، فوضعه في ناحية المنزل، ثم قال: يا

علي، خذ في ذلك القعب ماء من تلك المشكوة. قال: ففعلت، ثم أتيته به، فتفل فيه تفلاط، ثم ناولني القعب فقال: اشرب، فشربت، ثم رددته إلى رسول الله ﷺ، فناوله فاطمة عليها السلام. ثم قال لها: أشربي حبيتي، فجرعت منه ثلاث جرعات، ثم رددته على أبيها، وأخذ ما بقي من الماء فرضحه على صدرها وصدرها. ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيذْهَبَ عَنْكُمُ الْرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطْهُرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ثم رفع يده فقال: يا رب إنك لم تبعث نبأ إلا وقد جعلت له عترة، اللهم فاجعل العترة الهادية من علي وفاطمة عليها السلام، ثم خرج، قال علي: فبت بليلة لم يبت أحد من العرب بمثلها، فلما أن كان في آخر السحر أحسست بررسول الله ﷺ معنا فذهبت لأنهض، فقال لي: مكانك يا علي أتيتك في فراشك رحمك الله. فأدخل النبي ﷺ رجله معنا في الدثار، ثم أخذ مدرعة كانت تحت رأس فاطمة، فاستيقظت فاطمة، فبكى وبكت، وبكيت لبكائهما فقال لي: ما يبكيك يا علي، فقلت: فداك أبي وامي، بكيت وبكت فاطمة، فبكيت لبكائهما، قال: نعم أتاني جبريل عليه السلام، فبشرني بفرحين كريمين يكونان لك، ثم عزيت بأحدهما وعرفت أنه يقتل غريباً عطشاناً، فبكت فاطمة حتى علا بكاؤها. ثم قالت: يا أبتي لم يقتلوه وأنت جده، وعلى أبوه، وأنا أمه؟! قال: يا بنتي، طلب الملك!!، أما إنه ليعلن عليهم سيف لا يغدو إلا على يدي المهدى من ولدك. يا علي، من أحبك وأحب ذريتك فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبه الله، ومن أبغضك وأبغض ذريتك لقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضبه الله وأدخله النار.

٤- حزن فاطمة عليها السلام بعد استشهاد الحسين عليه السلام

وحزنت فاطمة عليها السلام بعد مقتله عليه السلام وهي في السماء عند ربهما، حزنت عليه أشد حزن حزنه أهل السماء، ووردت في ذلك أخبار كثيرة نذكر منها:

١- ورد في بعض الزيارات يخاطب الحسين عليه السلام:.... وفجعت بك أملك فاطمة الزهراء عليها السلام و اختفت جنود الملائكة المقربين... .

٢- روی أن سکینة بنت الحسين عليه السلام رأت في منامها وهي بدمشق كأن خمسة نجّب من نور قد أقبلت وعلى كل نجيب شيخ والملائكة محدقة بهم ومعهم وصيف يمشي، قالت سکینة: فأقبل إلى الوصيف وقرب مني، وقال: يا سکینة إن جدك يسلم عليك، فقلت: وعلى رسول الله السلام يا رسول، من أنت؟ قال: وصيف من وصائف الجنة، فقلت: من هؤلاء المشيخة الذين جاؤوا على النجّب، قال: الأول آدم صفوه الله، والثاني إبراهيم خليل الله، والثالث موسى كليم الله والرابع عيسى روح الله، فقلت من هذا القابض على لحيته يسقط

ويقوم أخرى^(١)، فقال: جُدُّك رسول الله ﷺ، فقلت: وأين هم قاصدون؟ قال: إلى أبيك الحسين عليهما السلام فأقبلتُ أسعى في طلبه لأعْرِفه ما صنع بنا الظالمون بعده.

في بينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسة هوادج من نور في كل هودج امرأة، فقلت: من هذه النسوة المقبلات؟ قال: الأولى حواء أم البشر، والثانية آسية بنت مزاحم، والثالثة مريم ابنة عمران، والرابعة خديجة بنت خويلد، فقلت: من الخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرة وتقوم أخرى، (ووصفتها في حديث آخر بأنها كانت عظيمة الخلقة ناشرة شعرها عليها ثياب سود)، فقال: جدُّك فاطمة بنت محمد ﷺ أم أبيك، فقلت: والله لا أخبرنها ما صنع بنا، فلحقتها ووقفت بين يديها أبكي وأقول: يا أمَّاه جحدوا والله حقنا، يا أمَّاه بدَّدوا والله شملنا، يا أمَّاه استباحوا والله حرمينا، يا أمَّاه قتلوا والله الحسين أبانا، فقالت: كفِي صوتك يا سكينة فقد أحرقت كبدي وقطعَت نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسين عليهما السلام معِي لا يفارقني حتى ألقى الله به.

٣- روى أبو بصير قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليهما السلام أحدَّه فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضممه وقبّله، وقال: حَفَّرَ الله من حَقْرِكم، وانتقم مِنْ وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلکم، وكان الله لكم ولِيَا وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى عليهما السلام، وقال: يا أبو بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين عليهما السلام أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم، يا أبو بصير إن فاطمة عليهما السلام تشكّه وتشفق فترفرج جهنم زفة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعداً لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض، فيكبّحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة عليهما السلام، وإن البخار تقاد أن تتفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنبته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا ومن فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرّعون إليه ويتصرّع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقلّعت الجبال وزُلزلت الأرض بأهلها، قال أبو بصير: جعلت فداك، إن هذا الأمر عظيم، قال عليهما السلام: غيره أعظم منه ما لم تسمعه، قال: يا أبو بصير أما تَحَبُ أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليهما السلام؟، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام عليهما السلام إلى المصلى يدعوا

(١) أقول: هذا منزلة الحزين المهموم يقوم ويسقط من شدة الدهشة والحزن، وكذلك كانت فاطمة عليهما السلام كما سيأتي.

وخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت ب الطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلأً حتى أتيته عليه فلما رأيته قد سكن سكت.

أقول: معنى يسعد في قوله (فيمن يسعد فاطمة) من الإسعاد بمعنى المساعدة على النياحة يعني يعين فاطمة (عليها السلام) على النوح على فجيئتها بالحسين ، فإن المرأة كانت وما زالت إذا أصابتها المصيبة الفاجعة بفقد عزيزها ناحت ورنت فتساعدها النساء على ذلك ، فكان الصادق عليه السلام يقول لأبي بصير : أن فاطمة صلوات الله تعالى عليها ما زالت مفجورة ترن على فجيئتها وتلوح وتحتاج إلى من يسعدها على النوح ، فإلى الله المستكفي .

٤- وفي خبر آخر عن فاطمة (عليها السلام): وإنها لتشهد شهقة فلا يبقى في السماوات ملك إلا بكى رحمة لصوتها وما تسكن حتى يأتيها النبي (صلوات الله عليه) فيقول: يا بنتي قد أبكيت أهل السماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكفي حتى يقدسوا فإن الله بالغ أمره، وإنها لتنظر إلى من حضر منكم - أي إلى قبر الحسين (عليه السلام) - فتسأله لهم من كل خير...

٥- وفي خبر آخر عن الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلوات الله عليه) قال: إذا كان يوم القيمة نصب لفاطمة (عليها السلام) قبة من نور، ويقبل الحسين (عليه السلام) ورأسه في يده، فإذا رأته شهدت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بكى لها...

وهذه الحادثة المهمولة يرويها بتفصيل مذهل خبر آخر عن الصادق (عليه السلام) يقول: إذا كان يوم القيمة ينصب الله سرادقاً من نور بين يدي رسول الله (صلوات الله عليه) والخلائق حاضرون، ثم ينادي مناد: عشر الناس، غصوا أبصاركم فإن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى (صلوات الله عليه) ت يريد أن تجوز السرادق، فيغضبون أبصارهم، فإذا هي مقبلة، فإذا وضعت رجلها في السرادق نوديت يا فاطمة، فلتفتت، فترى ولدها الحسين (عليه السلام) واقفاً بجانبها من غير رأس، فتصرخ صرخة لا يبقى لها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جشى على ركبتيه، وخرّ مغشياً عليها، ثم إنها تفتق من غشيتها فتجد الحسين (عليه السلام) يمسح وجهها بيديه ورأسه قد عاد إليه...

٦- وفي خبر آخر عن رسول الله (صلوات الله عليه) قال: إذا كانت يوم القيمة جاءت فاطمة (عليها السلام) في لمة من نسائها، فيقال لها: ادخللي الجنة، فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي، فيقال لها: انظري في قلب القيمة، فتنظر إلى الحسين صلوات الله عليه قائماً ليس عليه رأس، فتصرخ صرخة، فأصرخ لصراخها، وتصرخ الملائكة لصراخنا، فيغضب الله عز وجل لنا عند ذلك فيأمر ناراً يقال لها: هبب، قد أُوقد عليها ألف عام حتى اسودت لا يدخلها روح

أبداً ولا يخرج منها غم أبداً، فيقال لها: التقطي قتلة الحسين عليهما السلام، فلتقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوها بها، وشهقت وشهقها بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بالسنة ذلقة طلقة: يا ربنا لم أوجب لنا النار قبل عبادة الأوثان، فأيّا لهم الجواب عن الله عزّ وجلّ: إن من علم ليس كمن لم يعلم.

وقد جاءت أخبار أخرى تصف فاطمة عليها السلام يوم القيمة وهي تحمل ثياباً مصبوغة بالدماء فتعلق عليها بقائمة من قوائم العرش تقول: يا عدل أحكم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم الله تعالى لفاطمة عليها السلام.

ومن روى هذا الخبر الإمام العالمي الموفق الخوارزمي الحنفي، روى في كتابه مقتل الحسين عليهما السلام بإسناده عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى الرضا، عن آبائه عليهما السلام، قال: قال رسول الله عليهما السلام: تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيمة، ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش، فتقول: يا عدل، يا جار أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله عليهما السلام، فيحكم الله لا بنتي ورب الكعبة^(١).

وفي خبر آخر يبين أن الحسين عليهما السلام يكون بلا رأس ورأسه في يده وأوداجه تشخب دماً وهو يقول يا رب خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني.

ويروى عن الرسول عليهما السلام أنه قال: إذا كان يوم القيمة تُقبل فاطمة عليها السلام على ناقة من نياق الجنة ويدها قميص الحسين عليهما السلام ملطخ بدمه، فتصرخ وتزج نفسها عن الناقة وتخر ساجدة لله عز وجل وتقول: إلهي وسidi ومولاي إحـكم بيني وبين من قتل ولدي الحسين عليهما السلام، فأيّا لها النداء من قبل الله عز وجل: يا حبيبي وابنة حبيبي إرفعي رأسك فوزعـتي وجلالـي لأنـفـمنـ اليوم منـ ظـلـمـكـ وـظـلـمـ ولـدـكـ، ثمـ يـأـمـرـ بـجـمـعـ منـ حـضـرـ قـتـلـ الحـسـينـ وـمـنـ شـارـكـ فيـ قـتـلهـ إلىـ النـارـ.

وروي عن آل البيت عن النبي صلوات الله عليهم انه قال: إذا كان يوم القيمة تأتي فاطمة الزهراء عليها السلام على ناقة من نياق الجنة خطامها من لؤلؤ رطب، وقوائمها من زمرد أخضر، وذنبيها من مسلك أذفر، وعينيها من ياقوت أحمر، وعليها قبة من النور يرى باطنها من ظاهرها، وداخلها عفو الله خارجها عليها رحمة الله، وعلى رأسها تاج من النور، وله سبعون ركناً، كل ركن مرصع بالدر والياقوت يضيء كما تضيء الكواكب في أفق السماء، وعن يمينها سبعون

(١) مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٩٠ ح ٣.

ألف ملك، وعن يسارها مثلهم، وجرئيل آخر بخطام الناقة وهو ينادي بأعلى صوته غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة عليها السلام، فيغضون أبصارهم حتى تجاوز عرش ربها وتجز نفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسidi ومولاي أحکم بيني وبين من ظلمني وقتل ولدي، فإذا النداء من قبل الله تعالى: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطي، واسفعي تشفعي، فوعزتي وجلالتي لا يجاوزني ظالم ظالم، فتقول: إلهي وسidi ومولاي ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي، فإذا النداء من قبل الله تعالى: أين ذرية فاطمة وشيعتها وشيعة ذريتها ومحبوا ذريتها؟، فيقولون وقد احاطت بهم ملائكة الرحمن: ها نحن يا ربنا، فتقودهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة وهي آخذة بقميص الحسين عليه السلام وهو ملطخ بالدم، وقد تعلقت بقوائم العرش، وهي تقول: يا رب أحکم بيني وبين قاتل ولدي الحسين فيؤخذ بها ويقال لها: ويل لمن شفعاؤه خصماً.

٥- حزن الحسن بن علي عليه السلام:

ولا ريب أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام حاله في الدنيا والآخرة في الحزن والبكاء على أخيه الحسين عليه السلام هو حال جده رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وحال أبيه المرتضى عليه السلام وحال أمه الزهراء عليها السلام، إلا أن الأخبار الواردة في بيان حاله صلوات الله عليه شحيحة، ونبترك بذلك الخبر المعتبر الذي رواه الصدوق في أماليه بسنده عن الصادق عليه السلام قال:

إن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوما إلى أخيه الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله، قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إلى سُمْ يُدْسُ إلى فُؤَتَّلَ به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ويتخلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسي ذاريتك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندما تحل بيدي أمية اللعنة وتطر السماء رماداً ودماءً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحش في الفلوتوں والحيتان في البحار.

وفي خبر آخر عن علي عليه السلام قال: بينما أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله (صلوات الله عليهم أجمعين) إذ التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله، فقال: أبكي مما يصنع بكم بعدي، فقلت: وماذاك يا رسول الله، قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة عليها السلام خدها، وطعنـة الحسن عليه السلام في الفخذ والسم الذي يسكنـى، وقتل الحسين عليه السلام قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله، ما خلقـنا ربـنا إلا للبلاء، قال صلوات الله عليه وآله وسلامه: أبشر يا علي، فإن الله قد عهد إلى أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

٦- حزن زينب بنت علي عليها السلام:

زينب وما أدراك ما زينب، لعمري لقد ابتليت بما لا تحتمله العجائب فاحتملته صابرة محسنة، صلوات الله عليها.

زينب العقيلة الموصونة العزيزة الشريفة العفيفة ربيبة البيت المقدس، أبوها علي وأمها الزهراء وأخوها الحسن والحسين وجدّها رسول الله ﷺ، وهذا هو النسب الأعلى الذي لا تطمح إلى مثله الآمال مهما علت.

زينب هذه حزنت وبكت وندبت وشققت جيدها ولطم وجهها وضربت رأسها ونادت بالويل والثبور نداء لا يتصوره مسلم إلا اغورقت عيناه بالدموع وجَلَّ قلبها الخضوع، فإنما الله وإنما إليه راجعون.

وستذكر بعض مواقف الحزن التي تعرضت لها زينب عليها السلام.

١- في عصر اليوم التاسع من المحرم نادى عمر بن سعد لعنه الله بجيشه: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشرني !!

زحفوا نحو معسكر الحسين عليه السلام وهو جالس أمام خيمته محتب بسيفه إذ خفق برأسه على ركبته، لما سمعت زينب عليها السلام الصجة دنت من أخيها، فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟!، فرفع الحسين عليه السلام رأسه وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا، فلطم زينب وجهها ونادت بالويل، فقال الحسين عليه السلام: ليس لك الويل يا أخيَّة، اسكنِي رحمك الله.

٢- روى الشيخ المفيد عن زين العابدين عليه السلام قال: إني لجالس في تلك العشية التي قُتل أبي في صبيحتها وعندى عمتي زينب عليها السلام تمرّضني إذ اعتزل أبي عليه السلام في خباء وعندَه جوين مولى أبي ذر الغفارى وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

كم لك بالإشراق والأصيل

يا دهر أَفِ لك من خليل

والدُّهْر لا يقنع بالبديل

من صاحب أو طالب قتيل

وكل حي سالك سبيلي

إنما الأمر إلى الجليل

فأعادها مرَّتين أو ثلاثةً حتى فهمتُ وعرفتُ ما أراد، فخنقتي العبرةُ فرديتها ولزمنَ السكوتِ، وعلمتُ أنَّ البلاء قد نزل، وأما عمتي زينب عليها السلام فلما سمعتُ ما سمعتُ وهي امرأةٌ - ومن شأن النساء الرقة والجزع - فلم تملك نفسها أنَّ وثبتَ تجرُّ ثوبها وإنها لحاسرةٌ حتى انتهت إلى فقلتُ: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة عليها السلام وأبي علي عليها السلام وأخي الحسن عليه السلام، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أخيَّة لا يذهبنَ بحلنك الشيطانُ، وترقرق عيناه بالدموع، وقال: لو ترك القطا لنام، فقالت: يا ولتاه، أفتغتصبَ نفسك اغتصاباً!! فذاك أقرب لقلبي وأشدَّ على نفسي، ثم لطمَ وجهها وهوت إلى جيئها فشقَّتهُ وخرَّت مغشياً عليها....

٣- عند استشهاد علي الأكبر بن الحسين عليه السلام في أرض كربلاء خرجت زينب عليها السلام إلى خروج الوالهة، يصف حميد هذا المشهد بقوله: كأنني أنظر إلى امرأة خرجت مسرعةً كأنها الشمس الطالعة، تنادي: بالوليل والثبور، وتقول: يا حبيباً، يا بن أخيه، يا ثمرة فؤاده، يا نور عيناه. فسألت عنها، فقالوا: هذه زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، ثم جاءت حتى انكبَت عليه.

٤- وعندما خرَّ الإمام الحسين عليه السلام من سرج فرسه إلى الأرض أقبل فرسه نحو المخيم يصهل ويحمله، فخرجت زينب عليها السلام من فسطاطها واضعة عشرة أصابعها على رأسها.

وهي تناادي: وآخاه واسيد أهل بيته.

ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكَّدت على السهل... ثم نادت الجيش الملعون فقالت: ويلكم أما فيكم مسلم.

٥- وعندما استشهد الحسين عليه السلام وسبَّيت نساء محمد صلوات الله عليه ومرأتُ زينب بجسد أخيها عليها السلام صرخت بصوت حزين وقلب كثيف: يا محمداً صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسينك بالعراء، مرمل بالدماء، مقطوع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المستكفي....

وقد تقدم بيان هذا النداء ببطوله حتى أبكت كلَّ عدو وصديق.

٦- وعندما كانت السبايا في الكوفة وكانت أم كلثوم تلقى كلمتها في أهل الكوفة أحضرت قافلة الرؤوس فنظرت زينب عليها السلام ناحية الرؤوس المروفة على الرماح فلاح لها رأس أخيها الحسين عليه السلام فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى خرج الدم غزيراً من تحت قناعها، وأومأت إلى رأس أخيها عليها السلام بخربة بيدها وأنشدت أبياتاً موجعة قدمنا سردها.

٧- وعندما أدخلت السبايا إلى مجلس يزيد نظرت زينب عليها السلام فرأت رأس أخيها موضوعاً، فلم تمالك أن رفعت يدها ثم أهوت إلى جيبيها فشققته ثم نادت بصوت حزين: يا حسيناه..... فأبكت كل من كان في المجلس.

٧- تشريد زينب عليها السلام إلى مصر:

واستمرت زينب عليها السلام هذا حالها بكاء ونحيب ولطم وندب ونشيد، في كربلاء، في الكوفة، أثناء الطريق، في الشام، في طريق العودة، في مدينة جدها حينما عادت وأنشدت قصيدة لها لجدها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، واستمرت كذلك في المدينة حتى أصبح وجودها ثقلاً على السلطان الأموي، فيروى أن والي المدينة كتب إلى يزيد لعنه الله: إن وجود زينب بين أهل المدينة مهيج للخواطر، وإنها فصيحة عاقلة ليبة، وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين عليه السلام.

عندما وصل هذا الكتاب إلى يزيد أمر بإخراجها عليها السلام من المدينة فتقىم حيث شاء، فخرجت عليها السلام إلى مصر، ويروى أنها وصلت مصر أول شعبان سنة ٦١ هجرية أي بعد عاشوراء بأكثر من سبعة أشهر، والله العالم.

ويروى أنها بقيت في مصر وتوفيت هناك في رجب سنة ٦٢ هجرية، ولها هناك قبر مشهور يزوره ويترک به أهالي تلك البلاد.

أقول: هذا الخبر عثرت عليه في بعض كتب المعاصرين، ولم أروه عن كتب علمائنا الأقدمين رضوان الله تعالى عليهم ولا في كتب المؤرخين القدماء.

٨- حزن الإمام زين العابدين عليه السلام:

أما إمامنا السجاد علي بن الحسين عليه السلام فقد كان عظيم البكاء طويلاً العبرة، وما زال يبكي حتى عدوه في البكائيين الخمسة^(١) في الدنيا منذ أيام آدم عليه السلام.

١: كان عليه السلام إذا ذكر الحسين عليه السلام بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه من يراه رحمة له، ويروى أنه عليه السلام كان يبكي حتى يغمى عليه في اليوم مرة أو مرتين.

٢: وفي الخبر أن علي بن الحسين عليه السلام بعد عودته من كربلاء كره مخالطة الناس وملابستهم فاتَّخذ منزله في البدية بيتاً من شعر أقام في هذا البيت المنعزل سنين عدَّة، وكان يصير من

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: البكاؤون الخمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه وعلي بن الحسين عليه السلام.

البادية إلى العراق زائراً لأبيه الحسين عليهما ولجده على عثثة لا يرافقه أحد من ذي روح إلا ولده محمد الباقر عليهما والناظتان، فيذهبان ويرجعان ولا يشعر بهما أحد صلوات الله عليهمما، وكان إذا زار أباء بكى حتى تخصل لحيته بالدموع.

٣: واستمر علي بن الحسين عليهما يبكي على أبيه الحسين بن علي عليهما طوال عمره ما يقرب من أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعمه وشرابه فيضنه بين يديه ويقول: كل يا مولاي، فيقول عليهما: قُتل ابن رسول الله عليهما عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه وشرابه من دموعه.

٤: لم يزل هذه سيرته حتى لحق بالله عز وجل، وقال له أحد مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله عليهما إني أخاف عليك أن تكون من الهاكين، فقال عليهما: إنما أشكوبثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرعبني فاطمة عليهما إلا خنقتي العبرة.

٥: ويروي أحد مواليه أنه برز يوماً إلى الصحراء (وفي خبر آخر إلى سقيفة له) فوجده ساجداً على حجارة خشناء قال: تعنته فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصبت عليه ألف مرة: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبدأ ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقأ، ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضى ولبكائك أن يقل، فقال لي: ويبحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما كان نبياً ابن نبي كان لهاثنا عشر ايناً فغيّب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحد ودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيٌ في دار الدنيا، وأنا فقدت أباً وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضى حزني ويفل بكائي، ثم بكى بكاء شديداً وجعل يقول:

ان الزمان الذي قد كان يضحكنا	خلت لفقدهم أيامنا فغدت
بقربهم صار بالتفريق يبكينا	فهل ترى الدار بعد البع آنسة
سوداً وكانت بهم بيسنا ليالينا	يا ظاعنين بقلبي أينما ظعنوا
أم هل يعود كما قد كان نادينا	ترفقوا بفؤادي في هواد جكم
وبالفؤاد مع الأحساء داعينا	
نقدته يوم راحت من أراضينا	

فوالذي حجت الركبان كعبته

لقد جرى حبكم مجرى دمي فدمي

٦: وكان اذا أخذ إماء ليشرب الماء بكى حتى يملأ الإناء دمعاً، فقيل له في ذلك، فقال: وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحش.

٧: وقيل له: إنك لتبكى دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: نفسي قتلتها وعليها أبكي.

٨: وفي الخبر المقبول عن زين العابدين عليهما السلام أنه نظر إلى عبيد الله بن العباس بن علي عليهما السلام فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله عليهما السلام من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال عليهما السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليهما السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كلٌّ يتقرّب إلى الله عز وجل بدمه وهو بالله يذكرهم فلا يتغطّون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً، ثم قال عليهما السلام: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يبغضه بها جميع الشهداء يوم القيمة.

٩: وكان علي بن الحسين (عليهما السلام) يميل الى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل الى بني عمك هؤلا دون آل جعفر، فقال: اني اذكر يومهم مع ابي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) فأرق لهم.

٩- حزن الإمام الباقر عليهما السلام:

ولا ريب أن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام كان عظيم الحزن والبكاء على جده أبي عبد الله الحسين عليهما السلام، وما له لا يكون كذلك وقد تكحلت عيناه بمشاهد واقعة الطف إذ كان فيها صغيراً له من العمر ثلاث سنوات كما ذكرت بعض الأخبار، وما له لا يكون كذلك وهو يرى سيرة أبيه زين العابدين عليهما السلام الذي ما انفك عن البكاء يوماً، إلا أن الأخبار التي عثرت عليها في هذا المجال قليلة منها:

١- ما روی ان الكميـت شاعر أهل البيت عليهما السلام قدـم إلى المدينة وأنـشـدـ البـاقـرـ عليهـماـ السـلامـ مـيمـيـتهـ فـلـمـاـ بـلـغـ قـوـلـهـ:

بين غوغاء أمّة وطغام

وقتيل بالطف غودر منهم

بكى الإمام علي عليهما السلام ثم قال: يا كمي، لو كان عندنا مال لأعطيتك، ولكن لك ما قال الرسول ﷺ لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذيتك عن أهل البيت.

٢- وروى أبو القاسم الخازن القمي بإسناده عن الورد بن الكمي، عن أبيه الكمي بن أبي المستهل قال: دخلت على سيدى أبي جعفر محمد بن علي الباقي عليهما السلام، فقلت: يا ابن رسول الله انى قد قلت فيكم أبياتاً أفتاذن لي في انشادها. فقال: انها أيام البيض. قلت: فهو فيكم خاصة. قال: هات، فأنشأت أقول:

والدهر ذو صرف وألوان

أضحكني الدهر وأبكاني

صاروا جميعاً رهن أكفان

لتسعه بالطف قد غودروا

فبكى عليه السلام وبكى أبو عبد الله وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء، فلما بلغت الى قولي:

بنو عقيل خير فتیان

وستة لا يجارى بهم

ذكرهم هيج أحزاني

ثم علي الخير مولاكم

فبكى علي عليهما السلام ثم قال: ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنه فخرج من عينيه ماء ولو قدر مثل جناح البعوضة إلا بني الله له بيتاً في الجنة وجعل ذلك حجاباً بينه وبين النار.

فلما بلغت الى قولي:

أو شامتا يوماً من الآن

من كان مسؤولاً بما مسّكم

أدفع ضيماً حين يغشاني

فقد ذلتكم بعد عزّ فما

أخذ بيدي وقال: اللهم اغفر للكمي ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلما بلغت الى قولي:

يقوم مهديّكم الثاني

متى يقوم الحق فيكم متى

قال علي عليهما السلام: سريعاً إن شاء الله سريعاً، ثم قال: يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين، لأن الآئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر وهو القائم.. الحديث.

٣- وحدث صاعد مولى الكميت قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فانشده الكميت قصيده التي أولها: من لقلب متيم مستهams. فقال: اللهم اغفر للكميـت، اللهم اغفر للكميـت، قال: ودخل يوماً عليه فاعطاه ألف دينار وكسوة فقال له الـكمـيت: والله ما جئـتكم للـدـنـيـا ولو أردـتـ الدـنـيـا لأـتـيـتـ منـ هـيـ فيـ يـدـهـ ولـكـنـيـ جـتـكـمـ لـلـآخـرـةـ، فأـمـاـ الثـيـابـ الـتـيـ أـصـابـتـ أـجـسـامـكـ فـأـنـاـ أـقـبـلـهـ لـبـرـكـاتـهـ وأـمـاـ الـمـالـ فـلـاـ أـقـبـلـهـ وـرـدـهـ وـقـبـلـ الثـيـابـ.

٤- حزن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

ولا غرو أن يكون الإمام الصادق على سنة آباء الماضين الصادقين الطاهرين لا يذكر جـدـهـ الحـسـيـنـ عـلـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ إـلـاـ وـاسـتـعـبرـ، وـهـوـ النـاقـلـ عـنـ جـدـهـ أـنـهـ قـالـ عـلـيـهـ: أـنـاـ قـتـيلـ الـعـبـرـةـ لـاـ يـذـكـرـنـيـ مـؤـمـنـ إـلـاـ بـكـيـ...ـ

هـكـذـاـ كـانـ الصـادـقـ عـلـيـهـ إـذـ ذـكـرـ جـدـهـ الحـسـيـنـ عـلـيـهـ بـكـيـ وـقـدـ رـوـيـ عـنـهـ فـيـ ذـلـكـ أـخـبـارـ عـدـيـدـةـ مـنـهـاـ:

١- الخبر المعتر عن ابن خارجة قال: كـناـ عـنـدـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ فـذـكـرـنـاـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـيـهـ فـبـكـيـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ وـبـكـيـنـاـ.

٢- وروى محمد بن علي الشجري وابن قولويه بالإسناد المعتر عن محمد بن الحسين بن كثير الخراز (عن أبيه)، عن هارون بن خارجة قال: كـنـتـ عـنـدـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ فـذـكـرـ الـحـسـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـبـكـيـ وـبـكـيـتـ، فـقـالـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ قـالـ الـحـسـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ: أـنـاـ قـتـيلـ الـعـبـرـةـ، فـلـاـ يـذـكـرـنـيـ مـؤـمـنـ إـلـاـ بـكـيـ، قـالـ: فـقـلـتـ لـهـ: مـاـ لـمـنـ أـتـيـ قـبـرـهـ عـارـفـ بـحـقـهـ لـاـ يـرـيدـ بـذـلـكـ إـلـاـ وـجـهـ اللهـ وـالـدارـ الـآخـرـةـ؟ـ فـنـكـتـ فـيـ الـأـرـضـ ثـلـاثـاـ ثـمـ رـفـعـ رـأـسـهـ فـقـالـ: يـغـفـرـ اللهـ لـهـ مـاـ تـقـدـمـ مـنـ ذـنـبـهـ وـمـاـ تـأـخـرـ، ثـمـ قـالـ لـهـ: أـتـعـلـمـ يـاـ هـارـونـ بـنـ خـارـجـةـ أـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـكـلـ بـقـرـ الـحـسـيـنـ سـبـعـيـنـ أـلـفـ مـلـكـ شـعـثـاـ غـبـرـاـ يـبـكـونـهـ إـلـىـ أـنـ تـقـومـ السـاعـةـ وـيـشـهـدـونـ لـمـنـ زـارـهـ بـالـموـافـاةـ عـنـدـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ.

٣- قال أبو عمارة المنشد: ما ذـكـرـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـيـهـ عـنـدـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ فـيـ يـوـمـ قـطـ فـرـئـيـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ عـلـيـهـ مـبـتـسـمـاـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ إـلـىـ الـلـيلـ.

٤- دخل أبو عمارة المنشد على أبي عبد الله عـلـيـهـ فـقـالـ لـهـ: يـاـ أـبـاـ عـمـارـةـ أـنـشـدـنـيـ فـيـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ قـالـ: فـأـنـشـدـتـهـ فـبـكـيـ، ثـمـ أـنـشـدـتـهـ فـبـكـيـ، قـالـ: فـوـالـلـهـ مـاـ زـلـتـ أـنـشـدـهـ وـبـكـيـ حـتـىـ سـمـعـتـ الـبـكـاءـ مـنـ الدـارـ، قـالـ: ثـمـ قـالـ لـيـ: يـاـ أـبـاـ عـمـارـةـ، أـنـشـدـنـيـ فـيـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـيـهـ عـلـيـهـ،

قال: فأنسدته فبكى، ثم أنسدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنسده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار، قال: فقال لي: يا أبا عمارة، من أنسد في الحسين بن علي عليه السلام فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنسد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنسد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنسد في الحسين عليه السلام فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنسد في الحسين عليه السلام فأبكى فله الجنة، ومن أنسد في الحسين عليه السلام فتباكى فله الجنة.

٥- ودخل عليه جعفر بن عثمان الطائي فقرّبه وأدناه، ثم قال: يا جعفر، قال: يا ليك، جعلني الله فداك، قال: بلغني أنت تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد، فقال له: نعم، جعلني الله فداك، قال: قل، فأنسدته، فبكى وبكي من حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال عليه السلام: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقربون هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكتنا وأكثر... الحديث.

٦- وعن عبد الله بن غالب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأنسدته مرثية الحسين بن علي عليه السلام، فلما انتهيت إلى هذا الموضوع:

للليلة تسقو حسيناً
بمسافة الثرى غير التراب

صاحت باكية من وراء الستر: يا أباها.

٧- وعن أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أنسدتي، فأنسدته، فقال عليه السلام: لا، كما تشدون وكما ترثيه عند قبره، فأنسدته:

أمرر على جدت الحسين
فقل لأعظمه الزكية

قال: فلما بكى عليه السلام أمسكت أنا، فقال عليه السلام: مر، فمررت، قال: ثم قال عليه السلام: زدني، فأنسدته:

يا مريم قومي وانديبي مولاك
وعلى الحسين فاسعدي بيراك.

قال: فبكى وتهايجه النساء...

٨- ويروي الثقة الجليل عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيدي أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا بن رسول الله عليه السلام، مَ بِكاؤك لا أبكى الله عينيك؟، فقال عليه السلام: أوفي غفلة أنت، أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم.... إلى أن قال: في مثل هذا

الوقت (أي بعد العصر بساعة) تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله ﷺ وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثة صریعاً يعز على رسول الله ﷺ مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذ لكان ﷺ هو المعزّى بهم، قال: وبكي أبو عبد الله علیه السلام حتى اخضلت لحيته بالدموع... الحديث.

٩- ويروي أبو بصير قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق علیه السلام فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضممه وقبّله، وقال: حقر الله من حقركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلכם، وكان الله لكم وليناً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء السماء، وبكاء الأنبياء، وبكاء الصدّقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى وقال: يا أبو بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين علیه السلام أتاني ما لا أملكه بما أوتي إلى أبيهم وإليهم...

١٠- ودخل عليه السيد الحميري فأقعد علیه حرمة خلف الستر واستنشده، فأنسد:

فقل لأعظمه الزكية	أمرر على جدت الحسين
وطفاء ساكبة روية	أعظماً لا زلت من
فأطلّ به وقف المطية	وإذا مررت بقبره
والمطهرة النقية	وابك المطهر للمطهر
يوماً لواحدها المنية	بكاء معولة أنت

قال الراوي: فرأيت دموع جعفر بن محمد علیه السلام تحدّر على خديه، وارتفع الصراخ من داره....

١١- وكان الإمام الصادق علیه السلام إذا شرب الماء ذكر الحسين علیه السلام وبكي، ففي الخبر المروي عن داود الرقبي قال: كنت عند أبي عبد الله علیه السلام إذ استنسى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر وأغزو رقت عيناه بالدموع، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين علیه السلام، فما أنفصن ذكر الحسين علیه السلام للعيش، إني ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين علیه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين علیه السلام ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة الف حسنة، وحط عنه مائة ألف سبيحة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيمة ثلج الفؤاد وأبلج الوجه.

١٢- وروى شيخنا الكليني بإسناده عن سفيان بن مصعب العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله عليهما السلام، فقال: قولوا لأم فروة تجيئ فتسمع ما صنعت بجدها، قال: فجاءت فقدت خلف الستر ثم قال: أنسدنا، قال: فقلت:

فرو! جودي بدمعك المسكوب

قال: فصاحت وصحن النساء، فقال أبو عبد الله عليهما السلام: الباب الباب فاجتمع أهل المدينة على الباب قال: فبعث إليهم أبو عبد الله عليهما السلام: صبي لنا غشي عليه فصحن النساء.

١٣- ويروى عن محمد بن سهل صاحب الكميّت قال: دخلت مع الكميّت على أبي عبد الله جعفر بن محمد في أيام التشریق، فقال له: جعلت فداك ألا أنسدك! قال: إنها أيام عظام. قال: إنها فيكم. قال: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب ما أنسد، فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم

فرفع أبو عبد الله يديه فقال: اللهم اغفر للكميّت ما قدّم وما أخر، وما أسر وما أعلن، وأعطاه حتى يرضي.

١٤- وروي بإسناد معتبر عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: سأله في طريق المدينة ونحن نريد مكة، فقلت: يا بن رسول الله مالي أراك كثيرا حزينا منكسر، فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسالتي، قلت: فما الذي تسمع، قال: ابتهال الملائكة إلى الله عز وجل على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليهما السلام، ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتھنا مع هذا بطعم أو بشراب أو نوم.

١١- حزن الإمام موسى الكاظم عليهما السلام:

يعلم الجميع أن الإمام الكاظم عليهما السلام كان غرضاً للبلاء يمسى ويصبح فيه، فقد قضى شطراً عظيماً من حياته المقدسة في سجون الطواغيت ينقلونه من سجن إلى سجن.

لم تمنعه مصيّبته أن يكون مصاباً بجده الحسين عليهما السلام حتى قال الرضا عليهما السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك يوم مصيّبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليهما السلام.

١٢- حزن الإمام الرضا عليه السلام:

١- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هو القائل:... إن يوم الحسين عليهما أُفْرَجْ جفوننا، وأُسْبِلْ دموعنا، وأذْلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأُورثَنَا الكرب وبالباء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين عليهما فليبكِ الباكون....

٢- وأنشده الشاعر إبراهيم بن عباس قصيده التي يقول فيها:

أزال عزاء القلب بعد التجلد
صارع أولاد النبي محمد

فبكى الإمام عليهما وبكى من في مجلسه.

٣- ودخل عليه دعل الخزاعي فأنسدَه قصيده التائية العظيمة وفيها:

مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزلٌ وحٍي مقفرُ العرصات
سأبكيهم ما ذرَّ في الأرض شارقُ	ونادي منادُ الخير للصلوات
أرى فيهم في غيرهم متقيسماً	وأيديهم من فيهم صفرات

فبكى الرضا عليهما، وبكت معه السيدة والأطفال، وهذه القصيدة من محاسن قصائد الرثاء.

٤- جاء في الخبر المعتبر عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليهما في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا بن شبيب أصائم أنت، فقلت: لا، فقال عليهما: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه ذكريها عليهما ربها عز وجل فقال: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ دُرْيَةً طَيْبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾**، فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريها وهو قائم يصلي في المحراب **﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِسَعْيِكَ﴾** فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريها عليهما، ثم قال عليهما: يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، مما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها عليهما، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبو ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا ابن شبيب، إن كنت باكيًا لشيء فابكي للحسين بن علي عليهما فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شيء، ولقد بكت السماءات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد

قتل فهم عند قبره شُعْثُ غُبْرٌ إلى أن يقوم القائم عليه السلام، فيكونون من أنصاره وشعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أنه لما قُتل الحسين جدي صلوات الله عليه مطرت السماء دمًا وتراباً أحمر.

يا ابن شبيب، إن بكثت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنته صغيراً كان أم كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآلـه صلوات الله عليهم فالعن قتلة الحسين عليه السلام.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا ابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجرأ لحشره الله معه يوم القيمة.

٥- روى أبو بكار، قال: أخذت من التربة التي عند رأس الحسين بن علي عليه السلام، فإنها طينة حمراء، فدخلت على الرضا عليه السلام فعرضتها عليه، فأخذها في كفه ثم شمها ثم بكى حتى جرت دموعه، ثم قال: هذه تربة جدي.

١٢- حزن الإمام الجواد عليه السلام:

وفي الخبر عن عبد العظيم الحسني أنه قال للجواد عليه السلام: فقد تحيرت بين زيارة قبر أبي عبد الله وبين زيارة قبر أبيك بطوس، فما ترى؟ فقال لي: مكانك، ثم دخل وخرج ودموعه تسيل على خديه، فقال: زوار أبي عبد الله عليه السلام كثيرون وزوار قبر أبي بطوس قليلون.

١٤- حزن بقية الأئمة عليهم السلام:

ما زال أئمة الهدى عليهم السلام شعارهم الحزن والبكاء على فاجعة سيد الشهداء عليه السلام، وهذا أمر نعلمـه من أوامرـهم ومواعـظـهم وإرشـاداتـهم وإن لم اعـثرـ على مواضعـ بعينـها نقلـتـ عنـهمـ أنـهمـ تـفـجـعواـ وبـكـواـ علىـ الحـسـينـ عليـهـ السـلامـ، ولاـ رـيبـ أنـ شـعـرـ الأخـبارـ عـنـهـمـ فيـ هـذـاـ المـجـالـ إنـماـ كانـ

بسبب الحصار المضروب عليهم، وعظيم التقية في أيامهم، وقلة اتصال الشيعة بهم.

١٥- حزن الإمام القائم عليهما السلام

وأما إمامنا القائم عليهما السلام فقد خرج من ناحيته زيارته المشهورة العظيمة التفجع والتي يقول فيها بعد تكرار السلام كثيراً...:

السلام عليك سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولائك، المتقرب إلى الله بمحبتك،
البريء من أعدائك.

سلام من قلبه بمحابيك مفروض، ودموعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع الحزين، الواله المستكين، سلام من لو كان معك بالطقوف لوقاك بنفسه حد السيف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغي عليك، وفداك بروحه وجسده وما له ولده وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء.

فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولم نصب لك العداوة مناصباً، فلأنهدينك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفأً على ما دهاك، وتلهفأً حتى أموت بلوعة المصاص وغضبة الاكتئاب.

أقول: هل يمكن لأحد أن يأتي بعبارات تدل على الجزع والتفجع أوضح وألين وأشد من هذه العبارات المفجعة والمذهلة، ومن ذا الذي يمكنه مهما عظم حزنه ومصيبيه أن يبكي بدل الدموع دماً إلا رجل استثنائي أصيب بمصاب استثنائي، حشرنا الله مع البگائن على الحسين عليهما السلام ومع أنصار الحسين عليهما السلام تحت لواء الحسين عليهما السلام، آمين رب العالمين.

الباب الرابع

حزن الهاشميين

١- وصول خبر الفاجعة إلى المدينة:

روي عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام جاء غراب فوق في دمه ثم ترعرع ثم طار فوق بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين عليهما السلام - وهي الصغرى - فرفعت برأسها فنظرت إليه فبكت بكاء شديداً، وأنشأت تقول:

نعم الغراب، فقلت: من تنعاه ويلك يا غراب

قال: الإمام، فقلت: من؟ قال: الموفق للصواب

إن الحسين بكر بلا بين الأسنة والحراب

فابكي الحسين بعبرة ترجي الإله مع الثواب

قلت: الحسين؟ فقال لي: حقاً لقد سكن التراب

ثم استقل به الجناح فلم يطق ردّ الجواب

فبكiet مما حلّ بي بعد الدعاء المستجاب

فقال محمد بن علي عليهما السلام (هو المعروف بابن الحنفية): فنعته لأهل المدينة، فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطلب، فما كان بأسرع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليهما السلام.

٢- وأم سلمة زوج النبي ﷺ:

روى أحمد بن حنبل في المسند كما روى غيره عن ابن عباس قال:

يُنَمَا أَنَا رَاقِدٌ فِي مَنْزِلِي إِذْ سَمِعْتُ صَرَاخًا عَظِيمًا عَالِيًّا مِنْ بَيْتِ أَمِ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ وَهِيَ

تقول: يا بنت عبد المطلب اسعدتني وابكين معى، فقد قُتل سيدُكن، وسيد شباب اهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله ﷺ وريحانته الحسين علیه السلام.

فأقبل عليها أهل المدينة الرجال والنساء وفيهم ابن عباس وهو أعمى البصر يقوده قائده إلى منزلها، فقال لأم سلمة: ومن أين علمت ذلك؟، قالت: رأيت رسول الله ﷺ الساعة في المنام شعثاً مذعوراً، فسألته عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين علیه السلام وأهل بيته فدنته، والساعة فرغت من دفهم.

قالت أم سلمة: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا يترية الحسين علیه السلام التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دما فقد قتل ابنك، وكان النبي ﷺ قد أعطانيها وقال لي: اجعلي هذه التربة في قارورة ولتكن عندك، فإذا صارت دما عبيطا فقد قتل الحسين علیه السلام، فرأيت القارورة الآن وقد صارت دما عبيطا تفور. قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مائماً ومنحة على الحسين علیه السلام.

وفي خبر آخر أن أم سلمة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ منذ مضى إلا الليلة فرأيته علیه السلام شاحباً كثيناً، فقلت له: ما لي أراك يا رسول الله ﷺ شاحباً كثيناً، قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين علیه السلام وأصحابه عليه وعليهم السلام.

وفي خبر ثالث أن أم سلمة رأت النبي ﷺ في منامها وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، قالت: ما لك يا رسول الله ﷺ مغبراً، فقال ﷺ: وثبت الناس على ابني فقتلوه، وشهدت قتل الحسين علیه آنفاً وقد شهدته قتيلاً الساعة.

أقول: وكان رسول الله ﷺ في أيام حياته قد جاءه جبرئيل علیه السلام وأخبره أن الأمة تقتل ابنه الحسين علیه السلام، وأعطاه من تربة مقتل الحسين علیه السلام، فأعطي رسول الله ﷺ هذه التربة إلى زوجته أم سلمة وقال لها: اجعليها في زجاجة فلتكن عندك فإذا صارت دماً فقد قتل الحسين علیه السلام.

قالت أم سلمة: بعد أن رأيت المنام، فاقشعر جلدي فوثبت إلى قارورة التربة فرأيت القارورة الآن قد صارت دماً عبيطاً يفور، فأخذت ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مائماً ومنحة على الحسين علیه السلام.

وفي الخبر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن هذه التربة ما زالت عندهم.

ويروى أن أم سلمة لما علمت بمقتل الحسين عليه السلام قالت: ملأ الله بيوت القاتلين وقبورهم ناراً ثم بكت حتى غشي عليها.

ثم إن أم سلمة قامت فضربت قبة في مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فجلست فيها ولبست سواداً حزناً على الحسين عليه السلام، وشرع الناس يعودونها يعزونها بالحسين عليه السلام، ولم يمض عليها كثير وقت على ذلك حتى ماتت.

٣ - عبد الله بن عباس:

وفي الخبر الذي رواه العامة بالأسانيد القوية عن ابن عباس أنه في الليلة القابلة بعد أن رأت أم سلمة منامها رأى ابن عباس أيضاً في منامه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو أشعث أغبر وفي يده قارورة دم، فسألته عن شأنه، فقال له: ألم تعلم أنني فرغت من دفن الحسين عليه السلام وأصحابه، وسألته عن قارورة الدم، فقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: دم الحسين عليه السلام لم أزل التقطه منذ اليوم.

٤ - بشير السلطان:

وأما عبيد الله بن زياد لعن الله تعالى فإنه كان قد أعلن الأفراح في الكوفة وبذل للناس ما يفرحون به، وعن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين عليه السلام هي مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد سماك، ومسجد شبيث بن ربعي.

وكان ابن زياد قد أرسل عبد الملك ابن أبي الحارث السلمي وأمره أن ينطلق إلى المدينة وأميرها عمرو بن سعيد بن العاص وأن يبشره بقتل الحسين عليه السلام، وقال له: إنطلق حتى تأتي المدينة ولا يسبقك الخبر، وأعطيه دنانير، وقال: لا تقتل وإن قامت بك راحتك فاشتر راحلة، فطار عبد الملك براحته نحو المدينة فلما وصلها لقيه رجل من قريش فقال له: ما الخبر، فقال له: الخبر عند الأمير تسمعه، فلما وصل إلى الأمير عمرو بن سعيد ودخل عليه، قال الأمير: ما وراءك؟ فقال: ما سرَّ الأمير، قتل الحسين بن علي عليه السلام، فقال الأمير: أخرج فناد بقتله، فخرج ينادي في مدينة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يبشر المسلمين بقتل الحسين عليه السلام!!!.

عند هذا النداء ارتفعت الصيحة في أرجاء المدينة، وكانت الوعية العظمى هي واعيةبني هاشم في دورهم حتى قال عبد الملك هذا: والله لم أسمع واعية قط مثل واعية بنى هاشم في

دورهم على الحسين بن علي عليهما السلام حين سمعوا النداء بقتله.

ثم بعد أن فرغ المنادي رجع إلى الأمير فلما رأه تبَسَّم إليه ضاحكا ثم قال:

عَجَّتْ نِسَاءُ بْنِي زِيَادٍ عَجَّةً
كَعْجِيجٍ نِسْوَتَا غَدَةَ الْأَرْنَبِ

ثم قال: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان، ثم التفت إلى قبر رسول الله عليهما السلام وقال: يوم بدر يا رسول الله عليهما السلام، فأنكر عليه قوم من الأنصار، ثم صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين عليهما السلام ودعا ليزيد.

فقام عبد الله بن السائب فقال: لو كانت فاطمة عليها السلام حية فرأرت رأس الحسين عليهما السلام لبكى عليه، فجبهه عمرو بن سعيد وقال: نحن أحق بفاطمة عليها السلام منك، أبوها عمنا، وزوجها أخونا، وابنها ابنتنا، لو كانت فاطمة عليها السلام حية لبكت عينها وحرّت كبدتها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه.

أقول: لعنة الله من فاجر كاذب، وقد كان هذا المنطق المرذول هو منطق الأمويين ينشرونه بين الناس، وقد ساد دهرًا طويلاً في أمّة محمد عليهما السلام، يدعون - وهم كاذبون فاجرون - أن الحسين عليهما السلام باغى على الولاية، فقتل بسيف الحق، فمحمد عليهما السلام وفاطمة عليها السلام - وإن أحزنهم قتله - لا يلومون من قتله.

٥- حزن بنى هاشم:

كان بنو هاشم قد شعروا بالفاجعة من حين خروج الحسين عليهما السلام بعياله من المدينة حتى كأنهم أيقنوا بمقتله واستشهاده عليهما السلام، ولذلك لما هم الحسين عليهما السلام بالشخصوص من المدينة أقبلت نساء عبد المطلب للنجاة حتى مشي فيهن الحسين عليهما السلام فقال: أنسدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله عليهما السلام، فقالت له نساء بنى عبد المطلب: فلمن نستبقي النجاة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله عليهما السلام وعلى وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم، فتنشدك الله - جعلنا الله فداك من الموت - يا حبيب الأبرار من أهل القبور، وأقبلت عليه بعض عمّاته تبكي وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعت الجنّ ناحت بتوحّك وهو يقولون:

إِنْ قُتِيلَ الطَّفَ مِنْ آلِ هَشَمٍ فَذُلِّتْ
أَذْلَّ رَقَابًا مِنْ قَرِيشٍ فَذُلِّلتْ
أَبَانَتْ مَصِيبَتِكَ الْأَنْوَفَ وَجَلَّتْ
حَبِيبَ رَسُولِ اللهِ مَلِكَ فَاحِشَا

ولهذا فإنبني هاشم كانوا (ومن حين خروج الحسين عليه من المدينة) على وجل يتظرون وصول الخبر بمقتله، واستمر الحزن والبكاء والعويل ملازمًا لنساء آل البيت وبني هاشم سواء منها من بقي في مدينة الرسول عليه ألم من لحقت بهن بسيدهن الحسين بن علي عليه.

أما نساء القافلة فلطالما لطمن الخدوش وشققن الجيوب في الطريق إلى كربلاء متوقعن الشهادة، وقد ذكر المؤرخون حوادث، نذكر منها:

١- عندما كان الحسين عليه يردد: يا دهر أَفَ لِكَ مِنْ خَلِيلٍ... وسمعته زينب عليه ونادت بندائها المحزن الذي قدمناه فاجتمعت النسوة وب يكن ولطمن الخدوش، وشققن الجيوب ونادت أم كلثوم بنت علي عليه: وامحمداء، واعلياء، وأماماه، واحسناء، واحسيناء، واخيتنا بعدك يا أبا عبد الله...

٢- وفي ليلة العاشر دخل الحسين عليه خيمة أخيه زينب عليه فقالت له: هل استعلمتك من أصحابك ثباتهم، فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة، فقال عليه: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعد، يستأنسون بالمنية دوني استثناس الطفل إلى محالب أمه، وكان نافع بن هلال الجمي واقفاً على باب الخيمة فسمع الكلام فبكى وجاء إلى حبيب بن مظاهر فأخبره، فاجتمع أصحاب الحسين عليه وجاوزوا بأجمعهم إلى الخيمة حيث اجتمعت نساء آل محمد عليه، وصاح حبيب بما يليق به وب أصحابه فخرجت النساء بالبكاء والعويل فضجّ القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.

٣- أما يوم عاشوراء فلم ترقأ دمعهن روحياً فداهن، وكيف ترقأ الدمعة وهن يرون نور قلوبهن وأفلاذ أكبادهن وأقمارهن وشمومهن تفرى أوداجهم عطاشي، فلو كنت حاضراً لظلّ أئن ونشيح آل محمد عليه منك بسمع، لقد صحن صباحاً عندما تواجه الجيشان، وصحن عند كل دم أريق، وحتى عندما بقي الحسين وحيداً، ولكن أعظم صياغهن كان عندما رجع فرس الحسين عليه دون فارس، ولقد وصف هذا المشهد بقوله المهول في زيارة الناحية: فلما رأين النسوة جوادك مخزيأً، وأبصرن سراجك ملوياً، برزن من الخدور للشعور ناشرات، وعلى الخدوش لاطمات، للوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذلات، وإلى مصر عك مبادرات...

٤- وانظر إليهن حين اجتمعن على الأجساد يودعن حماتهن وولاتهن ونور أبصارهن وحشاشة قلوبهن، لو نظرت لرأيت أم كلثوم عندما وضعت يدها على أم رأسها ونادت:

وامحمداء، واجداده، ونبياه، وأبا القاسماء، وأعلیاه، واجعفراه، واحمزاته، وحسناته، هذا حسين بالعراء، صريع بكرباء، مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء... ثم غشي عليها، لو نظرت لرأي سكينة قد اعتنقت جسد أبيها فلم تفارقه حتى اجتمع الأعراب وجروها عنه.

٥- أما نساء هاشم اللواتي بقين في المدينة فما لبث أن جاءهن هذا الخبر المفجع عندما نعى الناعي حسيناً فارتعدت الوعاية في دور بني هاشم واعية لا تشبهها أي واعية.

٦- ولقد خرجت بنات عقيل - عند نعي الناعي وقيل عند عودة السبايا إلى المدينة - وكانت الخارجات أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب ومعها أخواتها أم هانئ وأسماء ورملة وزينب، وكَنْ ي يكن، وكانت أم لقمان حاسرة!! وقيل كانت زينب الصغرى بنت عقيل أخت مسلم بن عقيل ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تتلقى قافلة السبايا وتقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقددي	منهم أسارى ومنهم ضرّعوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ويروى أن القائلة لهذه الأبيات هي أم لقمان بنت عقيل قالتها حين نعى الناعي حسيناً عليهما السلام.

وروى الشيخ الطبراني من العامة أن أبو الأسود الدؤلي لما سمع هذه الأبيات، قال: نقول ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ثم أنسد:

أقول وزادني جزاً وغيظاً	أزال الله ملكبني زياد
وأبعدهم كما غدرروا وخانوا	كمابعدت ثمود وقوم عاد
ولا رجعت ركبهم إليهم	إذا قفت إلى يوم التقاد

٧- وفي خبر آخر أن بنت عقيل بن أبي طالب خرجت في جماعة من نساء قومها حتى انتهت إلى قبر الرسول ﷺ فلاذت به وشهقت عنده ثم التفت إلى المهاجرين والأنصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	يوم الحساب وصدق القول مسموع
------------------------------	-----------------------------

والحق عند ولی الأمر مجموع
منكم لهاليوم عند الله مشفوع
تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

فكثير البكاء حتى قيل: ما رأينا باكيًا ولا باكية أكثر مما رأينا ذلك اليوم.

-٨- وتقدمت فاطمة بنت عقيل ترثوهم، فقالت:

واندبي إن ندب آل الرسول
قد أصيروا وخمسة لعقيل

عين إبك بعيرة وعويل
ستة كلهم لصلب علي

-٩- ويروى أن وال المدينة عمرو بن سعيد الأموي عندما سمع بكاء نساء هاشم وصاحت بهن
ضحك، وقال:

كعجيج نسوتنا غدة الأرنب

عجبت نساءبني زياد عجَّة

ثم قال: واعية كوا عليه عثمان.

-١٠- لم تخضر امرأة من بنى هاشم ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت طوال سنوات
حتى جاءهم رأس الرجل عبيد الله بن زياد، وما زالوا بعد ذلك في عبرة.

-١١- لبس نساء بنى هاشم السواد والمسوح حدادا يقيمون المآتم، وكن لا يتوقفن عن
ذلك لحر ولا برد وكان علي بن الحسين عليهما السلام يعمل لهن الطعام للمآتم.

-١٢- وعن الصادق عليهما السلام أنه قال: ما اكتحلت هاشمية ولا اختضرت ولا رئي في دار هاشمي
دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد.

أقول: عدم الدخان في الدار كنابة عن عدم الطبيخ خمس سنين.

-١٣- وعن الإمام الصادق عليهما السلام أنه قال: نوح على الحسين بن علي عليهما السلام سنة في كل يوم
وليلة، وثلاث سنين من اليوم الذي أصيب فيه، وكان المسور بن مخرمة وجماعة من أصحاب
الرسول عليهما السلام يأتون مسترين مقنعين فيستمعون ويكونون.

خذلتموا عترتي أو كنت غياباً
أسلتموهن بأيدي الظالمين فما
ما كان عند غداة الطف إذ حضروا
فكثير البكاء حتى قيل: ما رأينا باكيًا ولا باكية أكثر مما رأينا ذلك اليوم.

أقول: الذي أفهمه من هذا الخبر أن آل البيت عليهم السلام استمروا بإقامة الزيارة على الحسين سنة كاملة في المدينة وكانت تقام الزيارة في الليل والنهار، ثم استمرت الزيارة ثلاث سنين وان كانت بأقل وتيرة بعد السنة الأولى، وفي خلال هذه السنوات كان جماعة من الصحابة والمحبين لآل البيت يحضرون هذه الزيارة مسترين خوفاً من السلطان الأموي واتباعهم وأشياعهم لعنهم الله تعالى أجمعين.

١٤- أقامت زوجة الحسين عليها السلام الرباب بنت امرئ القيس الكلبية على الحسين عليه السلام مأتاً وبكت وبكين النساء والخدم حت جفت دموعهن، وسياتي أحوال الرباب.

١٥- وفي خبر خالد بن سدير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ولقد شفقتُ الجيوب ولطمِنَّ الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تلطمُ الخدود وتشقُّ الجيوب.

٦- أم البنين:

أم البنين الأربعية هي أم العباس وجعفر وعثمان وعبد الله أولاد علي ابن أبي طالب عليهم السلام وهؤلاء الأخوة الأربعية استشهدوا جميعهم مع أخيهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وروى المامقاني في تنقيح المقال أن بشرا الذي نعى الحسين عليه السلام في المدينة عندما علم أنها أم البنين نعى إليها أولادها ولدا وكان كلما نعى إليها أحداً من أولادها الأربعية قالت (ما معناه) : أخبرني عن الحسين. فلما نعى إليها الحسين، قالت: قد قطعت أنياب قلبي أولادي كلهم فداء لابي عبد الله الحسين عليه السلام ومن تحت الخضراء... الحديث.

وهذا الخبر لم أجده في الكتب القديمة.

وكان لاستشهاد العباس وأخواته مع استشهاد الحسين عليه السلام وقع كبير على قلب أم البنين التي أصبح دارها دار عزاء ومصيبة، وكانت تحمل عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام ثم تخرج إلى البقيع كل يوم ترثي العباس وأخواته وتندبهم أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع أهل المدينة للإستماع إلى رثائهما فيكون لشجي الندبة، وكان في جملة من يأتون للإستماع إليها مروان بن الحكم الذي هو العدو اللدود لآل محمد عليهم السلام فكان يأتي ويستمع ندبها فيبكي، وأخبار أم البنين رواها العامة بأسانيد قوية عن الصادق والباقي عليهم السلام.

وقد اشتهر من مراثيها وندبها، قولها تدب العباس وهي تحمل طفله عبيد الله:

على جماهير النقد

يا من رأى العباس كر

كل ليث ذي لبد
رأسه مقطوع يد
ل برأسه ضرب العمد
يك لما دنا منك أحد
ووراه من أبناء حيدر
انبئت أن ابني اصيب
ويل على شibli أما
لو كان سيفك في يد
وقولها تندب بنها الأربعة:
لا تدعوني ويك ام البنين
تدكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بهم
واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى
قد واصلوا الموت بقطع الوتين
فكلهم أنسى صريعا طعين
بات عباسا قطيع اليمين
يات ليت شعرى اكما أخبروا

٧- موقف عبد الله بن جعفر:

عندما وصل الخبر إلى المدينة باستشهاد الحسين عليهما السلام وأهل بيته، ومن بين الشهداء ولدا عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب وهو زوج مولاتنا زيتب عليهما السلام، دخل بعض موالي عبد الله بن جعفر فنعي إليه ابنيه، فاسترجع، أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال أبو السلاسل مولى عبد الله: هذا ما لقينا من الحسين بن علي عليهما السلام، فحذفه عبد الله بن جعفر بنעה ثم قال: يا بن اللخاء للحسين عليهما السلام تقول هذا!!!! والله لو شهدته لأحييته أن لا أفارقها حتى أقتل معه، والله إنه لم مما يسخّي بمنفسي عنهمما ويعزّي عن المصاب بهما أنهما أصيّباً مع أخي وابن عمّي موسى له صابر بن معه، ثم أقبل على جلساته، فقال: الحمد لله عزّ علىّ مصرع الحسين عليهما السلام، إن لا أكن آسيت حسيناً يدي فقد آساه ولدائي.

٨- محمد ابن الحنفية:

اما محمد بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وهو ابن امرأة من بني حنيفة وهو أخ الحسين عليهما السلام فقد كان يتوضأ عندما بلغه الخبر فبكى حتى سمعوا وكف دموعه في الطست، وبروى أنه بكى حتى ملأ الطست من دموعه. واستمر أيامه يبكي حتى عميّت عيناه.

وروى العامة عن رجل قال: سمعت ابن عباس وعنه محمد بن الحنفية وقد جاءهم نعي حسين بن علي وعزاهم الناس، فقال ابن صفوان: إنا لله وإنا إليه راجعون أي مصيبة، يرحم الله أبا عبد الله، وأجركم الله في مصيتكم، فقال ابن عباس: يا أبا القاسم ما هو إلا أن خرج من مكة فكنت أتوقع ما أصابه، قال ابن الحنفية: وأنا والله فعند الله نحتسبه ونسأله الأجر وحسن الخلف.

وذكرنا عند عرض رجوع السبايا كيف أن ابن الحنفية عليه السلام وصل إليهم وهو صارخ قائل: وأخاه، واحسيناه، فأقاموا في وجهه الصراخ والبكاء والتحبيب فخرّ مغشيا عليه، فلما أفاق قام واحتضن ابن أخيه علي بن الحسين عليه السلام وقبله بين عينيه وقال: يا أخي يعزّ عليَّ قتلك وأنا لست معك وكنت أقربك بروحي.

٩ - فاطمة بنت الحسين عليها السلام

وروى صاعد مولى الكمي قال: ودخلنا مع الكمي على فاطمة بنت الحسين، فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت، وجاءت بقدح فيه سويق فحرّكه بيدها وسقته الكمي فشربه. ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها إني لم أحبكم للدنيا.

١٠ - مأتم الكلبية زوجة الحسين عليها السلام

وروى الكليني بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبية عليه مأتاماً وبكت ويكتن النساء والخدم حتى جفت دموعهن وذهبت، فيينا هي كذلك إذا رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل فدعتها، فقالت لها: ما لك أنت من بيتنا تسيل دموعك؟ قالت: إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويق، قال: فأمرت بالطعام والأوسقة فأكلت وشربت وأطعمت وسقت وقالت: إنما نريد بذلك أن نتقوى على البكاء على الحسين عليها السلام، قال: وأهدي إلى الكلبية جئنا لستعين بها على مأتم الحسين عليها السلام، فلما رأت الجؤون قالت: ما هذه؟ قالوا: هدية أهداها فلان لستعيني على مأتم الحسين عليها السلام، فقالت: لستا في عرس، فما نصنع بها؟ ثم أمرت بهن فاخرجن من الدار فلما اخرجن من الدار لم يحس لها حس كأنما طرن بين السماء والارض ولم ير لهن بها بعد خروجهن من الدار أثر. - أقول: الكلبية امرأة الحسين عليها السلام هي الباب بنت امرئ القيس منبني كلب، وهي أم سكينة عليها السلام، وقد تقدم بيان بعض تفجعها، وقد بقيت الباب بعد الحسين عليها السلام سنة لم يظللها سقف حتى بليت وماتت كمدأ، وقيل إنها أقامت على قبره عليها السلام في كربلاء سنة وعادت إلى المدينة فماتت أسفًا عليه.

١١- عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

روى سليم بن قيس في كتابه أنه لما قُتِلَ الحسين بن علي عليه السلام بكى عبد الله بن عباس بكاء شديداً، ثم قال: ما لقيت هذه الأمة بعد نبيها، اللهم إني أشهدك أنني لعلي بن أبي طالب ولولده ولبي، ومن عدوهم بريء، وإنى أسلم لأمرهم -

وقد روى بعض العامة ومنهم يعقوب الفسوسي بإسناده الصحيح عن شقيق بن سلمة، وذكر حدثاً فيه كتاب عبد الله ابن عباس إلى يزيد بن معاوية وفيه: وقد قتلت حسينا رضي الله عنه وفتیان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام، غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرملين بالدماء مسلوبين بالعراء لا مكفين ولا موسدين، تسفوا عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضياع حتى أتاح الله عز وجل لهم يقوم لم يشر كانوا في دمائهم كفنوهم وأجنوهم، وبهي وبهم والله غررت وجلست مجلسك الذي جلست.

وما أنسى من الأشياء فلست بناس اطراذك حسينا رضي الله عنه من حرم رسول الله إلى حرم الله عز وجل وتسيرك إليه الرجال لقتله في الحرم، فما زلت بذلك وعلى ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق، فخرج خائفاً يتربّق، فنزلت به خيلك عداوة منك الله عز وجل ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً أولئك لا كآبائلك الجلاف الحفاة أكباد الحمير، فطلب إليكم المواعدة وسائلكم الرجعة فاغتنتم قلة أنصاره واستصال أهل بيته فتعاونتم عليه كأنكم قاتلتم أهل بيت من الترك.

فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودي وقد قتلت ولد أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، فإن شاء الله لا يطل لديك دمي ولا تسقني بثأري وإن سبقتي في الدنيا فقبل ذلك ما قُتل النبيون وأبناء النبيين، فيطلب الله عز وجل بدمائهم فكفى بالله عز وجل للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً، فلا يعيجبنك إن ظفرت بنا اليوم فلنظرن بك يوماً ثم قال: ألا وإن من أعجب الأعاجب وما عسي أن أتعجب حملك بذات عبد المطلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسيسي المجلوبين ترى الناس أنك قد قهرتنا وأنك تمن علينا، وبنا من الله عز وجل عليك، ولعمر الله لئن كنت تصبح آمناً من جراحته يدي إني لأرجو أن يعظم الله عز وجل جرحك من لساني، ونقضي وإبرامي، والله ما أنا بآيس من بعد قتلك ولد رسول الله أن يأخذك أخذنا أليماً ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً، فعش لا أباً لك ما استطعت، فقد والله أزددت عند الله أضعافاً، واقترفت مأثماً، والسلام على من اتبع الهدى^(١).

(١) المعرفة والتاريخ ج ١ ص ٢٩١، أخبار الدولة العباسية ص ٨٦، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٢٣، مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٣٥ ح ٩٥

الفصل الرابع

إتقان الممالك



الباب الأول

عقوبة دماء الحسين عليه السلام

١- التحذير:

في الخبر المروي – وقد رواه أهل السنة في صحاحهم – عن ابن عباس أن الله تعالى شأنه أوحى إلى نبيه محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه أني قلت بسمي سبعين ألفاً، وإنني قاتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً.

وفي الخبر أن الحسين عليه السلام قال للجيش الزيدي الملعون يوم عاشوراء:

..... وأيم الله إنني لأرجو أن يكرمني ربى بالشهادة بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، فصاح الحسين بن مالك السكوني وهو الجلف الطابع الفاسي القلب العديم الحياة فقال: يا ابن فاطمة، وبماذا ينتقم لك منا، فقال عليه السلام: يلقي بأسكم بينكم ويسفك دماءكم...

وفي خبر ثالث أن الحسين عليه السلام قال عند خروجه إلى العراق لبعض الذين استفسروه عن سبب هذا الخروج، فقال عليه السلام: إنبني أمية شتموا عرضي فصبرت، وأخذدوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً فاطعاً...

وفي خبر رابع أن الحسين عليه السلام قال: لتقتلني الفتنة الباغية، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسقطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سباً إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم.

وروي أن الحسين بن علي عليه السلام قال: والذي نفس حسين بيده لا يهنا بنى أمية ملوكهم حتى يقتلوني، وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلو جمِيعاً أبداً، ولم يأخذوا عطاءً في سبيل الله أبداً...

وعندما جاء أحد الملائكة الكرام إلى رسول الله ﷺ يخبره بأن أمته ستقتل ابنه الحسين عليهما السلام قال رسول الله ﷺ: وتفلح أمري! تقتل فرخي!، فرخ ابنتي!!، فقال جبريل عليهما السلام: يضر بها الله بالإختلاف فتخلف قلوبهم.

إذن هذا هو النبأ القاتل: بعد قتل الحسين عليهما السلام سيحدث في أمة محمد ﷺ اختلاف عام، اختلاف القلوب، ذل شامل، سيف قاطع، المتسلط عليهم يذلهم كاذل من قوم سباء، سفك دمائهم بأيديهم، وسقوط آلاف القتلى انتقاماً لدماء الحسين عليهما السلام.

نعم، وهذا ما تحقق فلم تمض الأيام على مقتل الحسين عليهما السلام حتى وقع الإختلاف وجرت الدماء أنهاراً ودخلت شارة مقتل الحسين عليهما السلام إلى كل بيت من بيوتات العرب.

٢- إدراك الخطر:

ما أن قتل الحسين عليهما السلام حتى شعر الناس شيعته وعدوه بعظيم الواقعه وخطير الفاجعة، أما شيعته فقد استعظموا أن يخذلوه وأن لا يكونوا نصروه وسيأتي بيان ما قام به شيعة الحسين وأهل بيته صلوات الله عليهم.

وأما عدوه والذين هم من غير شيعته فقد استعظموا ما جنته أيديبني أمية لعنهم الله، وقد ظهر ذلك ونقله لنا المؤرخون في مواضع.

١- روى حميد بن مسلم قال: وخرجت زينب بنت علي عليهما السلام وقرطاها يجولان بين أذنيها وهي تقول ليت السماء انطبقت على الأرض، يا عمر بن سعد أينقتل أبو عبد الله عليهما السلام وأنت تنظر إليه؟، ودموع عمر بن سعد تسيل على خديه ولحيته وهو يصرف وجهه عنها.

٢- روى حميد بن مسلم ما جرى بعد مقتل الحسين عليهما السلام من إحراق الخيام وخروج النساء وكيف أن زينب عليهما السلام كانت تندب الحسين عليهما السلام ثم قال: فأبكت والله كل عدو وصديق.

٣- كان بعض الذين يسلبون بنات رسول الله ﷺ ي يكون وقد قدمنا هذا الحديث عند التعرض لأحوال السبايا.

٤- عندما وصل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين عليهما السلام قال عبيد الله لعمر بن سعد: أئتي بالكتاب الذي كتبه إليك في معنى قتل الحسين عليهما السلام ومناجزه، فقال: ضاع، فقال: لتجيئني به، أتراك متذرراً في عجائز قريش، قال عمر: والله لقد نصحتك في الحسين

لثلاثة نصيحة لو استشاراني بها أبي سعد كنت قد أديت حقه، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنه ليس منبني زياد رجل إلا وفتي أنفه خزامة إلى يوم القيمة وأن حسيناً لم يُقتل، فقال عمر بن سعد: والله ما رجع أحد بشرَّ مما رجعتُ، أطع عبيد الله بن زياد وعصيت الله وقطعت الرحم.

أقول: يظهر لك من هذا الحديث ندم الثلاثة وإدراكهم عظيم قبح ما فعلوا حتى أن عبيد الله حاول استرجاع الكتاب لربما يستطيع التملص من قتل الحسين عليه السلام واتهام عمر بن سعد به، وأما عمر بن سعد فقد احتفظ بالكتاب وأرسله إلى شيخ قريش ليقرؤونه ويعذر لقتله الحسين عليه السلام بأنه كان مأمور.

٥- روى حميد بن مسلم فقال: كان عمر بن سعد صديقاً لي فأتايه بعد منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله، فقال: لا تسألني عن حالي فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعْتُ به، قطعْتُ القرابة القريبة وارتكتبْتُ الأمر العظيم.

٦- قد ذكرنا حديث الشيخ الذي خطاب علي بن الحسين عليه السلام على درج مسجد دمشق خطابه القاسي فلما علم الحقيقة شتم يزيد وتبرأ منه وتولى أهل بيته رسول الله عليه السلام فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل.

٧- قد تقدم ذكر احتجاج نساء يزيد وكيف أنهم ندبوا على الحسين عليه السلام وبكوه وأنه لم يبق من نساء آل معاوية ولا أبي سفيان أحد إلا استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام، وألقين ما عليهن من الشيب والحلبي وأقمن عليه المأتم ثلاثة أيام.

٨- مرّ حديث الشامي الذي طلب من يزيد أن يهبه الجارية وهو مشير إلى فاطمة بنت علي عليهما السلام أو بنت الحسين عليهما السلام وهو يعتقد أنها من سبي الروم أو الترك، فلما علم الحقيقة قال ليزيد: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك عليه السلام وتسببي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم من سبي الروم، فغضب يزيد وقال: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضرب عنقه.

٩- تقدم في حديث زين العابدين عليه السلام أنه عندما خطب في مجلس يزيد ما فرغ من خطابه حتى ضجّ الناس بالبكاء والتحبيب وحتى خشي يزيد لعنه الله أن يكون فتنة.

١٠- وعندما وصل خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى الحسن البصري الفقيه المشهور بكى حتى اختجل صدغاه، ثم قال: واذل أمّة قتلت ابن بنت نبيها عليه السلام، والله ليردّن رأس الحسين عليه السلام إلى جسده، ثم ليتقمّن له جده وأبوه من ابن مرجانة.

١١- وعندما علم الربع بن خيثم بمقتل الحسين عليهما السلام بكى، وقال: لقد قتلوا فتيه لو رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبهم وأطعمهم بيده وأجلسهم على فخذه، ثم وضع فمه على أنفواهم، ثم رفع طرفه إلى السماء. فقال: اللهم عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما يختلفون ثم دخل فأغلق بابه فما خرج بعد ذلك.

١٢- كما احتاج جماعة من الصحابة حتى من المحسوبين على سلطانبني أمية فإنهم لما رأوا رأس الحسين عليهما السلام يُضرب بالقضيب لم يمكنهم استيعاب هذا المنظر القطيع فاحتاجوا، ومن هؤلاء الصحابة زيد بن أرقم وأنس بن مالك وأبو بزرة الإسلامي كما تقدم ذكرهم.

١٣- ولقد احتاج حبر من أخبار اليهود كان في مجلس يزيد فعندما علم بهوية الرأس الشريف، قال: فهذا ابن بنت نيكتم قتلتكم في هذه السرعة، بشسما خلقتكم نيكتم في ذريته، والله لو ترك فيما بن موسى بن عمران سبطا من صلبه لظننا أنها نعبده من دون ربنا، وأنت إنما فارقكم نيكتم بالأمس فوثبت على ابنه قتلتكم، سوأة لكم من أمة، فما كان من يزيد عندما سمع هذا الاحتجاج إلا ان وجئ في حلقة هذا الحبر ثلاثة.

١٤- ولقد احتاج أيضا في مجلس يزيد عظيم من عظماء الروم قال ليزيد نحو كلام الحبر اليهودي وأخبره أن النصارى تزور كنيسة في أقصى الدنيا لأن فيها حافر حمار عيسى عليهما السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت نيكتم عليهما السلام، ثم قال ليزيد: فلا بارك الله تعالى فيكم ولا في دينكم، فأمر يزيد بقتله، فأسلم الرومي وتشهد الشهادتين ووَثَبَ إلى الرأس الشريف فضمّه إلى صدره وجعل يقبّله ويكيي ثم قتلوه رحمة الله.

١٥- بعدما قام عبد الله بن زياد ب فعلته المشؤومة حست بذلك منزلته عند يزيد بن معاوية ولكن لم يلبث إلا قليلاً حتى شعر يزيد بعظيم الجرم الذي ارتكبه فندم على قتل الحسين عليهما السلام وكان يقول: وما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته معني في داري وحكمته فيما ي يريد وإن كان عليّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظاً لرسول الله عليهما السلام ورعاياه لحقه وقرباته، لعن الله ابن مرjanة فإنه أحرجه واضطره وقد كان سأله أن يخلّي سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي أو يلحق بغيره من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل، وأبى ذلك ورده عليه وقتله فبغضني بقتله إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظام الناس من قتلي حسيباً عليهما السلام، مالي ولا بن مرjanة لعنة الله وغضبه عليه.

١٦- ويروى أن مرjanة أم عبد الله بن زياد قد استنكرت عمل ابنها، وقالت له: قتلت ابن بنت رسول الله عليهما السلام، لا ترى الجنة أبداً.

١٧- وبعد أن قتل الحسين عليه السلام من عمر بن سعد بن أبي وقاص لعنه الله تعالى بمجلسبني نهد فسلم عليهم فلم يردوا عليه السلام فأحسن عمر بن سعد بالندم وسوء ما قدمت يداه، فقال لما جاز المجلس:

فنفسى ما أحرت وقومى أذلت
أيت الذى لم يأت قبلى ابن حرة

١٨- ويروى عن الصحابي كعب الأحبار أنهم قالوا له: قتل الحسين بن علي عليه السلام. قال: لا والله ما قتل ولو قتل نهاراً لما أمسيت حتى تروا لذلك علامه ولو قتل ليلاً أصبحتم حتى تروا لذلك علامه. قال: فلما أمسوا أحمر أفق المساء. فقال: ألا إنه قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت السماء عليه كما بكت على يحيى بن زكريا.

١٩- ويروى عن الصحابي خالد بن عرفة أنه بلغه قتل الحسين بن علي عليه السلام وهو في مجلس فقال: هذا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي.

٢٠- ويروى عن عامر بن سعد البجلي قال: لما قتل الحسين بن علي رأيت رسول الله عليه السلام في المنام فقال لي: إن رأيت البراء بن عازب فاقرئه مني السلام وأخبره أن قتلة الحسين بن علي في النار وإن كاد الله أن يساحت أهل الأرض منه بعذاب أليم، قال فأتيت البراء هو من خيار الصحابة فأخبرته فقال: صدق رسول الله عليه السلام، قال رسول الله عليه السلام: من رأني في المنام فقد رأني حقاً فإن الشيطان لا يتصور بي.

٢١- وروي عن خالد بن معدان وهو من أفضل التابعين عند العامة أنه لما صلب رأس الحسين عليه السلام غاب شخصه عن أصحابه، فطلبوه شهراً فوجدوه، فسألوه عن عزلته، فقال لهم: أما ترون ما نزل بنا، ثم أنسدهم:

محمد متز ملا بد مائه تزميلا	جاءوا برأسك يا ابن بنت
في قتلك التنزيل والتأوila	قتلوك عطشانا ولم يترقبوا
قتلوا جهاراً عامدين رسولا	وكأنما بك يا ابن بنت محمد
قتلوا بك التكبير والتهليلـا.	ويكبـون بأن قـتلت وإنما

٢٢- وقد احتاج على قتل الحسين عليه السلام بعض أخص الأمويين ألا وهو عبد الرحمن بن

الحكم وهو أخو مروان بن الحكم، وذلك أنه لما وصلوا بقافلة سباعيا آل محمد^{عليه السلام} إلى مسجد دمشق، أتاهم مروان، فقال للورف: كيف صنعتم بهم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلا، فأتينا على آخرهم!، فقال أخوه عبد الرحمن بن الحكم: حُجِّيتم عن محمد^{عليه السلام} يوم القيمة، والله لا أجامعكم أبدا، ثم قام وانصرف.

الباب الثاني

ثورة أهل المدينة

١- خروج أهل المدينة:

وفي سنة إثنين وستين أبي بعد ما يزيد عن سنة بعد مقتل الحسين عليه السلام ذهب وفد من أهل المدينة المنورة إلى يزيد بن معاوية، وفي هذا الوفد جماعة منهم عبد الله بن حنظلة الشهيد غسيل الملائكة، فاستقبلهم يزيد وأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، فلما قدموا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وقالوا لأهل المدينة:

إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعرف بالطناير ويُضرّب عنده القيعان وليلعب بالكلاب ويسامر الخرّاب والفتىَن، وإننا نشهدكم أننا قد خلعنَا، وقال المتندر بن الزبير بن العوام: إن يزيد - والله - لقد أجازني بمائة ألف درهم، وإنه لا يُمْعِنُ ما صنع إلى أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه، والله إنه ليشرب الخمر وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة، وعابه مثل ما عابه أصحابه.

فتابعهم الناس وأتوا إلى عبد الله بن حنظلة الغسيل فباعوه وولوه عليهم. عندما علم يزيد بهذه الثورة أرسل إلى أهل المدينة النعمان بن بشير الأنصاري وهو من الأنصار ومن أهل المدينة ليدعوهم إلى ترك هذا الأمر والعودة إلى بيعة يزيد، فلم يقبلوا منه وجهوه.

ثم إن أهل المدينة أظهروا عصيان يزيد بن معاوية وخلعوه عن إمارة المسلمين وأخرجوه والمدينة من قبل يزيد وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان وطردوه، وحاصرו بني أمية وأعوانهم من قريش وهم نحو ألف رجل.

٢- موقف علي بن الحسين عليه السلام:

وكان علي بن الحسين عليه السلام في المدينة إلا أنه لم يلتفت إلى هذه الثورة ولم يدخل فيها في صغير ولا كبير، بل التزم جانبًا وآوى إليه نساء وأطفال بني أمية فاحتضنهم عنده. وذلك

أن مروان بن الحكم أراد أن يترك المدينة، وأراد أن يصون النساء والأطفال فجاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وسأله أن يغيب النساء عنده فأبى عبد الله بن عمر أن يفعل، فجاء إلى علي بن الحسين عليهما السلام وقال: يا أبا الحسن إن لي رحمة وحرمي تكون مع حرمك، فقال عليهما السلام: أفعل. فبعث إليه بالحرم فخرج علي بن الحسين عليهما السلام بحرمه وحرمبني أمية إلى داره بيت معزلةً بالمدينة، وكره أن يشهد شيئاً من أمرها.

٣- قدوم جيوش أهل الشام:

اجتمع بنو أمية وأعوانهم في دار مروان بن الحكم يواجهون حصار أهل المدينة وكان سيد بنى أمية في المدينة مروان بن الحكم، فأرسل إلى يزيد كتاباً يقول فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَا بَعْدُ إِنَّا قَدْ حُوَصِرْنَا فِي دَارِ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمِ، وَمَنْعَنَا الْعَذْبَ، وَرُمِّنَا بِالْجَبَوبِ، فَيَا غَوْثَاهُ يَا غَوْثَاهُ.

وما كان من يزيد إلا ان لبى النداء فأرسل إلى مسلم بن عقبة المري وهو شيخ كبير ضعيف مريض فأمره أن يسير بجيشه إلى المدينة.

خرج المنادي ينادي في الناس ووعد كل من يسير أن يأخذ عطاوه كاماً ويقبض مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعة تلبية، فلبي النداء اثنا عشر ألف مقاتل.

استعجلهم يزيد على الخروج وأوصى مسلم بن عقبة فقال له: ادع القوم ثلاثة، فإنهم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثةً بما فيها من مال أو رقة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكتف عن الناس وانظر علي بن الحسين عليهما السلام فاكف عنه واستوص به خيراً وأدن مجلسه فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه.

٤- وقعة الحرّة وتدمير المدينة:

وصل جيش مسلم بن عقبة المري إلى المدينة في شهر ذي الحجة سنة ٦٣ هجرية ودخلها من جانب الحرّة، وهو شرق المدينة، وهناك كان أهل المدينة قد خندقوا في جمع عظيم، وهناك كانت الواقعة بين أهل الشام وأهل المدينة، وكانت الدولة لأهل الشام وقتل في هذه الواقعة رؤساء جيش المدينة وهم عبد الله بن حنظلة الغسيل وأولاده وأخوه، ومحمد بن عمرو بن حزم الانصاري، والفضل بن العباس بن ربيعة، ويزيد بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى، وابراهيم بن نعيم العدوى، وعبد الله بن زيد بن عاصم، وعبد الله بن عاصم، وغيرهم كثير.

وممن قتل صبراً بعد الواقعة معقل بن سنان الأشجعي وهو رئيس ربع، ويزيد بن عبد الله بن زمعة، ومحمد بن أبي الجهم العدوي، ويزيد بن وهب، ويبلغ عدد القتلى من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ثلاثة آلاف وقتل من سائر الناس عشرة آلاف، ويبلغ عدد القتلى من صحابة الرسول ثمانين صحابياً، وبهذه الواقعة فني البدريون.

ثم أُبيحت المدينة وأهلها ثلاثة أيام فدخل أعراب أهل الشام وأجلادهم وطغائهم إلى المدينة وعاثوا فيها فساداً ولم يربوا حرمة لأحد، حتى ربوا خيولهم بأساطين مسجد الرسول ﷺ، ولم يرتفع الآذان في مدينة رسول الله ﷺ ثلاثة أيام، وفرغ المسجد النبوى من المصلين إلا من علي بن الحسين علية السلام وسعيد بن المسيب.

انتهوا كل ما وصلت إليه أيديهم، وقتلوا من يقدرون عليه، ولم يفرقوا بين شيخ كبير ورضيع صغير، وفجروا بالنساء في بيتهن أو يأخذنهن حيث شاؤوا، وافتضوا العذارى حتى قيل أفتضت ألف عذراء وقيل أكثر، واختلطت أنساب أهل المدينة فلم تعرف المرأة أن الولد من زوجها أو من أهل الشام، وظل أولياء البنات سنين طويلة بعد هذه الواقعة يزوجون بناتهم على البراءة من العذرية يعني لا يضمنون عذرية بناتهم

٥- إستعباد أهل المدينة:

وبعدها دعا مسلم بن عقبة المرى الناس كلهم إلى بيعة يزيد بن معاوية على أنهم عبيد رق خول لزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء، فباعوا على ذلك، ومن باعه على كتاب الله وسنة رسوله ضرب عنقه، ولم يقبل إلا البيعة على أنهم عبيد رق خول لزيد، فباعوه جميعاً على ذلك، ولم يستثن من هذه البيعة إلا علي بن الحسين علية السلام وعلي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أما علي بن الحسين علية السلام فقد استثناه يزيد بن معاوية وأوصى به مسلم بن عقبة، ويروى أنه عندما جاؤوا به إلى مسلم بن عقبة سمع مسلم صيحاً وصرحاً، فقال: ما هذا، فقيل إنه قد أتى بعلي بن الحسين علية السلام وهؤلاء أقاربه يصيحون، فقال: أعلموا أنه لا بأس عليه، فلما دخل وثبت مسلم بن عقبة فصافحه وقبل بين عينيه وأقعده معه على سريره وأخبره بوصية يزيد به واعتذاره عن تأخير العطاء.

وأما علي بن عبد الله بن العباس فقد استثنى قبائل كندة من رجال يزيد بن معاوية، فإنهم أخواه وتعصبو له ووقفوا في وجهه مسلم بن عقبة، وقالوا: يباع لزيد على أنه أشرف من يزيد وأكرم منه أبا وأمأ.

الباب الثالث

فتنة عبد الله بن الزبير

١- خروج عبد الله بن الزبير:

عندما وصل الخبر بمقتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة يعظم مقتله، وعاب أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة، وخطب في الناس، وقال فيما قال يمدح الحسين عليه السلام ويعرض بيزيد:

أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يبدأ بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في الذكر الركض في تطلب الصيد فسوف يلقون غيّاً.
فشار إليه أصحابه وقالوا له: أيها الرجل أظهر بيتك، فإنه لم يبق أحد - إذ هلك الحسين عليه السلام - ينazuك هذا الأمر.

فأظهر بيته، وعلا أمره بمكة، وكاتبته أهل المدينة.

ثم إن عبد الله بن الزبير استمر يُحَكِّم أمره في مكة ويبايع له من يهواه إلى أن وقعت وقعة الحرّة في أهل المدينة التي تقدم ذكرها، فكان عبد الله بن الزبير هو ملجاً لأهل المدينة المنهزمين فلتجؤوا إليه وانضموا له وتابعوه على قتال جيش يزيد. كما جاءه نجدة بن عامر الحنفي وأصحابه من اليمامة.

٢- حصار مكة المكرمة:

وما لبث الجيش الشامي بقيادة مسلم بن عقبة المري بعد وقعة الحرّة أن سار من المدينة متوجهاً إلى مكة المكرمة ليقضي على ثورة عبد الله بن الزبير إلا أنه في الطريق إلى مكة مات مسلم بن عقبة وتولى الحسين بن نمير السكوني قيادة هذا الجيش.

وصل الجيش الشامي إلى مكة فحاصرها شهرين محرم وصفر، وقعت فيهما مناوشات عديدة، وقتل فيها جماعة منهم المنذر بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير، ومنهم مصعب بن عبد الرحمن بن عوف.

٣- رمي الكعبة بالمنجنيق

لم يبال هذا الجيش الهمجي القادر من أعماق الشام بحرمة بيت الله الحرام... فأي حرمة للبيت بعد هتك حرمة محمد ﷺ وبعد ذبح الحسين وأهل بيته علیهم السلام، نعم سقطت الحرمات فصبوا منجنيقهم على جبلي أبي قبيس والأحمر، ثم ما لبسوا أن رموا بيت الله بالحجارة حتى تخرقت كسوتها عليها وتهدم جوانب منها!!! وقد ذكر المؤرخون حول هذا الحدث المهول الشيء الكثير، وذكر بعضهم بعض مشاهداته لرمي الكعبة، وهذا نصه:

روى رياح بن مسلم عن أبيه قال: رأيت الحجارة تصك وجه الكعبة من أبي قبيس حتى تخرقها، فلقد رأيتها كأنها جيوب النساء، وترتعج من أعلىها إلى أسفلها، ولقد رأيت الحجر يمر، فيهوي الآخر على أثره، فيسلك طريقه.

وعن ابن المرتفع، قال: كنا مع ابن الزبير في الحجر، فأول حجر من المنجنيق وقع في الكعبة، فسمعننا لها أنيناً كأنين المريض آه آه.

٤- .. والصوابع لا تردهم عن غيهم

وقد بلغ من عظيم عتواهم وشدة تجبرهم أنهم وهم يرمون البيت الحرام بمنجنيقهم ضربتهم الصوابع، فاحتراق المنجنيق واحترق تحته ثمانية عشر رجلاً من أهل الشام، حتى ارتج القوم بالقول أن الله تعالى قد أظلهم العذاب!!! ولكنهم لم يرعوا فلم يلبثوا إلا أياماً قليلة حتى عملوا منجنيقاً آخر فنصبوا على أبي قبيس وعادوا إلى جريمتهم.

٥- لا مبالاة ابن الزبير واصحابه

كما أن عبد الله بن الزبير وأصحابه أيضاً لم يبالوا وهم يرون بأعينهم حجارة الكعبة تتناثر إلا بحماية أنفسهم وصيانة وجوههم ومصالحهم حيث أنهم أصروا على البقاء في المسجد بعد أن بنوا خصاصاً حول البيت في المسجد ورفاقاً من خشب تكتهم من حجارة المنجنيق، قال بعض وحوش أهل الشام من كان يرمي البيت: فكنت أراهم إذا أمطينا عليهم الحجارة يمكنون تحت تلك الرفاف، قال: فوهن الرمي بحجارة المنجنيق الكعبة فهي تنقض.

٦- إحراق الكعبة:

في اليوم الثالث من الربيع الأول احترقت الكعبة، احترق ثيابها، واحترق خشب البيت، قال بعض الشهود يصف الحدث: قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت إليها النار، ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة.

وذكر في أسباب حريق الكعبة سببان:

الأول: أن الجيش الشامي قذف البيت بالمجانين وأحرقوه بالنار وأخذوا يرتجون:

خطارة مثل الفنيق المزبد
نرمي بها أعود هذا المسجد

السبب الثاني: وهو أن أصحاب عبد الله بن الزبير كانوا يوقدون النار حول الكعبة فهبت الريح بشارة إلى الكعبة فاحتارت، وقيل أن أحد أصحاب عبد الله بن الزبير أخذ قبساً في رأس الرمح له فطيرت الريح به فضررت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود.

٧- بكاء وعويل عبد الله بن عمرو بن العاص

روى الأزرقي وهو أحد أعلام العامة في كتابه أخبار مكة بإسناد قوي عن عبيد الله بن سعد قال: أنه دخل مع عبد الله بن عمرو بن العاص المسجد الحرام، والكعبة محرقّة، حين أدرك جيش الحسين بن نمير، والكعبة تتاثر حجارتها، فوقف ومعه ناس غير قليل فبكى، حتى أني انظر إلى دموعه تحدّر كحلاً في عينيه من إثمد، كأنه رؤوس الذباب على وجنتيه، فقال: يا أيها الناس، والله لو أن أبي هريرة أخبركم، أنكم قاتلو ابن نبيكم، وبعد نبيكم، ومحرّقوا بيت ربكم، لقلتم: ما من أحد أكذب من أبي هريرة، أنحن نقتل ابن نبينا ونحرق بيت ربنا؟ فقد والله فعلتم، لقد قتلتم ابن نبيكم، وحرقتم بيت الله، فانتظروا النقمّة، فوالذي نفس عبد الله بن عمرو بيده، ليلبسكم الله شيئاً وليديقون بعضكم بأمس بعض، يقول لها ثلاثة، ثم رفع صوته في المسجد، فيما في المسجد أحد إلا وهو يفهم ما يقول، فإن لم يكن يفهم فإنه يسمع رجع صوته، فقال: أين الآمرؤن بالمعروف والناهون عن المنكر؟ فوالذي نفس عبد الله بن عمرو بيده، لو قد ألبسكم الله شيئاً وأذاق بعضكم بأمس بعض، لبطن الأرض خير لمن عليها، لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر^(١).

٨- موت يزيد بن معاوية

وبعد أن وتر الله تعالى ووتر رسوله ﷺ وهتك كل محرم وفي الرابع عشر من هذا الشهر أعني ربيع الأول مات يزيد بن معاوية تاركا سلطانه منقلبا إلى سلطان الله تعالى وهو ابن ثمان وثلاثين أو تسع وثلاثين سنة، وكانت مدة ولايته المسؤومة ثلاثة سنين وبضعة أشهر ﴿أَفَرَبِّتَ إِنْ مَعَنَّهُمْ سِنِينَ ٢٥٠﴾ ﴿ثُرَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ٢٦٠﴾ ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَهِنُونَ﴾.

ثم بعد موته بايع أهل الحجاز جميعاً لعبد الله بن الزبير ورجع الجيش الشامي إلى الشام، وكان لعبد الله بن الزبير مع أهل الشام وشيعتهم وقعات ومناوشات وحروب طويلة منها في الحجاز ومنها في العراق زهرت فيها الدماء التي لا يحصيها إلا باريها وقد فصلها المؤرخون في كتبهم.

الباب الرابع

الخلاف على الخلافة

١- هلاك يزيد:

بعد ثلاثة سنين وشهرين من مقتل الحسين عليهما السلام وأصحابه مات يزيد بن معاوية فجأة في قرية من قرى حمص يقال لها حوارين، بات سكراناً قد شرب في الليل شراباً كثيراً ثم أصبح مخموراً فذرعه القيء ثم لم يزل يقيء حتى قذف عشرين طشتاً ثم مات متغيراً كأنه مطلي بقار. وذكر بعض المؤرخين أن يزيد عندما كان سكراناً قام ليرقص فسقط على رأسه وتناثر دماغه، أقول: وربما كان كثرة القيء لهذا السبب.

وكان قبل موته مريضاً بداء النقرس، وكان يضع قدميه في ماء في طست وذلك من شدة الوجع، وكان وفاته في الرابع عشر من ربيع الأول من سنة أربع وستين.

وفي رواية أبي مخنف أن يزيد ركب في بعض الأيام يريد الصيد والقنصل فخرج في خاصته في عشرة آلاف فارس، فسار حتى بعد من دمشق مسيرة يومين، ثم لاحت له ظبية فانطلق جواده في طلبها وقد أمر أصحابه أن لا يتبعه منهم أحد، فجعل يطارد الظبية حتى توسيط وادي مهول مخوف وكظه العطش فلم يجد هناك شيئاً من الماء، وإذا هو برجل معه صحن ماء، فاستسقاوه فسقاوه، فقال له: لو عرفت من أنا لازدتني في كرامتي، فقال له: ومن تكون؟، قال: أنا أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال الرجل: أنت والله قاتل الحسين بن علي عليهما السلام يا عدو الله، ثم نهض ليمسكه فنفر الفرس من تحته فرمى به فعلقت رجل يزيد بالركاب فجعل الفرس كلما رآه خلفه نفر، فلم يزل الفرس يعدو حتى مزقه وعجل الله بروحه الخبيثة إلى النار.

كان يزيد قد أوصى بالخلافة لابنه معاوية بن يزيد، فمات بدوره بعد أربعين يوماً من ولايته، وقيل: قتلواه بعد أن رفض الخلافة، فوقع الخلاف بين أهل الشام وغيرهم حول

ال الخليفة، وفي هذا الحال حاول جماعة من أعيان البلاد أن يستولوا على خلافة المسلمين وإليك تفصيل ذلك:

٢- اختلاف أهل الشام:

اختلف أهل الشام بعد موت يزيد بن معاوية في مصير خلافتهم، فكان زفر بن الحارث الكلابي في قنسرين يبأىع لعبد الله بن الزبير، وأيضاً النعمان بن بشير الأنباري في حمص يبأىع لعبد الله بن الزبير، والضحاك بن قيس الفهري في دمشق كذلك يبأىع لعبد الله بن الزبير سرّاً، يمنعه من إظهار ذلك بقية بنى أمية الذي في الشام ومنهم مروان بن الحكم، والتتحقق بهم عبيد الله بن زياد بعد أن هرب من البصرة.

ولم يبق من أنصار بنى أمية من ولاة الأمصار إلا حسان بن مالك بن بجذل الكلبي الذي كان والي فلسطين فاستخلف عليها روح بن زناع الجذامي وخرج إلى الأردن، يحرض أهل الأردن فقال لهم: يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرّة – فقالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى أهل الحرّة في النار، قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرّة؟ قالوا: نشهد أن يزيد على الحق وأن قتلانا في الجنة، فقال لهم: وأناأشهد لشّن كان دين يزيد بن معاوية وهو حيّ حقاً يومئذ إنه اليوم وشييعته على الحق، وإن كان الزبير يومئذ وشييعته على باطل إنه اليوم على الباطل هو وشييعته، فوافق أهل الأردن وبأيدهم على أن يقاتلوا معه من يطيع ابن الزبير.

بعد هذا أرسل حسان بن مالك كتاباً إلى الضحاك بن قيس في دمشق يذكر فيه عظيم حق بنى أمية ويدعوه إلى طاعتهم، ويقع في ابن الزبير ويشتمه وأنه منافق خلع خليفتين، وأمره أن يقرأ الكتاب على الناس، وبعث مع الكتاب نسخة أخرى منه مع رجل من كلب اسمه ناغضة وأمره أن يقرأ الكتاب على الناس إذا لم يقرأه الضحاك بن قيس عليهم؟.

٣- هياج الفتنة في الشام:

قدم ناغضة بالكتاب فدفعه إلى الضحاك بن قيس فلما كان يوم الجمعة وصعد الضحاك إلى المنبر قام ناغضة فقال: أصلح الله الأمير، أدع بكتاب حسان فقرأه على الناس، فقال له الضحاك: إجلس، فجلس، ثم قام مرة أخرى، فأجلسه، ثم قام الثالثة فقال له: إجلس، فلما رأى ناغضة أن الضحاك لن يقرأ الكتاب أخرج نسخته وقرأه على الناس، فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ويزيد ابن أبي النمس الغساني وسفيان بن الأبرد الكلبي فصدقوا كتاب حسان

بن مالك وشتموا ابن الزبير، فقام عمرو بن يزيد الحكمي فشتم حسان بن مالك وأثنى على ابن الزبير، فاضطرب أمر الناس ووثب بعضهم بوجه بعض، ووثبت بنو كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرقوه بالنار وخرقوا ثيابه.

وأظهر الصحاح ما في سريرته من ولائه لابن الزبير فسجين الذين شتموا ابن الزبير وصدقاً حسان، فقامت بنو كلب وغسان فأخرجوهم من السجن ثم ذهبا إلى المسجد الأعظم وفيه الصحاح بن قيس يمهّد لابن الزبير ويقع في يزيد بن معاوية فضربوه بعصا، فقام الناس بعضهم إلى بعض في المسجد فانقسم الناس من يتّصّب لابن الزبير وبهوى هواه ومن يتّصّب لبني أمية وبهوى هواهم فاقتتلوا.

٤- معركة مرج راهط:

ثم خرجت بنو أمية ومن معهم برایاتهم إلى حسان بن مالك وخرج الصحاح بن قيس ومن معه فنزل بمرج راهط ومعه قبائل قيس ومن يدعوه بدعة عبد الله بن الزبير، وقيل أن عداد جيشه كان ستين ألفاً.

اجتمع أهل الأردن وبنو أمية في الجاية فباعوا لمروان بن الحكم فكان في بيته قبائل كبيرة من العرب ومنها بنو كلب والسكاكن والسكنون وغسان وتنوخ وطيء، فسار مروان بالناس وعلى ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسره عبد الله بن زياد حتى نزل مرج راهط وفيها الصحاح، فوقع القتال بين الفريقين عشرين يوماً هزم الصحاح بن قيس فقتل من أهل الشام ومن قبائل قيس يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا بمثلها قط في أي موطن من المواطن، فقتل في هذه الوعة سادات أهل الشام، وقتل ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة، وقتل صاحب لواء قضاعة، وقتل ثور بن معن بن يزيد السلمي، وقتل الصحاح بن قيس وحملوا رأسه إلى مروان بن الحكم وقتل هاني بن قبيصة التميري سيد قومه، ثم فرّ الناس منهزمين فانتهى أهل حمص إلى حمص وعليها النعمان بن بشير فلما بلغه مقتل الصحاح جمع ثقله وولده وفر هارباً ليلاً، فطلبته أهل حمص حتى أدركوه وقتلوه وحملوا رأسه فألقوه في حجر ابنته أم أبان.

٥- البيعة لمروان بن الحكم بالخلافة:

وبهذا الانتصار الأموي في معركة مرج راهط أطبقت الشام على بيعة مروان بن الحكم، ثم بايعه أهل مصر، وكان الحجاز والعراق لعبد الله بن الزبير فأرسل عبد الله بن الزبير أخاه

صعب بن الزبير على رأس جيش فسرح إليه مروان بن الحكم جيشاً على رأسه عمرو بن سعيد بن العاص، فوّقعت بينهما معركة هزم فيها صعب.

ثم سرّح عبد الملك بن مروان جيشاً من سبعة آلاف رجل يقوده حبيش بن دلجة فدخل المدينة ثم التقى بجيش لابن الزبير عند الربذة فهزّم جيش الشام وقتل حبيش ومن معه عن آخرهم.

الباب الخامس

قتنة البصرة

١- عبيد الله بن زياد يطمع في الخلافة!! :

لقد ترددت أمور الإسلام وتسافلت وهانت حتى بلغت أن طمع ابن مرجانة في خلافة المسلمين!، وكان يومها والياً على البصرة والكوفة فدعا أهل البصرة وقام فيهم خطيباً، فقال: يا أهل البصرة إنسيوني فواه الله لتجدنَّ مهاجر والدي ومولدي فيكم وداري، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً، وما أحصى عمالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً، وما تركت لكم ذا ظنة أخافة عليكم إلا وهو في سجنكم هذا، وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي، وقد اختلف أهل الشام وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً وأعرض فناءً وأعناء عن الناس، واسعه بلاً فاختاروا لأنفسكم رجالاً ترتصونه لدينك وجماعتكم...

٢- البيعة لعبيد الله بن زياد بالخلافة:

فقام خطباء البصرة يتملّقونه، فقالوا: إنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك فهلمْ فلنبايعك، فقال: لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لأنفسكم، فأبوا عليه وأبى عليهم، حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات، فلما أبوا بسط يده فبأيه ثم انصرفوه ثم من مكرهم يقولون: لا يظن ابن مرجانة أنا نستقاد له في الجماعة والفرقة، كذب والله. وجعلوا يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطانه.

ثم أرسل عبيد الله بن زياد رسوله إلى الكوفة يدعوهم إلى بيعة عبيد الله بن زياد فردها أهل الكوفة وجاءت نساء همدان يبكين حسيناً عليه السلام ورجالهم متقلدوا السيف فطاقوها بالمنبر، فرجع الخبر إلى البصرة بأن أهل الكوفة ردوا بيعة عبيد الله بن زياد، فقال أهل البصرة لبعضهم أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتباعونه فأجمع أهل البصرة على نقض بيعته بعد ما كانوا قد عقدوها، فأقام عبيد الله بن زياد في البصرة وسلطانه يضعف وينكسر يوماً بعد يوم، فيأمر

بالأمر فلا يُقضى، ويرى الرأي فيردّوه عليه، ويأمر بحبس الرجل فيحال بينه وبين الشرط.

استمر الأمر في البصرة على هذا الحال حتى جاء رسول عبد الله بن الزبير يدعوهم إلى بيته فبدأت الناس تباعده حتى انتقض أمر عبيد الله بن زياد في البصرة فلم يتمكن من ضبط الأمور فيها، بل وصل به الحال أن خشي على نفسه وأهل بيته فقرر ترك دار الإمارة وأخذ الأموال وهي تسعة عشر ألف ألف، وتوارى في ديار قبيلة الأزد واستجار بدار سيد الأزد مسعود بن عمرو بن عدي فأجاره.

٣- اختلاف أهل البصرة:

فاجتمع أهل البصرة فولوا عليهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ثم وقعت الفتنة^(١) بين قبائلبني تميم وبكر بن وائل، وما لبث أن تحالفت بكر بن وائل مع الأزد، وتناولت القبائل بشعاراتها وأحلافها القديمة، وهاج الشر بين الناس ما بين قبائل مصر وعمرتها تميم وقبائل ربيعة وعمرتها الأزد، ووقع القتال فحمل مسعود بن عمرو على رأس مقاتلي الأزد على أخياءبني تميم فأحرق دورهم وسلب نساءهم وقتلوا رجالاً، وما زال الأمر كذلك حتى قُتل مسعود بن عمرو، قيل قتله أنس من تميم، وقيل قتنته الخوارج فانهزمت الأزد.

عندما علم عبيد الله بن زياد بمقتل مسعود بن عمرو وهزيمة الأزد هرب إلى الشام، وأعجز الطلبة الذين اتباهوا فلم يدركوه فنهبوا ما استطاعوا عليه وسلبوا أمّه وسلبوا امرأته وحرمه حتى أخذوا مقانعهن عن رؤوسهن.

وفي هذه الأوان خرجت الخوارج في البصرة بقيادة نافع بن الأزرق الحنظلي فكسرموا أبواب السجون فخرجو منها واجتمعوا وأعلنوا كفر المسلمين المقربين بالسلطان وأحلوا دماءهم وأوجبو البراءة منهم واستعدوا لقتالهم ودعوا أصحابهم إلى ذلك حتى عزم ابن الأزرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة وكان بينه وبينهم معارك ووقعات عديدة طال أوانها وكثير فيها القتال والقتلى حتى كان الآلاف من المسلمين يقتلون في الوعقة الواحدة.

ثم ما زال الأمر في البصرة مضطرباً هائجاً دامياً حتى قال الناس لواليها من قبلهم عبد

(١) قيل أن سبب الفتنة أن أحد بنى ضبة وهو من تميم قتل رجلاً من بنى يشكر من بكر بن وائل وهو من قبائل ربيعة، وقيل أن سبب الفتنة أن عبيد الله بن زياد بعدما استجار عند مسعود بن عمرو واستخلفه على ولاية البصرة فرفقت بتو تميم وقالوا لا نرضى ولا نجزي ولا نولي إلا رجلاً من جماعتنا ورفض مسعود أن يدع ولاية البصرة واراد أن يدخل القصر عنوة عن بنى تميم وأحلافها من مصر فوق القتال.

الله بن الحارث: إن الناس قد أكل بعضهم بعضاً وتؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تفصح، ثم طلبوا منه أن يجرد السيف، ولكن عبد الله بن الحارث آثر السلامة ولحق بأهله وترك أمر الناس. ووقع الطاعون في البصرة فهلك به الخلق الكثير حتى سُمِّوه الطاعون الجارف.

وكذلك وقعت فتنة في الري وهو من توابع البصرة وانتفض أهل الري وجرت حوادث مسطورة.

الباب السادس

فتن مختلفة

١- فتن أخرى:

وخلال هذه الإضطرابات على خلافة المسلمين في الشام وال伊拉克 والجaz وقعت اضطرابات أخرى عديدة في أطراف العالم الإسلامي أزهق فيها مئات أوآلاف الأرواح، ومنها أن أهل خراسان وثبوا على عمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحيته.

وحدثت في خراسان فتنة عبد الله بن خازم أحد الأمراء أراد السيطرة على خراسان قهراً فقام بعدة وقفات فقتل عمرو بن مرثد بالطلاقان، فهاجت الفتنة بين قبائل مصر وبكر بن وائل وطالت سنة، ثم وقعت الوعنة على بكر بن وائل فقتل منها ثمانية آلاف مقاتل.

وغارت الترك على أطراف المسلمين وهزموهم في وقفات وحروب بين أهل الشام والعراق.

٢- حروب بين أهل الشام وال伊拉克:

وأقيمت بين أهل الشام بقيادة مروان بن الحكم وأولاده مع أهل العراق والجaz بقيادة عبد الله بن الزبير وقفات تشيب الغلام الأمرد زهق فيها آلاف القتلى.

الوقعة الأولى: كانت عندما أرسل مروان جيشاً بقيادة حبيش بن دلجة في سبعة آلاف مقاتل، وصل الجيش إلى المدينة ثم سار إلى الربدة وهناك التقى جيش أهل الشام وأهل المدينة والتهم الجيshan فكانت الدولة على الجيش الشامي الذي انهزم وأُبيد عن آخره وقتل أميره حبيش بن دلجة وجماعة من أكابرهم وبقي منهم خمسينات فضربت أعناقهم صبراً، وقيل: بقيت فلوس رجعت إلى الشام.

الوقعة الثانية: أرسل مروان بن الحكم عبد الله بن زياد في جيش هائل العدد من أهل

الشام إلى العراق، وصل هذا الجيش إلى بلاد الجزيرة – وهي حالياً شمال العراق – فقاتلته أهلها واستمر القتال في هذه البلاد أشهرأ طويلاً ووقعت وقفات ستعرض لبعضها فيما يأتي ولم يسلم من هذا الجيش أحد.

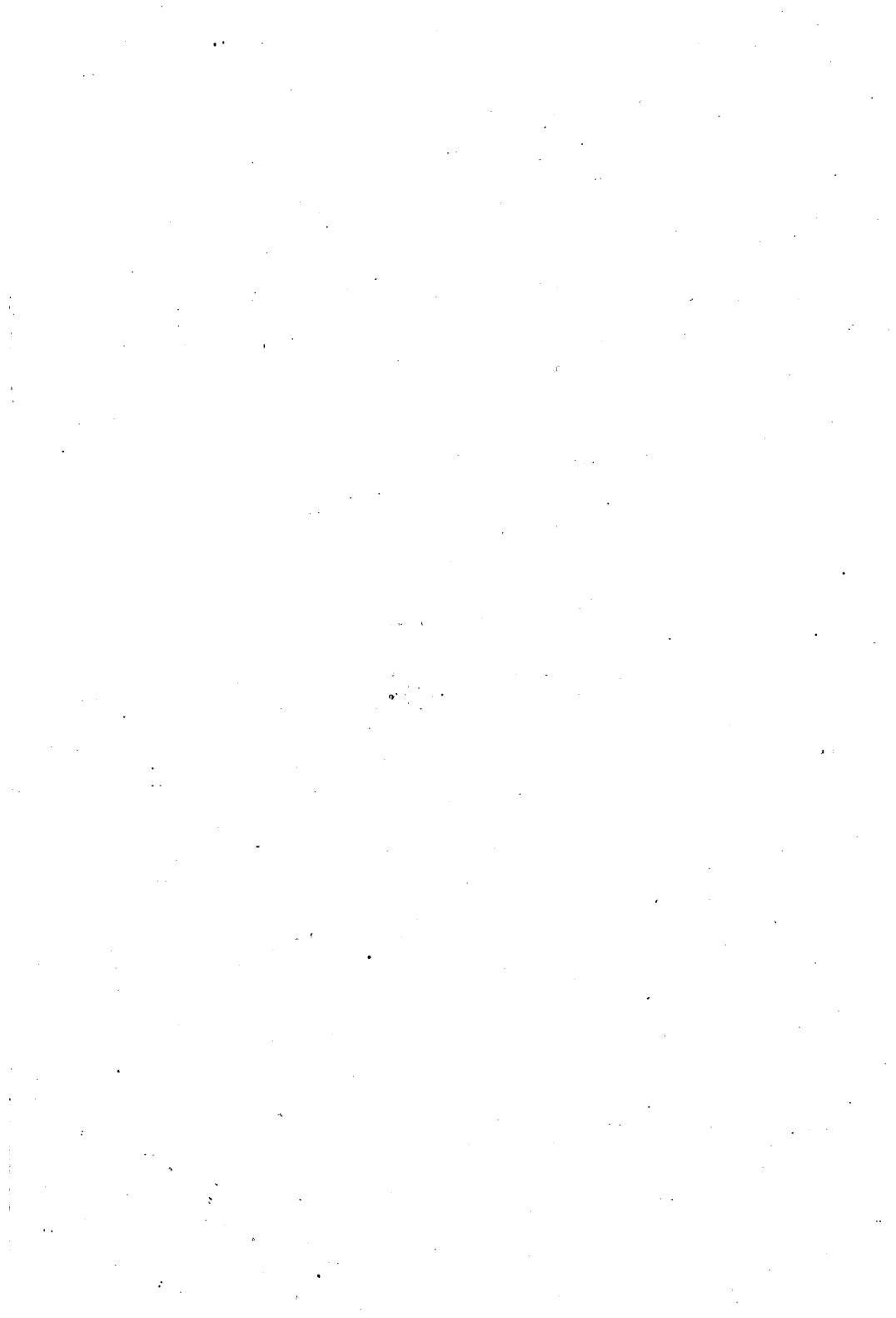
الوقعة الثالثة: سار عبد الملك بن مروان بنفسه – وهو خليفة الشام – بجيش أهل الشام فالتي مصعب بن الزبير على رأس جيش أهل العراق بدير الجاثيق وكانت بين الجيشين وقفات انتهت بهزيمة مصعب وقتله.

الوقعة الرابعة: سار الحجاج الثقي بجيشه إلى مكة فحاصرها وضرب الكعبة الشريفة بالمنجنيق ولم يرجع حتى اقتحمت أجلاف الشام بيت الله الحرام وظفروا بعد الله بن الزبير بقتلوه وصلبوا منكوساً.

٣- ثورة نجدة بن عامر الحنفي:

لم يكن نجدة بن عامر الحنفي من شيعة آل البيت عليهما السلام بل هو معدود من الخوارج إلا أنه كان له مقالة يذرر فيها المسلمين في أخطائهم، وكيف كان فإن هذا الرجل الخارجي قد خرج بعد مقتل الحسين عليهما السلام وأعلن تمrtle وعصيـانه على يزيد ونجح في ذلك حتى استولى على اليمامة وعظم أمره فملك اليمن والطائف وعمان والبحرين ووادي تميم وعامر، وجاء بجماعته إلى مكة فكان يصلـي بحـداء عبد الله بن الزـبير ولم يقتـلـا احـتراماً لحرمة المسـجد، وقاتلـ جـيشـ يـزيدـ حـينـ جاءـ إـلـىـ مـكـةـ دـفـاعـاًـ عـنـ حـرـمـةـ الـحـرـمـ،ـ وـاستـمـرـ إـلـىـ أـنـ نـقـمـ عـلـيـهـ أـصـحـابـهـ فـخـلـعـوهـ وـطـلـبـواـ مـنـهـ أـنـ يـخـتـارـ لـهـمـ إـمـامـاًـ لـهـمـ فـاختـارـ لـهـمـ أـبـاـ فـديـكـ فـجـعـلـهـ إـمـامـهـ وـمـاـ لـبـثـ هـذـاـ أـبـوـ فـديـكـ أـنـ قـتـلـ نـجـدـةـ بـنـ عـامـرـ.

الفصل الخامس
انتفاضة الشيعة



الباب الأول

نَدَمْ عَامْ وَاحِتِجاجاتُ أَفْرَاد

١- نَدَمْ الشِّيَعَة:

أما شيعة آل بيت محمد ﷺ فقد هالهم مقتل الحسين علية السلام وما فعل به وبأهل بيته واستعظموا خذلانهم له.

وقد ظهر استعظامهم لمقتله عند استقبالهم لنساء آل محمد ﷺ على مداخل الكوفة وداخلها حيث استقبلوهن بالبكاء والتواح والعويل والحرقة والدهشة وجلسوا يستمعون إلى كلمات زينب بنت علي بن أبي طالب وزين العابدين علية السلام وسكينة وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين، وهم يبكون، ونساؤهن قد نشرن شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمسن وجههن، وضربن خدوذهن، ودعون بالويل والثبور، وكان هذا الحال هو حال عامة الشيعة في الكوفة وهم ما يزيد عن ستة عشر ألف رجل ومن معهم من نساء وموالي، ولا ريب أن هذا كان حال عامة الشيعة في كل صقع من أصقاع الدنيا.

٢- إِحْتِجاجاتُ سَلْمِيَّة:

وقد احتاج بعض الشيعة احتجاجات سلمية لعجزهم عن الصدام والعنف وقد تنوّعت الإحتجاجات السلمية على أنواعها بحسب اختلاف الناس، فمنهم من غادر الكوفة كأبي عثمان النهدي كان شيخاً كبيراً مخضراًًاً أدرك العجالة وأدرك النبي ﷺ ولم يره وكان من ساكني الكوفة ولم يكن له بها دار لبني نهد فلما قتل الحسين بن علي علية السلام تحول فنزل البصرة وقال: لا أسكن بلداً قتل فيه بن بنت رسول الله ﷺ^(١).

ومن الناس من أظهروا احتجاجهم بكاءً ونواحاً وندبة ومن تمكّن من الشعر قاله.

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٧ ص ٩٨

١: ومن هؤلاء سليمان بن قتة العدوي الذي كان منقطعاً إلىبني هاشم، وصل إلى كربلا بعد ثلاثة أيام من استشهاد الحسين عليهما فنظر إلى مصارع الشهداء واتكأ على فرس له عربية وأنشد أبياتاً منها:

فلم أرها أمثالها يوم حلت
لقتل حسين والبلاد اقشعرت
لقد عظمت تلك الرزايا وجئت
أذل رقاب المسلمين فذلت
 وأنجمها ناحت عليه ووصلت

مررت على أبيات آل محمد
الم تر أن الشمس أضحت مريضة
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية
 وإن قتيل الطف من آل هاشم
 وقد أuwولت تبكي السماء لفقده

٢: ومن هؤلاء أيضاً عقبة بن عمرو السهمي، ويقال أنه أول من زار الحسين عليهما فلتحت في قبره، وروى شيخنا محمد بن التعمان المفید قاتل في أماليه عن إبراهيم بن داحنة أنه قال: أول شعر رثى به الحسين بن علي عليهما السلام هو قول عقبة بن عمرو السهمي منبني سهم بن عوف ابن غالب، وهو:

تخافون في الدنيا فأظلمَ نورُها
ففاض عليه من دموعي غزيرُها
ويُسعد عيني دمعها وزفيرُها
أطافت به من جانبها قبورُها
وقل لها مني سلامٌ يزورُها
تؤديه نكبةُ الرياح ومورُها
يفوح عليهم مسكتها وعيبرها

إذا العين قرَّت في الحياة وأنتمْ
مررت على قبر الحسين بكرbla
فما زلت أرثيه وأبكي لشجوه
وبكيت من بعد الحسين عصائب
سلامٌ على أهل القبور بكرbla
سلامٌ بآصال العشي وبالضحى
ولا برح الوفاد زوار قبره

٣: ومنهم الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي وهو من سادات قبائل طيء، وكان قد لقي الحسين عليهما في طريقه إلى العراق وأخبره أن أهل الكوفة خاذلوه وأنهم مجتمعون على قتاله، وقال له: فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبرا إلا فعلت، فإن أردت أن

تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى منرأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أُنزل لك مناع جبنا الذي يدعى أجأ، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذلّ قط، فأسير معك حتى أُنزلك القرية ثم نبعث إلى الرجال من بآجأ وسلبي من طي، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك طي رجالاً وركباناً ثم أقم فينا ما بدا لك، فان هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف، فأباي الحسين عليهما السلام، فلما رأى الطرماح ذلك استأذنه فقال له: دفع الله عنك شر الجن والإنس، إني قد امترت لأهلي من الكوفة ميرة ومعي نفقة لهم فأضع ذلك فيهم ثم أقبل إليك إن شاء الله، فإن الحقك قوله لا تكون من أنصارك، قال الحسين عليهما السلام: فإن كنت فاعلاً فجعل رحmk الله، قال: فلعلمت أنه مستوحش إلى الرجال حتى يسألني التعجيل، قال: فلما بلغت أهلي وضعتم عندهم ما يصلحهم وأوصيت فأخذ أهلي يقولون: إنك لتصنع مرتك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم، فأخبرتهم بما أريد، وأقبلت في طريقبني ثعل حتى إذا دنوت من عذيب الهجانات استقبلني سماعة بن بدر فنعاه إلى فرجعت.

٤: ومن الطبيعي أن يتفاعل هذا الاستعظام في صدور بعض محبي الحسين عليهما وشيعته ليصل إلى مرتبة المصادمة والرغبة في الثورة كما قد وصلت عندما خطب فيهم علي بن الحسين عليهما الله عند دخوله مع السبايا إلى الكوفة، فقالوا له: نحن كلنا يا بن رسول الله عليهما الله سامعون مطيون حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، إنا حرب لحربك وسلم لسلمك لتأخذن يزيد ونبأ من ظلمك.

٣- إحتجاجات عنيفة:

وربما تفاعل هذا الغضب والانفعال إلى حركات صدامية عنيفة كما تحقق هذا الأمر في عدة مواضع متفرقة قبل أن تتطور لتصبح ثورة عامة عارمة، وإليك حركات الفردية العنيفة التي ذكرها المؤرخون مرتبةً بحسب الترتيب الزمني:

- 1- كان أول احتجاج عسكري على مقتل الحسين عليهما الله هو احتجاج قامت به امرأة!، وهذه المرأة هي امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلما كان أن قتل الحسين وأصحابه صلوات الله عليهم ورأى القوم قد اقتحموا على نساء آل محمد عليهما الله في فسطاطهن وهم يسلبونهن أخذتها الغيرة والحمية التي فقدتها الرجال، فأخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط ونادت: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله عليهما الله، لا حكم إلا لله، يا

لثارات رسول الله ﷺ. وانتهى هذا الاحتجاج بأن جاء زوج هذه المرأة فأخذها وردها إلى رحلها.

٢- روي عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج، قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، قلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن علي علية السلام، قال: فترك الخادم حتى خرج ولطم وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر....

٣- عندما كان ابن زياد يضرب بقضيبه ثياب أبي عبد الله علية السلام احتج عليه بعض الصحابة وقيل هو زيد بن أرقم، فبكى وقال له: إرفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت شفتني رسول الله علية السلام عليهما ما لا أحصيه يقبلهما... ثم ذهب ينتبب وي بكى، حتى قال عبد الله بن زياد: أبكى الله عينيك أتبكي لفتح الله، والله لو لا أنكشيخ كبير قد خرفت وذهب عقلك لضربي عنقك، فخرج زيد بن أرقم وهو يقول للحضور: يا عشر العرب أنت العبيد بعد اليوم قتلت ابن فاطمة علية السلام وأمرتم ابن مرjanة، ومثل هذا الاحتجاج حدث عند يزيد كما ذكرناه فيما سبق فلن نعيده.

٤- إحتجاج عبد الله بن عفيف:

كان عبد الله بن عفيف الأزدي الغامدي من خيار شيعة علي علية السلام وقاتل معه يوم الجمل فذهبت عينه اليسرى، ثم قاتل معه أيام صفين فذهبت عينه اليمنى، فبات بلا عينين فكان لا يفارق مسجد الكوفة يصلي فيه إلى الليل.

فلما جاء الخبر بقتل الحسين علية السلام إلى عبد الله بن زياد نودي الصلاة جامعاً، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم - مسجد الكوفة - فصعد ابن زياد المنبر فقال:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته!!! .

فلما سمع ذلك عبد الله بن عفيف قام، وقال: يا ابن مرjanة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرjanة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصدّيقين.

فقال ابن زياد: من هذا المتكلّم؟ فقال ابن عفيف: أنا المتكلّم يا عدو الله، تقتلون الذريّة

الطاولة التي أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام، وأغواه، أين أولاد المهاجرين والأنصار ليتقموا من طاغيتك اللعين على لسان محمد ﷺ رسول رب العالمين.

فقال ابن زياد: علىَّ به، فوثبت عليه الجلاوزة فأخذنهوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور، وكان في المسجد عبد الرحمن بن مخنف الأزدي وهو سيد الأزد فأحرجه هذا النداء، فقال يعني بكلامه عبد الله بن عفيف: ويح نفسك أهلكتها وأهلكت قومك، فوثب فتية من الأزد فانتزعوا عبد الله بن عفيف، فأتوا به أهله إلى بيته، فأرسل عبيد الله بن زياد جماعة من حرسه ليحضر ورأسلهم مع محمد بن الأشعث وأسر جماعة من أشراف الأزد وأحلافهم، فجمع ابن زياد قبائل مصر الكندي أن يقتحم عليهم ويحضر ابن عفيف، فاقتتل الفريقيان ثم أفرجوا حتى اقتحموا الدار على ابن عفيف فصاحت ابنته: أتاك القوم، فقال لها: لا عليك ناولني سيفي فناولته وجعل يقاتلهم وهو لا يرى فتكا ثروا عليه وأسروه، وأتوا به إلى ابن زياد فقال له: الحمد لله الذي أخزاك، فقال ابن عفيف: يا عدو الله وبماذا أخزاني !! .

والله لو فُرِجَ لي عن بصرى

ضاق عليكم موردي ومصدري
قال ابن زياد: يا عدو الله، ما تقول في عثمان، فشتمه ابن عفيف، وقال يا ابن مرجانة، يا عبدبني علاج، ما أنت وعثمان، إن أساء أم أحسن، وأصلاح أم أفسد، والله تعالى ولِي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل، ولكن سلتي عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه، فقال ابن زياد: والله لا أسألك عن شيء أو تذوق الموت، فقال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما إني قد كنت أسأل الله ربى أن يرزقني الشهادة قبل أن تلديك أمك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يدي أعن خلقه وأبغضهم إليه، فلما كُفَّ بصرى يشت من الشهادة، والآن الحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها وعرَّفي الإجابة منه في قديم دعائي، فأمر به ابن زياد فضررت عنقه وصلبوه في السبخة رحمة الله وصلواته عليه.

٥- احتجاج جندب بن عبد الله الأزدي:

ويروى أن جندب بن عبد الله الأزدي وهو من زهاد أصحاب رسول الله ﷺ. عندما بلغه ما حدث على عبد الله بن عفيف الأزدي غصب وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذناه والله عبد الله بن عفيف فقبَّ الله العيش بعده، فقام وجعل يقاتل حتى أخذنهه وأسروه، فقال له عبيد

الله بن زياد: يا عدو الله، ألسنت صاحب علي بن أبي طالب يوم صفين، قال: نعم، ولا زلت له ولية، ولكنكم عدوا، لا أبداً من ذلك إليك ولا اعتذر في ذلك وأتصل منه بين يديك، فقال ابن زياد له: أما إني سأقترب إلى الله بدمك، فقال جندب: والله ما يقربك دمي من الله، ولكنه يبعدك منه، وبعد فإني لم يبق من عمري إلا أقله، وما أكره أن يكرمني الله بهوانك، ثم شفع به بعض سادات مصر فأطلق سراحه.

٦- إحتجاج عبيد الله بن الحر الجعفي:

وكان عبيد الله بن الحر الجعفي من سادات الكوفة قد اعتزل قتال الحسين عليهما السلام وخرج من الكوفة ونزل قصربني مقاتل، فمرّ الحسين عليهما السلام من هناك فرأى فسطاطاً مصروباً فقال عليهما السلام: لمن هذا الفسطاط؟، قيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، فقال عليهما السلام: أدعوه لي وبعث إليه، فلما أتاه الرسول قال: إنما الله وإنما إليه راجعون، والله ما خرجت من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين عليهما السلام وأنا فيها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني. فرجع الرسول إلى الحسين عليهما السلام فأخبره، فقام الحسين عليهما السلام بنفسه حتى جاء ودخل عليه وسلم وجلس، ثم دعا إلى الخروج معه، فأعاد ابن الحر مقالته، فقال: إلا تنصرنا فإياك أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك، فقال ابن الحر: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله.

وفي خبر آخر أن عبيد الله بن الحر الجعفي قال: يا بن رسول الله عليهما السلام لو نصرتك لكتت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته وأنا أروم شيئاً إلا بلغته ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه فدونك فخذه، فأعرض عنه الحسين عليهما السلام بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنت متخد المضلين عضداً، لكن فر فلا لنا ولا علينا فإنه من يسمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجنبنا كبه الله على وجهه في نار جهنم، ثم سار الحسين عليهما السلام وهكذا لم يوفق الله ابن الحر ليكون من أنصار الحسين عليهما السلام.

فلما أن كان بعد مقتل الحسين عليهما السلام جلس عبيد الله بن زياد يتفقد سادات الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر الجعفي، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه، فقال له عبيد الله بن زياد: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب أو مريض البدن؟، فقال ابن الحر: أما قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله على بالعافية، فقال ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدونا، قال ابن الحر: لو كنت مع عدوك لرئي مكانى، وما كان مثل مكانى يخفي، فقال ابن زياد: وما منعك من نصرة أمير المؤمنين يزيد، فقال ابن الحر: معنى من ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا ترْكُوا إِلَّا لِتَنْهَى طَامُوا فَتَسْكُمُ النَّار﴾، فغضب ابن زياد وهم بقتل عبيد الله بن الحر لكنه خاف من فتنة في الكوفة فسكت، ثم غفل عنه ابن زياد غفلاً، فخرج ابن الحر

حتى قعد على فرسه، فقال ابن زياد: أين ابن الحر؟ قالوا: خرج الساعة، فقال: علىّ به، أراد ابن زياد أن يعتذر منه ويرضيه، فأحضرت الشرط، فقالوا لابن الحر: أجب الأمير، فدفع فرسه ثم قال: أبلغوه أني لا آتيه والله طائعاً أبداً.

ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائي، فاجتمع إليه في منزله أصحابه، ثم خرج مع أصحابه حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم فاستغفر لهم هو وأصحابه ثم أنسد - وقد قيل أنه هو أول رجل أنسد وناح على قبر الحسين عليهما السلام:-

يقول أمير غادر حق غادر ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة
فيما ندمي ألا أكون نصرته ألا كل نفسٍ لا تُسدَّ نادمة
لذو حسرة ما إن تفارق لازمة وإنِي لئن لم أكن من حُمَّاتهِ
على نصرِه سقِيَاً من الغيث دائمة سقى الله أرواح الذين تأَرَّروا
فكاد الحشا ينفضّ والعين ساجمة وقفت على أجداثهم ومجالهم
سِراعاً إلى الهيجا حماةً خضارمة لعمري لقد كانوا مصاليت في الوعي
بأسافهم آساد غيل ضراغمة تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم
على الأرض قد أصبحت لذلك واجمة فإن يُقتلوا فكل نفس تقية
لدى الموت سادات وزهراء قمامدة وما إن رأى الراءون أفضل منهم
فدع خطأً ليست لنا بملائمة أقتلهم ظلماً وترجو ودادنا
فكم ناقم منا عليكم وناقمة لعمري لقد راغمتونا بقتلهم
إلى فئة زاغت عن الحق ظالمة أهم مراراً أن أسيير بمحفل
أشدّ عليكم من زحوف الديالمة فكفوا وإلا زُرْتكم في كتاب

ثم خرج على ابن زياد وكان معه سبع مائة فارس يصلون بهم ويتجول ويغير على أطراف البلاد، وله قصيدة أخرى يتلهف فيها على تركه نصر الحسين عليهما السلام يقول فيها:

فيما لك حسرة ما دمت حيا تردد بين حلقي والترافي

حسين حين يطلب بذل نصري
 غداة يقول لي بالقصر قولا
 ولو أني أواسيه بنفسي
 مع ابن المصطفى نفسي فداءه
 فلو فلق التلهف قلب حي
 فقد فاز الأولى نصرها علينا
 وقال في هذا الأمر قصائد أخرى.

على أهل الضلاله والنفاق
 أتركتنا وتزمع بالفرق
 لنلت كرامة يوم التلاق
 تولى ثم ودع بانطلاق
 لهم اليوم قلبي بانفلاق
 وخاب الآخرون أولوا النفاق

الباب الثاني

مقدمات ثورة التّوابين

١- التوبة والندم:

شعر الشيعة بعظيم الندم على خذلانهم الحسين عليه السلام ورأوا أنهم أخطأوا خطأً كبيراً لا يغسله عنهم إلا بقتل قتلة الحسين عليه السلام أو الموت في هذا الأمر، فما زالت الشيعة من سنة إحدى وستين هجرية وهي سنة مقتل الحسين عليه السلام مشغولين بجمع آلة الحرب والإستعداد للقتال والدعوة السرية للشيعة ومحبى آل البيت عليهم السلام إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام فكان يجتمع القوم بعد القوم والنفر بعد النفر، وهم في كل ذلك في سر لا يعلون، وأخلصوا نياتهم وصدقوا جدهم في هذا السبيل حتى أدرك عبيد الله بن زياد ما تنويه الشيعة وما تسعى إليه فازداد بهم تrickery وتشريداً حتى ملأ بهم السجون حتى كانت سجنوه في الكوفة تحوي أكثر من أربعة آلاف وخمس مائة من أبطال شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومنْ جاهد معه ومن هؤلاء من كان مسجونةً من أيام معاوية، فكانتوا في السجن مقيدين مغلولين يُطعمون يوماً - ثم لا يُطعمون يوماً - واستمرروا كذلك في السجن إلى حين موت يزيد لعنه الله.

لما جاء البريد إلى الكوفة بخبر هلاك يزيد وشاع هذا النباء وثبت الناس على دار ابن زياد ونهبوا أمواله وخليفه وقتلوه غلمانه وكسروا حبسه، فخرجت الشيعة وكان فيهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وإبراهيم بن مالك الأشتر، ويحيى بن عوف، وصعصعة بن صوحان العبدى، وابن صفوان وغيرهم من الأبطال.

٢- اجتماع الشيعة:

وكان رؤساء الشيعة في الكوفة وأكابرهم خمسة رجال، هم: سليمان بن صرد الخزاعي من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم، وكان شيئاً كبيراً عمره ثلث وتسعون سنة وشهد حرب صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، والمسيب بن نجدة الفزارى، وهو من رؤساء أصحاب

عليه عليه السلام، وعبد الله بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التميمي^(١)، ورفاعة بن شداد البجلي، وكان هؤلاء الخمسة من خيار أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فاجتمع الخمسة في دار سليمان بن صرد وكان في الدار أكثر من مائة من فرسان الشيعة ووجوههم.

٣- كلام المسيب بن نجية:

بدأ المسيب بن نجية فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال: أما بعد فإننا قد ابتنينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتنة فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا من يقول له غداً ﴿أولئك نعمركم ما يَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَ كُمُّ الْتَّذِيْرُ﴾، فإن أمير المؤمنين عليه السلام قال: العمر الذي أعد الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فيما رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مُغْرِّمين بتزكية أنفسنا وتقرير شيعتنا حتى بلا الله أخبارنا فوجدنا كاذبين في موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا يسألنا نصره عوداً وبداء، وعلانية وسرأ، فيخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا، لا نحن ننصرنا بأيدينا، ولا جادلنا عنه بالاستئناف، ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصرة إلى عشيرتنا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قُتل فيها ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا والله لا عذر دون أن تُقتلوا قاتله والمولين عليه أو أن تُقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضي عنا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بأمن، أيها القوم وَلَوْا عَلَيْكُمْ رَجَلًا مِنْكُمْ فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه ورایة تحفون بها.

٤- كلام رفاعة بن شداد:

فقام رفاعة بن شداد بعد المسيب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الله قد هداك لأصوب القول ودعوت إلى أرشد الأمور، بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاحة على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك مستجاب لك، مقبول قوله، قلت: وَلَوْا أَمْرَكُمْ رَجَلًا مِنْكُمْ تفزعون إليه وتحفون برأيته، وذلك رأي قد رأينا مثل الذي رأيت، فإن تكون أنت ذلك الرجل تكون عندنا مرضياً وفينا متنصحاً وفي جماعتنا محبباً، وإن رأيت رأي أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا السابقة والقديم سليمان بن صرد محمود في أساسه ودينه والموثق بحرمه...

ثم تكلم الباقون بنحو هذا القول وتوافقوا الجميع فولوا عليهم سليمان بن صرد الخزاعي.

(١) تيم بكر بن وائل

٥- خطاب سليمان بن صرد:

قام فيهم سليمان بن صرد فخطب فيهم خطاباً كان شعاره للأيام التالية حيث جعل يردده كل جمعة حتى حفظه من حفظه، وفي هذا الخطاب:

... فإني والله لخائف ألا يكون أخْرَنَا إِلَى هَذَا الدَّهْرِ الَّذِي نَكَدْتُ فِيهِ الْمَعِيشَةَ، وَعَظَمْتُ فِيهِ الرِّزْيَةَ، وَشَمَلَ فِيهِ الْجُورُ أَوْلَى الْفَضْلِ مِنْ هَذِهِ الشِّعْيَةِ لَمَا هُوَ خَيْرٌ، إِنَّا كَنَّا نَمْدُ أَعْنَاقَنَا إِلَى قَدْوَمِ آلِ نَبِيِّنَا ﷺ وَنَمْنَبِيِّنَا النَّصْرَ وَنَحْثُمُ عَلَى الْقَدْوَمِ، فَلَمَّا قَدَمُوا وَنَبِيُّنَا وَعَزْجَنَا وَادَّهَا وَتَرَبَّصْنَا وَانْتَظَرْنَا مَا يَكُونُ حَتَّى قُتِلَ فِينَا وَلَدُ نَبِيِّنَا ﷺ وَسَلَّطَهُ وَعَصَارَتَهُ وَبِضُعْفَةِ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ إِذْ جَعَلَ يَسْتَصْرُخُ فَلَا يُصْرَخُ، وَيَسْأَلُ النَّصْفَ فَلَا يُعْطَاهُ، إِتَّخَذَهُ الْفَاسِقُونَ غَرْضاً لِلنَّبِيلِ وَدَرِيَّةً لِلرَّمَاحِ حَتَّى أَفْصَدُوهُ وَعَدُوَّاهُ عَلَيْهِ فَسْلُوبُهُ، أَلَا انْهَضُوا فَقَدْ سَخَطَ رَبُّكُمْ لَا تَرْجِعوا إِلَى الْحَلَائِلِ وَالْأَبْنَاءِ حَتَّى يَرْضِيَ اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا أَظْنَهُ رَاضِيًّا دُونَ أَنْ تَنْاجِزُوا مِنْ قَتْلِهِ أَوْ تَبِرُّوا، أَلَا لَا تَهَابُوا الْمَوْتَ فَوَاللَّهِ مَا هَابَهُ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا ذَلِّ...

٦- إِجَابَةُ الشِّعْيَةِ:

فاستجاب الشيعة لهذا النداء فقام خالد بن سعد بن نفیل فقال: والله لو علمت أن قتلي نفسي يخرجنی من ذنبي ويرضی عنی ربی لقتلتھا، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهینا عنه، فأشهد الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملکه سوی سلاحی الذي أقاتل به عدوی صدقة على المسلمين أقویهم به على قتال القاسبین.

فقال سليمان بن صرد: أخوکم هذا غداً فرئيس أول الأستنة، وقال له: أبشر بجزيل ثواب الله للذين لأنفسهم يمهدون.

ثم قام غيره فردد قوله، وأمرهم سليمان بجمع أموال من يريد التبرع عند عبد الله بن والي التميمي وذلك لتجهيز ذوي الخلة والمسكنة من الشيعة.

٧- استئناف الشيعة:

ثم إن سليمان بن صرد أمر بيت الدعوة بين الشيعة ومحبي أهل البيت علیهم السلام في الكوفة وغيرها فانتشر الدعاة هنا وهناك يدعون الناس إلى الثأر للدماء الحسين علیهم السلام، وكان في الدعاة رجال مفوّهون خطابةً وبلاجةً وقدرةً على اجتذاب الناس.

ويحکى أن من أبلغ الدعاء عبید الله بن عبد الله المري الذي قيل فيه: ما رأیت من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عبید الله بن عبد الله المري في منطق ولا عظة وكان إذا اجتمع إلى جماعة من الناس وعظهم وبدأ بحمد الله والثناء والصلاه على رسوله ﷺ ثم يقول: أما بعد فإن الله اصطفى محمداً ﷺ على خلقه بنبوته وخصه بالفضل كله وأعزكم باتباعه وأكركم بالإيمان به... فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها، وهل ذرية أحد من النبئين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ﷺ لا والله، ما كان ولا يكون، الله أنتم، ألم تروا وبلغكم ما اجترم إلى ابن بنت نيكم ﷺ، أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمتهم، واستضعافهم وحدتهم، وترميهم إيه بالدم، وتجرارهم على الأرض، لم يرقيوا فيهم ربهم ولا قرباته من الرسول ﷺ، اتخاذو للنبيل غرضاً، وغادروه للضياع جزراً، فللهم عينا من رأى مثله! والله حسين بن علي عليهما مَا ذُكرَ ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجد وحزم، ابن أول المسلمين إسلاماً، وابن بنت رسول رب العالمين ﷺ، قلت حماته وكثرت عداهه حوله، فقتله عدوه، وخذله وليه، فويل للقاتل، وملامة للمخاذل! إن الله لم يجعل لقاتلته حجة ولا لخاذله معذرة إلا أن يناصح الله في التوبة ويُقيل العثرة، إننا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل بيته عليهما مَا ذُكرَ وإلى جهاد المحليين والممارقين، فإن قُتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيته نبينا.

وكان رحمه الله يكرر هذا الخطاب كل يوم حتى حفظه العامة.

- استئناف شيعة المدائن:

ثم إن سليمان بن صرد كتب إلى سعد بن حذيفة بن اليمان رحمه الله بالمدائن كتاباً مع عبد الله بن مالك الطائي، وكان في هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم، أما بعد:

إإن الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً وأقبل منها ما كان منكراً... وشيعة آل نبيكم عليهم السلام نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم عليه السلام الذي دعي فأجاب، ودعا فلم يُجب، وأراد الرجعة فحبس، وسأل الأمان فمنع، وترك الناس فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه، ثم سلبوه وجردوه ظلماً وعدواناً وغرّة بالله وجهاً، وبعين الله ما يعلمون....

رأوا أن قد أخطئوا بخذلان الزكي الطيب وإسلامه وترك مواساته والنصر له خطأً كبيراً ليس لهم من مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفني على ذلك أرواحهم، فقد جد إخوانكم فجدوا وأعدوا واستعدوا، وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه، وموطننا يلقوننا فيه، فاما الأجل فغرة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، وأما الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخلية...

ثم حرضهم على التوبة ولو كان فيها حزُّ الرقاب وقتل الأولاد واستيفاء الاموال وهلاك العشائر، وذَّرُّهم ياخوانهم الذين استشهدوا قبلهم صلباً وصبراً وتمثيلاً.

وصل هذا الكتاب إلى سعد بن حذيفة فقرأه ويعشه إلى من كان بالمداين من الشيعة، وقال لهم: أما بعد فإنكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين عَلَيْهِ وقتل عدوه فلم يفجأكم أول من قتله، والله مثبكم على حسن النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسن المثوبة، وقد بعث إليكم إخوانكم يستجدونكم ويستمدونكم ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ، فماذا ترون؟ وماذا تقولون.

فأجابوا جميعاً: نجيدهم ونقاتل معهم، ورأينا في ذلك مثل رأيهم.

ثم كتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد كتاباً يخبره فيه بموافقتهم على القتال، وجاء في الكتاب:

ونحن جاؤنَّ مُجَدُّونَ مُعَدُّونَ مُسْرِجُونَ مُلْجَمُونَ نُنْتَظِرُ الْأَمْرَ وَنُسْتَمِعُ الدَّاعِيِّ، إِذَا جَاءَ الصَّرِيقُ أَقْبَلْنَا وَلَمْ نُعْرِجْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ.

٩- استنهاض شيعة البصرة:

ثم كتب سليمان بن صرد إلى المثنى بن محرّبة العبدى وهو شيخ الشيعة في البصرة يستنهضه على النصرة، وبعث الكتاب مع ظبيان بن عمارة التميمي من بني سعد فلما وصل الكتاب إلى المثنى بن محرّبة استجاب، وكتب إلى سليمان:

أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرّاته إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك، فنحن موافقك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت، والسلام.

وكتب بأسفل الكتاب:

على أتلع الهادي أجش هزيم
محش لنار الحرب غير سؤوم
ضروب بنصل السيف غير أثيم

تبصّر كأني قد أتيتك معلماً
بكل فتى لا يملأ الروع قلبه
أخي ثقة ينوي الإله بسعيه

١٠- إعلان الثورة:

استمر سليمان بن صرد وأصحابه دائبين يدعون الناس إلى أمرهم سرّاً إلى أن هلك يزيد بن معاوية بعد ثلاث سنوات وشهرين من استشهاد الحسين عليه السلام، فعند ذلك تعاظم أمر سليمان بن صرد وأصحابه واشهرت دعوتهم وأعلنوها علنًا على الشيعة وغيرهم، فاستجاب لهم ناس كثير أضعاف من كان استجاب لهم سرّاً قبل هلاك يزيد، وانتقض أمر والي الكوفة عمرو بن حرث المخزومي خليفة الخبيث عبيد الله بن زياد، فوثب به الناس وأخرجوه من القصر، واستمرت الأمور هكذا إلى أن أصبحت الكوفة في ولاء عبد الله بن الزبير وتولاهما من قبله عبد الله بن يزيد الأنصاري، ولم يكن أمره في الكوفة مستحكمًا.

في هذه الأحوال المضطربة مالت القلوب إلى رفع السيف والشروع في طلب الثأر، ثم بدأ الشيعة بزعامة سليمان بن صرد يرتفع صوتهم وتبدّر منهم بعض الأعمال الدالة على اشتداد عظمهم وتعاظم قوتهم وقوّة نفوذهم حتى أصبحوا يسعون خلف من يعثرون عليه من بنية أمية أو من أنسابهم أو أنساب عبيد الله بن زياد أو من شايعهم وبايّعهم على قتل الحسين عليه السلام فيقتلونه إذا قدروا على ذلك.

بل حاولوا في بعض الأيام أن يقتلوا عبيد الله بن زياد، وكادوا أن ينجحوا في ذلك إلا أن الحظ لم يحالفهم، وذلك أن الشيعة بزعامة سليمان بن صرد قد علمت من خلال عيونهم بالبصرة أن عبيد الله بن زياد ينوي ترك البصرة واللجوء إلى الشام، فخرج سليمان على رأس آلاف الفرسان فكمّنوا في الطريق بين البصرة والشام، ولكن كان عبيد الله بن زياد قد احتاط للأمر وأخبر عمر بن الحارود فشده وستره تحت بطن الناقة وجعل عليها القرب المنفوحة — ولكنها خالية من الماء — وجعل الناقة وسط التوّق، ولقد انطلت هذه الحيلة على فرسان الشيعة الذين فسّروا القافلة ولم يعثروا على ابن زياد.

١١- وفاق الشيعة والسلطة:

ولم يزل الشيعة يقومون بنحو هذه الأعمال حتى تحدّث الناس بالковفة أن الشيعة بزعامة سليمان بن صرد سيخرجون في الكوفة، فقام أميرها عبد الله بن يزيد الأنصاري فصعد المنبر

فخطب في الناس وكان في خطابه:

بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو، فقيل لي: زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي عليهما السلام، فرحم الله هؤلاء القوم، قد والله دللت على أماكنهم وأمرت بأخذهم، وقيل ابدأهم قبل أن يبدؤوك، فأبىت ذلك، فقلت: إن قاتلوني قاتلتهم، وإن تركوني لم أطلبهم، وعلام يقاتلوني !! فوالله ما أنا قاتلت حسيناً، ولا أنا من قاتله، ولقد أصبحت بمقتله رحمة الله عليه، فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينشروا ظاهرين ليسروا إلى من قاتل الحسين عليهما السلام فقد أقبل إليهم، وأنا لهم على قاتله ظهير، هذا ابن زياد قاتل الحسين عليهما السلام وقاتل خياركم وأمثالكم قد توجه إليكم، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبع، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن يجعلوها بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً... ثم استمر يحرضهم على قتال عبيد الله بن زياد.

ووافق الشيعة على هذا الطرح فأعلنوا عزهم على الخروج خارج الكوفة لقتال عبيد الله بن زياد، وكفوا السيف عن أهل الكوفة، وبهذا التوافق بين الشيعة بزعامة بن صرد وسلطة الكوفة بقيادة عبد الله بن يزيد الأنصاري تم السكون في الكوفة وخروج الشيعة ينشرون السلاح ظاهرين معلنين يتجهزون بآلة السلاح والكراع يجاهرون بالجمع والسلاح دون وقوع نكير من الشيعة على سلطان الكوفة ولا من سلطان الكوفة على الشيعة.

الباب الثالث

ثورة التوابين

١- خروج التوابين من الكوفة:

وفي الموعد المقرر أى غرةً ربيع الآخرة من سنة خمس وستين خرج سليمان بن صرد ومعه وجوه أصحابه حتى أتى النخيلة وهو المكان الموعود للإجتماع، فلم يعجه عدة الناس، فبعث حكيم بن منقذ الكندي في خيل، وبعث الوليد بن غصين الكناني في خيل، وقال لهما: إذهبا حتى تدخلوا الكوفة فناديوا: يا لثارات الحسين عليه السلام، وابلغا المسجد الأعظم فناديا بذلك، فذهبا ودخلوا الكوفة فكانا أول خلق الله دعوا: يا لثارات الحسين، وكان صوتاً مدوياً له وقع في نفوس الناس حتى قيل أن رجلاً من الأزد يُقال له: عبد الله بن خازم كان معه امرأته وكانت من أجمل الناس وأحجبهم إليه، فلما سمع صوت: يا لثارات الحسين عليه السلام، ولم يكن من استجاب للدعوة فوثب إلى ثيابه، فلبسها، ودعا بسلامه وأمر بإسراج فرسه، فقالت له امرأته: ويحك، أجيتنـت؟ قال: لا والله، ولكنـي سمعـت داعـي الله، فأـنا مجـبيـه، أنا طـالـب بـدم هـذا الرـجـل حتـى أـموـت أو يـقـضـي الله منـ أـمـرـي ما هو أـحـب إـلـيـه، فـقـالـتـ لهـ اـمـرـأـتـهـ: إـلـىـ منـ تـدـعـ بـنـيـكـ هـذـاـ؟ قـالـ: إـلـىـ اللهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، اللـهـمـ إـنـيـ أـسـوـدـعـكـ أـهـلـيـ وـوـلـدـيـ اللـهـمـ اـحـفـظـنـيـ فـيـهـ وـتـبـ عـلـيـ مـاـ فـرـطـتـ فـيـ نـصـرـةـ اـبـنـ بـنـيـكـ عليـهـ السـلامـ.

كما يحكي أن كرب بن مران كان في المسجد يصلّي فسمع: يا لثارات الحسين عليه السلام فقال هو: يا لثارات الحسين، أين جماعة القوم، فقيل له: بالنخيلة، فخرج حتى أتى أهله، فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته واسمها الرواء، فقالت: يا أبتي مالي أراك تقلدت سيفك ولبست سلاحك، فقال لها: يا بنتي، إن أباك يغفر من ذنبه إلى ربّه، فأخذت تتّحب وتبكي، ثم ودعهم ولحق بالقوم.

وهكذا ما زالوا ينادون: يا لثارات الحسين حتى بعد صلاة العشاء واستجابة لهذا النداء عدد من كان في النخيلة وفي الصباح كان العدد أربعة آلاف فارس فقال سليمان بن صرد:

سبحان الله ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألف، وأرسل رسله إلى الذين تخلفوا عنه يذكرهم الله وما أعطوه من العهود والمواثيق فوافاه نحواً من ألف رجل.

٢- قرار المسير:

وما لبث سليمان بن صرد أن عزم على المسير بمن معه فقام في الناس متكتئاً على قوسه، وقال:

أيها الناس من كان إنما أخرجته إرادة الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه وحرمة الله عليه حيا وميتا، ومن كان إنما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتي فيئنا نستفيه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان رب العالمين، وما معنا من ذهب ولا فضة، ولا خز ولا حرير، وما هي إلا سيفنا في عوائتنا، ورماحنا في أكفنا، وزاد قدر البلوغة إلى لقاء عدونا.

فقام أصحابه يتندرون من كل جانب: إننا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا، ما أخرجنا والله إلا التوبة من ذنوبنا والطلب بدماء أهل بيته نبينا صلوات الله عليه، وقد علمنا بأننا إنما نقدم على حد السيف وأطراف الرماح.

فقال لهم سليمان: رحmkم الله، فعليكم بطول الصلاة في جوف الليل وذكر الله كثيراً على كل حال، وقربوا إلى الله تعالى بما استطعتم.

٣- إقتراح جديد:

تقدّم عبد الله بن سعد بن نفیل إلى سليمان بن صرد وعنده رؤوس أصحابه فقال له: إنما خرجنا نطلب بدم الحسين صلوات الله عليه، وقتلة الحسين صلوات الله عليه كلهم بالكوفة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ورؤوس الأربع وأشراف القبائل فأنّي نذهب ههنا وندع الأقفال والأوتار، وقد أعجب هذا الرأي جماعة من أصحاب سليمان بن صرد وكادوا أن يميلوا إليه إلا أن سليمان بن صرد أصرّ على المسير إلى عبيد الله بن زياد رأس القتلة وأميرهم قاتلاً: ... فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده اهون شوكة منه.

٤- إقتراح السلطان:

ثم جاء أمير الكوفة عبد الله بن يزيد الأنصاري إلى سليمان بن صرد في النخلة وعرض عليه البقاء معه للقتال معاً قاتلاً:

أنت إخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدوا علينا برأيكم ولا تنصعوا عدتنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسّر ونهيأ، فإذا علمينا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم، فأبى سليمان بن صرد إلا تعجيل المسير بأصحابه.

ثم عرض عليه عبد الله بن يزيد عرضاً آخر أن ينتظر حتى يرسل معه جيشاً كثيفاً فأبى سليمان إلا أن ينفرد بمن له هذه الغاية وهي ثارات الحسين عليه السلام.

٥- إعلان المسير وبدايته:

ثم إن سليمان بن صرد عزم على المسير فخطب الناس وحضرهم على ذكر الله والعبادة وطول الصلاة في جوف الليل والتقرب إلى الله بكل خير وأخبرهم عن عزمه المسير ليلاً إلى دير الأعور.

سارت الجموع من النخلة إلى دير الأعور، ثم من دير الأعور إلى أقسام مالك على شاطئ الفرات، فعرض الناس فرأى أن قد نقصوا نحو من ألف رجل، فقال ابن صرد: ما أحب أن من تخلف عنكم معكم، ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خجالاً، إن الله عز وجل كره ابعائهم فبغضهم وخصومهم بفضل ذلك فاحمدوا ذلك.

ثم ساروا ليلاً من أقسام مالك فأصبحوا صباحاً عند قبر الحسين عليه السلام.

٦- عند قبر الحسين عليه السلام:

لما انتهت جموع التوابين إلى قبر الحسين عليه السلام بكوا بأجمعهم ورفعوا أصواتهم ورموا أنفسهم عن دوابهم ونادوا صيحة واحدة:

اللهم ارحم حسيناً عليه السلام الشهيد ابن الشهيد، المهدى ابن المهدى، الصديق ابن الصديق، يا رب إننا قد خذلنا ابن بنت نبينا عليه السلام، فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا إنك التواب الرحيم، وارحم حسيناً عليه السلام وأصحابه الشهداء الصديقين، وإننا نشهدك يا رب أننا على مثل ما قتلوا عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين، وما زالوا يومهم على قبر الحسين عليه السلام ي يكون ويثنون ويتمنون أن يكونوا أصيروا معه، فما رأى يوم كان أكثر باكيًّا من هذا اليوم.

وقال سليمان بن صرد: اللهم ارحم حسيناً عليه السلام الشهيد ابن الشهيد، المهدى ابن المهدى،

الصديق ابن الصديق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتلهم وأولئك محببهم.

٧- وداع الحسين عليهما السلام:

استمرروا بالبكاء والتحيب والتضرع يوماً وليلة حتى أصبحوا وصلوا الغداة عند قبر الحسين عليهما السلام، فأمرهم سليمان بن صرد بالمسير، فجعل الرجل منهم لا يسير حتى يأتي قبر الحسين عليهما السلام فيقوم عنده ويترحم عليه ويستغفر له حتى ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود، وهم يقولون:

اللهم إنا خرجنا من الديار والأموال وفارقنا الأهلين والأولاد، نريد جهاد الفاسقين المحنين الذين قتلوا ابن نبيك عليهما السلام فتب علينا وارزقنا الشهادة...

وكان سليمان بن صرد والمسيب بن نجية عند القبر كلما دعا قوم وترحموا على الحسين عليهما السلام قال لهم: إلحقوا يا إخوانكم، مما زال الحال كذلك حتى بقي نحو ثلاثة من أصحابه، فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال:

الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين عليهما السلام، اللهم إذا حرمتناها فيه بعده.

ثم قال عبد الله بن وال: إني لأظن حسينا عليهما السلام وأباه عليهما السلام وأخاه عليهما السلام أفضل أمة محمد وسيلة عند الله يوم القيمة، أما عجبتم لما ابتنيت به هذه الأمة منهم، إنهم قتلوا اثنين وأشرفوا بالثالث على القتل.

فقال المسيب بن نجية: فإنّ من قتلهم ومن كان على رأيهم بريء إياهم أعادي وأقاتل.

فقال المثنى من مخربة: إن الله جعل هؤلاء الذين ذكرتهم بمكانتهم مع نبيهم عليهما السلام أفضل من هو دون نبيهم عليهما السلام، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ومنهم براء، وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال إرادة استتصال من قتلهم، فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يتحقق علينا طلبه حتى نناله فإن ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة.

ثم تكلم كل واحد منهم بنحو ذلك وودعوا القبر وساروا وقام وهب ابن زمعه الجعفي على قبر الحسين عليهما السلام باكيًا قائلاً:

والله ما أشك أن صاحب القبر هو وحده وأمه وأخوه أفضل عند الله وسيلة يوم القيمة من جميع الخلق، ألم تروا إلى ما فعل به وبأهل بيته المخلون، ولم يراقبوا فيه من ربه، ولا قرابته من نبيه، لكنهم جعلوه للنبيل غرضاً، وغادروه لملك باع مطعماً، فلله الحسين والله يوم الحسين، لقد عاينوا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر، وعفاف وبر، وذا بأس ونجدة، وأمانة وشدة، فهو ابن أول المؤمنين، وابن بنتنبي رب العالمين، قلت حماته، وكثرت عداته فويل للقاتل وللامة للمخاذل.

ثم أنسد وهو يودّعه أبياتاً لعبد الله ابن الحر الجعفي يقول:

وبالطف قتلى ما ينام حميمها تأمر نوكاها ودام نعيمها إذا اعوج منها جانب لا يقيمها وعيني تبكي لا يجف سجومها يذل لها حتى الممات قرومها	تبيت الشناوى من أمية نوماً وما ضيَّع الإسلام إلا قبيلة وأضحت قناة الدين في كف ظالم فأقسمت لا تنفك نفسى حزينة حياتي أو تلقى أمية خزية
--	--

- التوابون في الطريق:

سارت جموع التوابين من كربلاء فلزموا الطريق الأعظم فارتजز بعضهم يقول:

يحملن منا فتية أبطالاً والخفرات البيض والمحجالا الفاسقين الغدر الصلالا ونأمن العقاب والنكالا	خرجن يلمعن بنا إرسالاً وقد تركنا الأهل والأموالا تزيد أن نلقى بها إقبالاً لنرضي المهيمن المفضلا
---	--

واستمرت كتابة التوابين تسير إلى الجصاصة ومنها إلى الأنبار ثم وصلوا الصدود ثم القيارة، وفي القيارة وصل إلى سليمان بن صرد كتاب من والي الكوفة عبد الله بن يزيد يكرر في الكتاب دعوته جماعة التوابين أن ينضموا إلى جيشه، وفي الكتاب:

يا قومنا لا تُطِّمعوا عدوكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم، ومتى ما يُصْبِكم عدوكم

يعلموا أنكم أعلام مصر كم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم، ... يا قوم إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإن عدونا وعدوكم واحد، ومتنى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا...

رفض التوابون هذا العرض الذي سبق وأن رفضوه قبلًا في الكوفة وفي النخيلة، ورفضه سليمان، فقال: والله إنكم لم تكونوا قط أقرب من إحدى الحسينين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل، إنما وهؤلاء مختلفون، إن هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً...

ثم كتب سليمان إلى عبد الله بن يزيد كتاباً يعلمه رفضهم لعرضه وفيه: إننا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه: **لَوْلَاهُ اللَّهُ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفَسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَحَّةَ يُقْدِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًا فِي الْتَّرْكِيَّةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَسْبَبَ شَرٍ وَأَبْيَعَكُمُ الَّذِي بِأَيْمَنِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** **الْتَّيِّبُونَ الْمَعْدِلُونَ الْمُتَّهِّدُونَ الْمَتَّهِّرُونَ الْرَّاكِعُونَ الْمَسْدِيدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْأَتَاهُورُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُخْفِظُونَ لِمُذْدُودِ اللَّهِ وَشَرِّ الْمُؤْمِنِينَ** **هُمْ** إن القوم قد استبشروا ببعضهم الذي يابعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا إلى الله وتوكلاوا عليه ورفضوا بما قضى الله **لَهُ زَرِّيَّا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَتَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْعَصِيرُ** **هُمْ**، والسلام عليك.

فلما وصل الكتاب إلى والي الكوفة وقرأه قال: استمات القوم، أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم، وايم الله ليقتلن كراماً مسلمين...

٩- التوابون في قرقيسيا:

ثم سار القوم إلى مدينة هيت، ومنها وصلوا إلى قرقيسيا وعليها زفر بن الحارت الكلابي، فوجدوا أهلها قد تحصنوا منهم ولم يخرجوا إليهم، فبعث سليمان بن صرد المسيب بن نجية فقال له: ائت ابن عمك - أي زفر بن الحارت - فقل له: فليخرج إلينا سوقاً فإننا لسنا إيه نزيد، إنما صمدنا لهؤلاء المحليين، فخرج المسيب من نجية حتى انتهى إلى باب قرقيسيا، فقال: افتحوا الباب، فمن تحصنون!! فقالوا: من أنت، قال: أنا المسيب بن نجية، فأتى الهذيل بن زفر بن الحارت إلى أبيه فقال له: هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك وسألاته من هو، فقال: المسيب بن نجية، فقال زفر لابنه الهذيل: أما تدربي يابني من هذا، هذا فارس مضر الحمراء كلها، وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم، وهو بعد رجل ناسك له دين، إذن له، فأذنوا

له، فدخل على زُفر فأجلسه إلى جانبه وسأله وألطفه في المسألة، وقال للمسيّب: إنما لم تغلق أبواب هذه المدينة إلا لعلم إيانا اعترفتم أم غيرنا، إنما والله ما بنا عجز عن الناس مالم تذهبنا حيلة، وما نحب أننا بلينا بقتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسن جميلة، ثم أمر بإخراج السوق وأمر للمسيّب بألف درهم وفرس، فقال المسيّب: أما المال فلا حاجة لي فيه، والله ما له خرجننا، ولا إيه طلبنا، وأما الفرس فإني أقبله لعلي أحتاج إليه إن ظلم فرسي أو غمز تحتي.

ثم إن زفر بن الحارث استضاف القوم وقدم لهم ما يلزمهم وخرج إلى سليمان بن صرد ليشيعه وأصحابه فقال له: قد جاؤوكم (أهل الشام) في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحدٌ حديد، وأيم الله لقل ما رأيت رجالاً هم أحسن هيئة ولا عدة ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك، ولكنه قد بلغني أنه قد أقبلت إليكم عدة لا تحصى.

فقال ابن صرد: على الله توكلنا وعلى الله فليتوكل المتكلون.

١٠- التهيئة للحرب:

ثم إن زفر عرض على سليمان أن يبقى معه في قرقيسيا ليقاتلا معاً جيش أهل الشام الآتي بقيادة عبيد الله بن زياد فأبى سليمان إلا المسير فودعه ونصحه بما ينفعه في قتال أهل الشام، ونصحه بأن يسبقهم إلى عين الوردة ويعسّر هناك، ويقاتلهم هناك، وقبل سليمان هذه النصيحة، فعَبَّا جيشه كتائب كما قال له زفر ثم جدَّ السير إلى عين الوردة، فوصلها قبل أهل الشام، فعسّر في غربيها وأقام بها خمساً لا يبرح حتى اطمأنوا واستراحوا حتى اقترب جيش أهل الشام، فقام سليمان بن صرد في عسّكره يحرّضهم على الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة والإخلاص في الحرب التي سعوا إليها، ثم قال لهم: إن أنا قتلت فأمير الناس المسيّب بن نجية، فإن أصيّب المسيّب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قُتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال، فإن قُتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعة بن شداد.

١١- وقوع الحرب:

ثم إن سليمان بن صرد أرسل المسيّب بن نجية في أربع مائة فارس ثم قال له: سر حتى تلقى أول عسّكر من عساكرهم فشنّ فيهم الغارة.

سار المسيّب مع فرسانه فكان أول عسّكر هو عسّكر ذي الكلاع الحميري، فما شعروا إلا والفرسان في عسّكرهم وهم غارون مما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا فقتلوا منهم رجالاً

وجرحوا فيهم جراحات كثيرة وغنموا العسكر وانصرفوا إلى سليمان بن صرد، وكانت هذه الغارة الأولى التي انتصر فيها التوابون.

وصل الخبر إلى قائد جيش أهل الشام وهو عبيد الله بن زياد، فأرسل الحسين بن نمير على رأس إثنى عشر ألف مقاتل، فجاء مسرعاً فاصطف الجيشان متقابلين فدعوا أهل الشام إلى بيعة عبد الملك بن مروان، ودعا التوابون إلى قتل عبيد الله بن زياد وبيعة أهل بيت النبي ﷺ، فرداً كلّ من الجيшиين دعوة عدوه، ثم حملوا على بعضهم والتجمّع الجيشان وكانت الدولة للتوابين حتى تراجع جيش الشام إلى معسكره، وما زال الظفر عاملاً اليوم حليف التوابين حتى حجز الليل بينهما.

١٢- اليوم الثاني:

فلما كان من صبيحة اليوم الثاني أقبل ابن ذي الكلاع بثمانية آلاف فانضم إلى الحسين بن نمير فأصبحا جيشاً واحداً عشرين ألف مقاتل بقيادة ابن نمير، ثم حملوا على التوابين، وحمل التوابون عليهم، فوقع عامة اليوم قتال مهول لم ير الشيب والمرد مثله، وكان في التوابين رجال يمرون بين الصفوف يحرّضون على القتال ويذكرون بالله وبلقاء الأحبة في الجنة والراحة من الدنيا، ولم يكن في هذا اليوم دولة لأحدهما حتى حجز الليل بينهما فتحاجزا.

١٣- اليوم الثالث:

فلما كان من صبيحة اليوم الثالث وهو يوم الجمعة أقبل أدهم بن محزب الباهلي في عشرة آلاف فانضم إلى ابن نمير فأصبحوا ثلاثين ألفاً يمددُهم من خلفهم عشرات الآلاف بقيادة عبيد الله بن زياد، وفي رواية أبي مخنف أن جيش عبيد الله بن زياد كان ثلاثة مائة ألف فارس، وكانت الفرقة المواجهة للتوابين عددها مائة ألف.

١٤- شهادة سليمان بن صرد:

وكيف كان فقد حمل أهل الشام على التوابين في قتال شديد ظهر فيه أهل الشام لكثرةهم، فأحاطوا بالتوابين من كل جانب وحينها نزل سليمان ابن صرد فنادي: عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبية من ذنبه والوفاء بعهده إلى، ثم كسر جفن سيفه - وهذه علامة الاستماتة عند العرب - وتقدم نحو أهل الشام وهو يقول:

وقد علاني في الورى مشيبي

إليك ربي تبت من ذنبي

فارحم عييضاً غير ما تكذيب

فجاءه ناس كثيرون فنزلوا عن خيولهم وكسروا جفون سيوفهم ومشوا مصلتين سيفهم نحو أهل الشام، فقاتلوا مستميتين فاستشهد سليمان بن صرد رحمة الله.

١٥- شهادة المسيح بن نجية:

فأخذ الرأبة المسيح بن نجية وقال لسليمان بن صرد: رحمك الله يا أخي لقد صدقت ووفيت بما عليك، وبقي ما علينا، ثم شد على أهل الشام كرات عدة حتى استشهد، وكان قاتله مشهوداً حتى قبل فيه: والله مارأيت أشجع منه إنساناً قط ولا من العصابة التي كان فيها... وما ظنت أن رجالاً واحداً يقدر أن يبني مثل ما أبلى ولا ينكر في عدوه مثل ما نكر، وكان يقول قبل مقتله:

واضحة اللبات والترائب

قد علمت ميالة الذواب

أشجع من ذي ليد موائب

أني غدة الروع والتغالب

قطاع أقران مخوف الجانب

١٦- شهادة عبد الله بن سعد:

ثم أخذ الرأبة عبد الله بن سعد بن نفيل فقال: أخوي، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظرون ما بدّلوا تبديلاً، وفي الأثناء وصل مائة وسبعين مقاتلاً مقدمة التوابين من أهل المدائن فقالوا: أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة، فقال لهم عبد الله بن سعد: ذلك لو جاؤونا ونحن أحياء، ثم حمل على أهل الشام فطعن فيهم وهو يقول:

ولا تؤاخذه فقد أناها

ارحم إلهي عبدي التوابا

يرجو بذلك الفوز والثوابا

فارق الأهلين والأحبابا

ثم شد فقاتل حتى استشهد رَحْمَةَ اللَّهِ.

١٧- شهادة عبد الله بن وال:

وأخذ الرأبة عبد الله بن وال، فقال: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حزن، فليقرب إلى ربه بجهاد هؤلاء المحلين

والروح إلى الجنة رحمة الله ﷺ **وَلَا تَحْسِنَ أَنَّيْنَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ** ﴿١٣﴾ فِرَحِينَ بِمَا مَاتُوهُمْ أَهَمُّ مِنْ فَضْلِهِ وَيُسْتَبِّشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَثُونَ ﴿١٤﴾ الآية، ثم قاتل حتى كشف أهل الشام وهو يقول:

وصابروهم واحذروا النفاقا

نفسی فذاکم أذکروا المیثاقا

لا بل نريد الموت والعتاقا

لا کوفة نبغی ولا عراقا

ثم کشفوه واستشهدوا بِخَلْقِهِمْ.

ويروي أبو مخنف أن خسائر أهل الشام في هذه الوقعات الرهيبة كانت ما يزيد عن ستين ألف فارس، وأما شهداء التوابين فكانت ما يقارب الاربعة آلاف رحمهم الله جميعاً.

١٨- قرار الانسحاب:

عندما استشهد ابن وال أخذ الرایة رفاعة بن شداد الذي كان يرى ضرورة الإنسحاب من المعركة ونصحه عبد الله بن عوف بن الأحمر بالصمود إلى الليل فينسحبون تحت غطاء الليل فيأخذون جراحهم ويسيرون العشرة والعشرون، فاتبع رفاعة بن شداد هذه النصيحة وعمل بها.

حاول أهل الشام استصالهم قبل الليل وجهدوا في هذا السبيل إلا أن التوابين صمدوا و كانوا فرساناً أشداء فصمدوا إلى العشاء.

١٩- قرار المستميتين:

ولكن في التوابين جماعات رفضوا الانسحاب، واستماتوا حين علموا بقرار الإنسحاب:

١: ومن هؤلاء الوليد بن غصين الكناني الذي رفض أن يمسك الرایة فقال لرفاعة بن شداد: إني أريد لقاء ربى واللحاق بإخوانى والخروج من الدنيا إلى الآخرة... ثم قاتل مع أصحابه يعنفهم على الصمود والبقاء حتى الليل وقاتل حتى قتل قبل الانسحاب.

٢: ومن هؤلاء المستميتين الذين رفضوا الانسحاب فارس منبني كندة اسمه عبد الله بن عزيز الكندي (الكناني) وكان معه ابنه محمد غلام صغير فتقدم فنادى أهل الشام فقال: يا أهل الشام هل فيكم أحد من كندة (كنانة)؟، فخرج إليه رجال فقالوا: نعم نحن هؤلاء، فدفع إليهم ابنه وقال لهم: دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالکوفة فأننا عبد الله بن عزيز

الكندي، فقالوا له: انت ابن عمنا فإنك آمن، فقال لهم: والله لا أرحب عن مصارع إخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللأرض أوتادا وبمثلكم كان الله يذكر، عندما قال هذا القول أخذ ابنه الصغير يبكي في أثر أبيه، فقال: يابني، لو أن شيئاً كان آخر عندي من طاعة ربى إذاً لكتت أنت، عند ذلك اشتد جزع ابنه وبكاؤه، فناشده قومه الشاميون أن يعود عن نيته حتى أخذتهم الرقة وبكوا وجزعوا، ولكنه اعتزلهم وشدّ على الصفوف فقاتل حتى قتل رحمه الله تعالى وأرضاه.

٣: ومن هؤلاء المستميتين كريب بن زيد الحميري كان معه راية بلقاء على مائة فارس بلغه عزم رفاعة بن شداد على الإنسحاب ليلاً فجمع أصحابه من حمير وهمدان، فقال لهم: عباد الله، روحوا إلى ربكم، والله ما من شيء من الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة إليه، إنه قد بلغني أن طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجو منه إلى دنياهم، وإن هم ركعوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم، فأما أنا فوالله لا أولي هذا العدو ظهري حتى أود موارد إخواني، فأجابوه وقالوا: رأينا مثل رأيك، فحملوا الراية ومضوا متقدماً نحو أهل الشام فأرأى الراية من أهل الشام ابن ذي الكلاع الحميري، فقال: والله إنني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية، فاقترب من الراية فسألهم فأخبروه، فقال لهم: إنكم آمنون، فقال له كريب ابن زيد، إننا قد كنا آمنين في الدنيا وإنما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوا حتى قتلوا رحهم الله جميعاً.

٤: ومن هؤلاء المستميتين الذين رفضوا الانسحاب صُحْير بن حذيفة بن هلال المزنبي في ثلاثة مقاتل من مزينة فقال لهم: لا تهابوا الموت في الله فإنه لا ينفعكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقى لكم، ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإن ما عند الله خير لكم، ثم حمل أمام قومه، وهو يقول:

بؤساً وتعساً لهم وحينما

بؤساً لقوم قتلوا حسيناً

ولم يخافوا بغيهم علينا

أرضوا يزيد ثم لاقوا شيئاً

ثم تقدموا فقاتلوا حتى قتلوا رحهم الله تعالى جميعاً.

٥: ومن هؤلاء المستميتين رجل من مزينة اسمه عبيدة بن سفيان المزنبي انسحب مع المنسحبين، فلما غفل أصحابه عنه عاد راجعاً، فشدّ على أهل الشام بسيفه يقاتلهم وهو يقول:

رضوانك اللهم أبدى وأسر

إني من الله إلى الله أفر

وكان معرقاً فرسه، فقالوا له: مَنْ أنت؟، فقال: من بني آدم، فقالوا له: مَنْ؟، فقال: لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفوني، يا مخربَيَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فقاتلهم، فشدوا عليه من كل جانب وشد عليهم كأسد رجل حتى قُتل رَحْمَهُ اللَّهُ، فعرفه رجل من أهل الشام، فقال لهم: ويحكم، هذا فارس مزينة قاطبة.

ومن هؤلاء المستيميين عبد الله بن غزية الذي وقف على القتلى وهو يهم بالإنسحاب: فخاطب القتلى من إخوانه وقال: يرحمكم الله فقد صدقتم وصبرتم، وكذبنا وفررنا، ثم سار منسحاً مع الناس حتى الصباح وإذا به مع عشرين رجلاً قد أرادوا الرجوع إلى العدو والاستقال، فجاء إليه رفاعة بن شداد وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس، فقالوا له ولأصحابه: نند لكم الله ألا تريدونا فلوًّا ونقضاناً فإنما لا نزال بخير ما كان فيما مثلكم من ذوي النبات، ولم يزالوا ينادونهم حتى ردواهم بما كانوا قد عزموا عليه من العودة فبقاء مع المنسحيين.

٢٠- إنسحاب الفلول:

وهكذا عندما جنَّ الليل وحجز بين الفريقين انسحب رفاعة بن شداد فيمن بقي معه من الفرسان، وذلك بعد أن دفعوا قتلامهم وسروا عليهم الأرض حتى لا تميز القبور فلا تعرف خشية من أن يعمد أهل الشام إلى نسبيها وأخذها.

وحمل الذين عُقر بهم أو الجرحى وسار بالقوم متسلِّطاً بالليل، وسار كل الليل والصبح وكان يعبر المعابر ولا يمضي على معبر إلا قطعه خلفه، فلم يزل كذلك مجدداً حتى وصل فرقيسيا فاستضافهم زفر بن الحارث الكلابي كما استضافهم عند ذهابهم. ثم رجع كل رجل إلى قومه.

ويروى أن جماعة شهداء التوابين في هذه المعركة الكريمة قد بلغوا قريباً من ثلاثة آلاف شهيد، وأما الناجين المنسحبين من جيش التوابين فقد بلغوا سبع مائة رجل بمن فيهم الجرحى والمرتدين، ثم ما لبث أن مات منهم متأثراً بجراحه ما يقارب المائتين، وما بلغ الكوفة من التوابين إلا خمس مائة رجل، والأمر لله تعالى من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبهذا يكون قد انتهى فصل من أروع فصول التوبة والندم في هذه الأمة على مقتل سيد الشهداء سبط رسول الله الحسين بن علي عليه السلام.

وكان هؤلاء الذين استشهدوا من أكابر رجال الكوفة وأفضالهم وفرسانهم وشجعانهم وأبطالهم وأهل الدين المستبصرين، ولا أرى أنا العبد القاصر إلا أن الله تعالى وهو الكريم الغفور قد غسل بدمائهم التي أرقوها في عين الوردة ذنبهم في تخاذلهم عن نصرة الحسين عليهما السلام في كربلاء إن كانوا من المتخاذلين، فصلى الله عليهم وحشرهم مع سيدهم ومولاهם الذين غضبوا له، وسائل الله أن يختم لنا بشهادة تلحقنا بسيدنا ومولانا الحسين بن علي وأصحابه صلوات الله تعالى عليهم.

الفصل السادس

ثورة المختار والأخذ بالثار

الباب الأول

تاريخ المختار

١- الإخبار بالمخтар:

روي في الأخبار أن الحسين عليه السلام خطب بالقوم يوم عاشوراء يحذرهم وينذرهم، فقال عليه السلام في خطبته:

... ألا ثم تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم الرحى، عهد عهده إلى أبي عن جدي عليه السلام، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جمِيعاً فلا تنظرون إني توكلت على الله ربِّي وربِّكم وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربِّي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كنسني يوسف عليه السلام، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتلها، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي وأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرُونا وكذبونا وخذلونا.

سلام الله عليك يا أبا عبد الله، فقد استجاب العلي الأعلى لكلامك فلم تنقض السنين حتى بعث الله تعالى غلام ثقيف - أعني المختار ابن أبي عبيدة الثقفي - فانتقم منهم كما ستأريك أخباره، وإليك التفصيل:

٢- المختار مع مسلم بن عقيل:

المختار بن أبي عبيدة الثقفي كان عمره يومئذ ستين عاماً، وكان من أعيان قومه ورجالاتهم، وكان من بايع مسلم بن عقيل حين أوفده الحسين عليه السلام، وقد نزل مسلم بن عقيل حين نزل الكوفة في دار المختار، وكان المختار مناصحاً لمسلم بن عقيل في دعوته ولكنه كان يوم خروج مسلم بن عقيل خارج الكوفة في قرية تدعى لقفا، وكان خروج مسلم بن عقيل وإعلانه الحرب على عبيد الله بن زياد فجأة على غير ميعاد، وعندما وصل الخبر إلى المختار أقبل في جماعته ومواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء، فوصلها بعد الغروب وكان

مسلم قد اختفى حينها، فوقف المختار على باب من أبواب المسجد واسمه باب الشaban، ويقال له بباب الفيل، لا يدرى ما يصنع فأشاروا عليه بالسكون فسكن، فجاء إلى عمرو بن حرث صاحب راية عبيد الله بن زياد فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح، وذلك أن أخذ له الأمان من عمرو بن حرث على أن يشهد له عند عبيد الله بن زياد ويسفع له عنده.

٣- المختار عند ابن زياد:

وبعد ارتفاع النهار فتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس، فدخل المختار فيمن دخل، فدعاه عبيد الله بن زياد فقال له: أنت المقيل في الجموع لتنصر ابن عقيل، فقال له: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حرث وبت معه وأصبحت معه، فقال عمرو بن حرث: صدق، فرفع عبيد الله بن زياد القضيب وضرب به وجه المختار فخطب به عينه فشرها، وقال له: أولى لك، أما والله لو لا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، ثم أمر به إلى السجن.

وروى محمد بن إسحاق أن عبيد الله بن زياد قام على منبر الكوفة بعد عاشوراء مزهوًا بنصره واستباب الأمر له، فصعد على منبر الكوفة وبيده عمود من حديد، فخطب الناس، وقال في خطبته: الحمد لله الذي أعزَّ يزيد وجيشه بالعز والنصر، وأذلَّ الحسين وجيشه بالقتل، فقام إليه المختار فقال له: كذبت يا عدو الله وعدو رسوله، بل الحمد لله الذي أعزَّ الحسين وجيشه بالجنة والمغفرة، وأذلَّ يزيد وجيشه بالنار والخزي، فحذفه ابن زياد بعمود الحديد فكسر جبينه، وقال لجلاؤته: خذوه، فأخذوه، فقال له الناس: أيها الأمير: هذا المختار، وقد عرفت حسبه ونسبة، وختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبد الله بن عمر، فأوجس في نفسه خيفة، فحبس المختار ولم يجرئ على قتله.

٤- المختار في السجن:

يروي ابن نما وغيرة أن عبيد الله بن زياد أمر بالمخutar وعبد الله بن العارث بن عبد المطلب المعروف (ببيه) إلى الحبس، فلما أدخلوهما إلى الحبس التقى في الحبس بميش التمار عليه السلام وهو من خاصة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن اغترف من عجائب علم علي عليه السلام، فقال ميش للمختار: أنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فقتل هذا الذي يريد قتلنا، وتطأ بقدميك على وجنتيه، ويروى أن بيته علم في هذا السجن أنه لن يموت وأنه سيقى حتى يلي أمر البصرة، وهذا ما حدث.

بقي المختار في السجن إلى حين قُتل الحسين عليه السلام وأحضرت السبايا إلى مجلس عبيد الله بن زياد، فأمر ابن زياد بإحضار المختار، فلما أحضر المختار ورأى السبايا على هيئة منكرة

زفر زفراً شديدة وجرى بينه وبين ابن زياد كلاماً أغاظ في المختار، فغضب ابن زياد فأرجعه إلى السجن وعزم على أن يقيمه في السجن إلى أن يموت فيه، فجعله في السجن في طامورة تحت الأرض بعشرين ذراعاً، مغلولة يده إلى عنقه، لا يستطيع الإلتفات يميناً ولا شمالاً بسبب القيد وهو مع ذلك قد اسود وجهه وهو جريح وجرحه يخرج القيح.

بقي المختار في سجن عبيد الله بن زياد، وكان ابن زياد لا يشك أنه يموت في حبسه، وقد جهد المختار في إيصال خبره إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب ليشفع له ويسعى في إخراجه من هذا السجن ولم يجد إلى ذلك حيلة حتى يسر الله له قضاء حاجته في قصة^(١) طريفة أدت إلى أن يشفع فيه صهره وزوج اخته عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى يزيد

(١) ملخص هذه القصة الطريفة التي رواها أبو مخنف أنه كان في الكوفة معلم صبيان ذو عقل وأدب وكان موالي لأهل البيت (عليهم السلام) فشرب الماء مرة فقال: اللهم العن من قتل الحسين (عليه السلام) ومن منعه من شرب الماء، وكان في جملة الصبيان الذين يتعلمون عند هذا المعلم ولد سنان بن أنس النعفي الملعون، فلما سمعه قال: هكذا تسب الخليفة وتلعن الأمير عبيد الله بن زياد، ثم ما لبث الصبي أن جرح نفسه بسكين وفضح رأسه بحجر وخضب وجهه بالدم، ثم مضى إلى أمه فلما رأته أمره صرخت وسألته فقال: إن المعلم شرب الماء ولعن الخليفة ولعن الأمير عبيد الله بن زياد فلما لمته على ذلك فعل بي ذلك، فما كان من أمه إلى أن أخذته بهذا الحال إلى دار ابن زياد صارخة حتى خرج سنان بن أنس وأخبرته الخبر فأدخله على ابن زياد وحكي له، فأمر ابن زياد بإحضار المعلم مكتوف اليدين مكشوف الرأس، فأحضروه على هذا الحال ثم أمر به إلى السجن حتى يسأل الشهود. فأمر أن يجعلوه في الطامورة وكان لها ثلاثة أبواب تحت الأرض على كل باب قفل يُقفل ويُختبم بخاتم عبيد الله بن زياد. قال المعلم -واسمه عمير بن عامر الهمданى - وهو يروى القصة: أدخلوني الباب الأول والثانى حتى نزلت تحت الطامورة بعشرين ذراعاً، فلما نزلت لم أبصر شيئاً، فصبرت ساعة حتى أضاء بصري فرأيت قوماً يستغيثون فلا يغاثون، وسمعت في آخر الطامورة أنيئاً عالياً، فأخطبـت الرقب حتى وصلت إلى الأنين وإذا برجل مقيد، مغلولة يده إلى عنقه، وهو جالس لا يقدر أن يلتفت يميناً ولا شمالاً، وهو يتنفس الصعداء، فسلمت عليه فرداً على السلام، ورفع رأسه ونظر إلى، وإذا بشعره قد خططى عينه ووجهه، فقلت: يا هذه، ما الذي جنت حتى نزلت بك هذه المصيبة، فقال: استوحيت ذلك لأنى من شيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وموالى ولده الحسين (عليه السلام)، فقلت: من أنت من أصحاب الحسين (عليه السلام)؟ فقال: أنا المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، ثم قال المختار بعد أن عرف قصته: ليس هذا موضع المعلمين بل موضع من يأخذ بأثر الحسين (عليه السلام) ولكنك أنت يا عمير لا تفتر وطب نفساً وقرأ علينا فإنك تخرج عما قريب، ولم تمض الأيام حتى صار بين المعلم والمختار علة، وما لبثا وهما يتحدون أن سمعاً فتح الأقال، فقال المختار: هذه الساعة يفرج الله عنك وتخرج، فقال عمير: والله يصعب علي فراقك وإن كنت كارهاً لهذا الموضع فلما وجدتك اشتاهيت أن لا أفارقك طرفة عين، فقال المختار: أريد أن توصل إلى ورقة ولو قدر شير، وقلما ولو قدر ابهام، ومداداً ولو في قشة جوزة، وعندما خرج المعلم من السجن لم يكن همة إلا تحقيق حاجة المختار وبدل في سبيل ذلك الأموال وصادف أن السجان كان من يوالى أهل البيت (عليه السلام) ويكتم أمره، فاستطاع أن يوصل للمختار ما أراد فكتب كتابين أحدهما إلى أخيه وأسامها صفة، وثانيهما إلى زوجها عبد الله بن عمر بن الخطاب، أخذهما المعلم ولم يزل يجد السير أياماً وليالى حتى وصل إلى المدينة، فدخل دار عبد الله بن عمر وكانت زوجته أخت المختار لعظيم حزنهما على أخيها لا تأكل وكان زوجها يحضر غراب الطعام مطبوحاً ومشوباً لتأكل وهي تقول: لا أكل حتى أعرف خبر أخي بأنه طيب سالم، وما أن سمعت أن رجلاً

بن معاوية فشفعه وكتب إلى ابن زياد يأمره بتخلية سبيله، فأخلّي سبيله وأجلّه ثلاثة أيام في الكوفة كي يخرج منها.

٥- خروج المختار من السجن:

خرج المختار من الكوفة إلى مكة وهو يتوعّد عبيد الله بن زياد ويعلن أنه سيثار للحسين بن علي عليهما السلام وأنه سيقتل عبيد الله بن زياد وسيقتل على دماء الحسين عليهما السلام عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام.

أقبل المختار إلى مكة فباع عبد الله بن الزبير على أن لا يقضى الأمور دونه وعلى أن يكون أول من يأذن له، وأنه إذا ظهر وغلب استعان به على أفضل عمله، وبقي معه في مكة وقاتل معه أيام القتال أحسن القتال، واستمر على ذلك حتى هلك يزيد بن معاوية وعلا شأن عبد الله بن الزبير في الحجاز وال العراق، ولكن عبد الله بن الزبير لم يف للمختار بما بايعه عليه فلم يستعمله على شيء، فتركه بعد خمسة أشهر من هلاك يزيد وقدم الكوفة معلناً شعار الثأر للحسين عليهما السلام.

خرج المختار من مكة ليلاً فلم يصبح إلا على مرحلتين منها فلما صار بالقراء لقيه رجل من الكوفة فسألها عن أحوالها فقال: خلفهم كغم لا راعي لها، فتبسم المختار، وقال: أنا والله راعيها الذي يحسن رعايتها، فتوجه نحو العراق، ولما وصل إلى القادسية عدل عنها إلى كربلاه وأغسل ولبس ثياب الزيارة وسلم على قبر الحسين عليهما السلام واعتنه قبله وبكي، وقال: يا سيدى، آليت بجده المصطفى عليهما السلام، وأبيك المرتضى عليهما السلام، وأملك الزهراء عليهما السلام، وأخيك الحسن المجتبى عليهما السلام، ومن قتل معك من أهل بيتك وشيعتك في كربلا، لا أكلت طيب اللعام، ولا شربت لذيد الشراب، ولا نمت على وطىء المهاجر، ولا خلعت عن جسدي هذه البراد، حتى أنتقم لك من قتلك أو أُقتل كما قتلت، فقبح الله العيش بعده.

من أهل الكوفة على باب دارها حتى خفق فوادها وخررت مغشياً عليها، عندما فرأى عبيد الله بن عمر الكتاب بكى وخافتة العبرة، ودخل على زوجه فبشرها وأطمئنها عليهما السلام فبكى بكاءً شديداً وأصرت على زوجها أن تدخل على هذا المعلم الأكوفى لتشترى إلى من نظر إلى غرة أخيها، فأند لها فدخلت عليه وجلست عند، واستخبرت أخباره واستقصت حنته، وصف لها كل ما هو فيه من عيد وحررون فلما سمّعت خرجت صارخة فجزّت شعرها وضفر بناتها ورمت به بين يديه، روى لها قفالاً نهياً، فولى ذلك ما نهياً، فقالت: والله لا أجيئ به، أنا وأنت تحيطان، سقط واحد وأخري على تلك الحال، عاجل عبد الله بن عمر الرسول إلى يزيد يطلب شفاعته في المختار وجعل مع الكتاب شعر زوجته وبناتها، فلما وصل الرسول وهو هذا المعلم الكوفى، ينسنه احتفال بأنواع العigel للدخول على يزيد فلما دخل وأقرأ الكتاب ورأى الشعور أصفر وجهه ربغيّر لونه وقضى في الإفراج عن المختار وكتب بذلك كتاباً إلى عبيد الله بن زياد، الذي رصله كتاب وااضطر مرغماً إلى إطلاق المختار من محبسه.

ثم ودع القبر وركب وسار إلى الكوفة حتى وصل نهرها وذلك يوم الجمعة فنزل عن راحلته واغتسل ولبس ثيابه واعتم بعمامة وتقلد سيفه ثم ركب فرسا له، اقبل حتى دخل الكوفة نهاراً جهاراً، فجعل يمر بمجالس القوم فيسلم ويقول: أبشروا بالفرح فقد جئتم بما تحبون، فأنا **المُسلط** على الفاسقين، والطالب بدماء الظاهرين، ثم جاء المسجد الأعظم فنزل وصلى فيه ركعتين والناس يستشرفوه ويقولون: هذا المختار، وما قدم والله إلا لأمر عظيم.

٦- المختار في الكوفة:

وكان الشيعة في الكوفة قد أوكلت أمرها إلى سليمان بن صرد الخزاعي إلا أن المختار لم يرتض ذلك وأعلن أنه هو المتولى لأخذ الثأر وطلب من الشيعة أن يناصروه وأن يتركوا سليمان بن صرد مستنداً في ذلك إلى أسباب ثلاثة:

الأول: أنه وكيل محمد بن علي بن أبي طالب عليهما السلام المعروف بمحمد ابن الحنفية فكان يقول للشيعة: إن المهدي ابن الوصي محمد بن علي بعثي إليكم أميناً وزيراً ومنتخبًا وأميراً وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء، وكان يقول: إني قد جئتكم من قبلولي الأمر ومعدن الفضل ووصي الوصي والإمام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء و تمام النعماء.

الثاني: أنه يسعى إلى الثأر بعد إحكام الأمور، وأما سليمان بن صرد فإنما يسعى إلى الشهادة والتوبة، وكان المختار يقول لأصحابه: أتدرون ما يريد هذا - يعني سليمان بن صرد - إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصر بالحروب ولا له علم بها، إني إنما أعمل مثل لي وأمر قد مُثل لي فيه عز وليكم، وقتل عدوكم، وشفاء صدوركم، فاسمعوا مني قوله، وأطعوا أمري، ثم أبشروا وتباشروا، فإني لكم بكل ما تأملون خير زعيم.

الثالث: أن المختار كان يرى أن الثأر للحسين عليه ينطلق من السيطرة على الكوفة، بخلاف مقوله سليمان بن صرد الذي كان يرى أن الثأر ينطلق من محاربة وقتل رأس قتلة الحسين عليهما السلام وهو عبد الله بن زياد وأهل الشام.

لأجل هذه الأسباب الثلاثة مال إلى المختار جماعة من الشيعة وعقدوا عليه وبايعوه على القتال معه وتركوا سليمان بن صرد واستمر في الدعوة إلى نفسه في أصحابه إلا أنه لم يعظ أمره لأن عامة شيوخ الشيعة كانت في دعوة سليمان بن صرد ولم يكن للمختار في ظل سليمان بن صرد إلا قليل من الأنصار والأعون الذين اعتقادوا به وما لوا إليه.

٧- نبوءة المختار:

اشتهر عن المختار أنه كان ومن أول أمره يتباًأ بأنه سيقتل قتلة الحسين عليه السلام وقد روى المؤرخون كثيراً من هذه النبوءات على لسان المختار، وإليك بعض كلماته غير ما تقدم.

١- روى ابن العرق مولىبني ثيف قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسطة من وراء واقعة استقبلت المختار ابن أبي عبيدة خارجاً يزيد الحجاز حين خلّي سبيله ابن زياد، فلما استقبلته رحب به، وعطفت عليه فلما رأيت شتر عينه استرجعت له وقلت له بعدها توجّعت له: ما بال عينك، صرف الله عنك السوء، فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطه صارت إلى ما ترى، قلت له: ما له شلت أنا ملهمه، فقال المختار: قتلني الله إن لم أقطع أنا ملهمه وأرجله وأعضاءه إرباً إرباً، فعجبت لمقالته، قلت له: ما علمك بذلك رحمك الله، فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصادقه... ثم قال المختار: إن الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطة في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقل: إن المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدتها الحسين بن علي عليهما السلام، فوربك لأقتلن بقتله عدة القتلى التي قُتلت على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام، قلت له: سبحان الله، وهذه الأعجوبة مع الأحداث الأولى، فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصادقه.

٢- وعندما كان في مكة مضى فاستوطن في ثيف مدة فكان يقول لهم: أنا صاحب الغضب ومير الجارين.

٣- دخل عليه يحيى بن أبي عيسى وحميد بن مسلم الازدي وهو في سجن الكوفة فقال لهما: أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهمامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلن كل جبار بكل لدن خطّار ومهند بتار في جموع من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى إذا أقمت عمود الدين ورأبت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثار النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتى.

٨- سر النبوءات:

استغل أعداء المختار هذه النبوءات ليصفوه بالكهانة وهو وصف مقارن للوصف بالكذب والكفر في أذهان المسلمين في تلك الأيام، وبذلك استطاعوا أن يشيعوا بين الناس أنه كاهن كاذب سجاع كافر، ومن ثم نشروا عنه أكاذيب وأفعال وأوصاف غريبة لا أصدق أنا شيئاً

منها، ولا أراه إلا مسلماً كريماً أخذته الغيرة فثار للثأر بدماء الحسين عليهما السلام وفقه الله إلى النصر، ولعل السبب في صدور هذه النبوءات الصادرة من المختار هي أن يكون المختار قد سمع بذلك من الصادقين من أصحاب أمير المؤمنين عليهما السلام ومنهم ميثم التمار، ولنا في ذلك خبر يقول بأنه عندما كان المختار في سجن ابن زياد كان في السجن معه عبد الله بن الحارث بن نوفل وصاحب علي عليهما السلام ميثم التمار، فطلب عبد الله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه يتهيأ للموت، وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر، فقال المختار: والله لا يقتلوك ولا يقتلوني ولا يأتي عليك إلا قليل حتى تل البصرة، فقال الميثم للمختار: وأنت تخرج تأثيراً بدم الحسين عليهما السلام وتقتل هذا الذي يريد قتلنا - عبد الله بن زياد - وتطأ بقدميك على وجنتيه.

الباب الثاني

دعاة المختار

١- نداء المختار:

عندما خرج سليمان بن صرد الخزاعي مع جماعة الشيعة من الكوفة إلى قتال عبيد الله بن زياد استغل أنصار عبد الله بن الزبير وقتلوا الحسين عليه السلام ووالى الكوفة عبد الله بن يزيد هذا الأمر اعني غياب الشيعة من الكوفة، فمشى عمر بن سعد وشبيث بن ربيع ويزيد بن العارث وهم من قتلة الحسين عليه السلام، مشوا إلى والي الكوفة عبد الله بن يزيد الأنباري فقالوا له:

إن المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد، إن سليمان بن صرد إنما خرج يقاتل عدوكم ويدلّلهم لكم وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثبت عليكم في مصركم فسيروا إليه فاوْتقوه في الحديد وخلدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فساروا إليه فما شعر المختار إلا وقد أحاطوا به وبداره، فاستخرجوه وسجنهو وبقي في السجن إلى حين وصل الخبر بعودته رفاعة بن شداد على رأس التوابين المنسحبين من معركة عين الوردة، فكتب المختار إلى رفاعة بن شداد من السجن:

أما بعد فمرحباً بالعصب الذين أعظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ورضي انصاراً لهم حين قفلوا، أما ورب البناء ما خطأ خاط منكم خطوة ولا رتا رتوة إلا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا، إن سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المؤمن والأمين المأمون، وأمير الجيش وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار، فأعدّوا واستعدوا وأبشروا واستبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام وإلى الطلب بدماء أهل البيت عليه السلام والدفع عن الصعفاء وجهاد المحلين والسلام.

وكتب بنحو ذلك إلى المثنى بن مخريبة العبدى في البصرة وإلى سعد بن حذيفة بن اليمان في البصرة وإلى يزيد بن أنس وجماعة من أعيان الشيعة.

- ٢- إجابة الشيعة:

فكتبوا إليه وهو في السجن يقبلون دعوته - وأنهم مجتمعون عليه وإن شاء أخرجوه من السجن - فاستمهلهم، ولم يلبث أن شفع فيه عبد الله بن عمر ابن الخطاب عند والي الكوفة عبد الله بن يزيد وصاحبه إبراهيم بن محمد بن طلحة فأخرجاه من السجن بعد أن حلف لهما أنه لا يخرج عليهما ما كان لهم سلطان، فإن هو فعل فعله ألف بدنية ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأثنائهم أحراز.

- ٣- الإستذان من محمد ابن الحنفية:

بعد استشهاد سليمان بن صرد تعاظمت دعوة المختار وهو في السجن فانتشر دعاته يباعون الناس له، فلم يزل أصحابه يكترون وأمره يتعاظم وهو في السجن، وبعد خروجه من السجن عظمت شوكته وأجمعت عليه الشيعة وقوى جانبه، وكان الذي قوى جانبه، وشدد أمره أن جماعة من أكابر الشيعة ووجهائهم اجتمعوا في منزل سعر ابن أبي سعر الحنفي، فقال جماعة منهم عبد الرحمن بن شريح الشامي الهمداني:

إن المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا محمد ابن الحنفية أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فأجمع رأيهم على تعجيل الخروج فخرجا حتى لقوا محمد ابن الحنفية فقالوا له: أما بعد فإنكم أهل البيت خصّكم الله بالفضيلة، وشرفكم بالنبوة، وعظم حُقُّكم على هذه الأمة، فلا يجهل حُقُّكم إلا مغبون الرأي محسوس النصيب، قد أصبتم بحسين عليه عظمت مصيبة اختصّتم بها بعدها عم بها المسلمين، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيدة يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء، فإذاً بعنه على ذلك، ثم إنما رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ونذهبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

فقال لهم محمد ابن الحنفية: أنا بعد وأنا ما ذكرتكم ما خصّص الله به من فضل فإن الله يؤتى به من يشاء والله ذو الفضل العظيم عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَالْكَبْرُ - ذكرتم من مصيبتنا بحسين عليه فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي تحمة تُشتَّتِّت عليه وكرامة أهدادها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووسيع بها آخرين - كان أمر الله - معمولاً، وكان أمر الله فدراً مهدوراً، وإنما ما ذكرتم من دعاء من دعاءكم إلى الطلب بدمائنا فهو الله لوددت أن الله انتصر لنا من دوننا بمن شاء من خلقه، أقول قولني هذا واستغفِر الله لي ولكلم.

و كانت هذه الكلمة من ابن الحنفية أكثر من كافية شافية إذ هي اذن صريح بقبول هذه الدعوة، فخرج هؤلاء الأشراف وقد فهموا الإذن بالخروج مع المختار.

٤- الإستئذان من زين العابدين عليه السلام:

وروى جعفر بن نما أن محمد بن الحنفية لم يأذن من رأسه بل قال لوفد الكوفة: قوموا بنا إلى إمامكم وإمامكم علي بن الحسين عليهما السلام فلما دخلوا عليه وأخبروه خبرهم الذي جاؤوا لأجله قال عليه السلام: يا عاصم، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت، فخرج وفد الكوفة وهم يقولون أذن لنا زين العابدين عليه السلام و محمد بن الحنفية.

٥- إجتماع الشيعة على المختار:

جاء الوفد إلى الكوفة وكثير من الشيعة يتظرون مقدمهم ليلعموا الخبر، لكنهم دخلوا على المختار قبل أن يدخلوا على بيوتهم وقالوا له: قد أمرنا بنصرتك، فقال: الله أكبر، أنا أبو إسحاق، إجمعوا إلي الشيعة. فجاء لهم من كان قريباً من الشيعة فقام المختار فقال: يا معاشر الشيعة، إن نفراً منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشي ومشي حاشا النبي المجتبى، فسألوه عما قدمت به عليكم، فنبا لهم إني وزير وظهيره رسوله وخليله، وأمركم باتباعي وطاعتني فيما دعوتكم إليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيتي نيككم المصطفين.

فقام هؤلاء الأشراف واحداً واحداً كل منهم يقرر ويقول بأنهم قدموا على محمد بن علي عليه السلام وأمرهم بمناصرة المختار ومؤازرته والانتقاد له.

٦- إبراهيم بن مالك الأشتر:

إنقادت الشيعة إلى المختار ولم يبق منهم إلا إبراهيم بن مالك الأشتر، وهو أحد أهم زعماء الشيعة ورؤساء عشائر اليمن، وكان لا نظير له وابن مالك الأشتر البطل المشهور الذي كان سيد الكوفة وعشائرها بلا منازع على الاطلاق.

وكان قد همَّ المختار أن ينطلق بثورته دون إبراهيم الأشتر إلا أن جماعة من أصحابه نصحوه وقالوا له: إن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجعوا بإذن الله القوة على عدونا وألا يضرنا خلاف من خالفنا فإنه فتنى بشيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عز وعدد.

فأمرهم المختار أن ينطلقوا ويسألوه النصرة، فجاؤوا إليه وقالوا له: إننا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه الملا من الشيعة إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وقتل المحلين والدفع عن الضعفاء، وقال له بعضهم: إن أباك قد هلك وهو سيد الناس، وفيك منه – إن رعيت حق الله – خلف، قد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييتك من ذلك أمراً قد مات، إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها، إنه قد بنى أولك مفتخرأ.

فأجابهم الأشر إلى دعوتهم إلا أنه رفض قيادة المختار فقال لهم: إنني قد أجبتكم إلى ما وعدتموني إليه من الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته على أن تولوني الأمر، فقالوا له: أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدى وهو الرسول والمأمور بالقتال، وقد أمرنا بطاعته.

فلم يرتضى الأشر ولم يوافق وانصرفوا عنه خائبين، ورجعوا إلى المختار الذي أصر على إبراهيم فانتظر أيام ثم جاءه مع أصحابه فلم يعلموا إلا وهم على باب إبراهيم بن مالك الأشر، فاستأذنوا ودخلوا وجلس المختار على فراش إبراهيم وقال: الحمد لله وشهاد أن لا إله إلا الله وصلى الله على محمد والسلام عليه أما بعد، فإن هذا كتاب إليك من المهدى محمد ابن أمير المؤمنين الوصي عليه السلام، وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله، وهو يسألوك أن تنصرنا وتؤازرنا فإن فعلت اغتبطت، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغنى الله محمداً وأولياءه عنك. ثم أراه الكتاب فإذا فيه:

٧- كتاب محمد ابن الحنفية إلى الأشر:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد المهدى إلى إبراهيم بن مالك الأشر، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجبي الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتل عدوي والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنك إن نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري كانت لك عندي بذلك فضيلة، ولك بذلك أعنعة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام، علي الوفاء بذلك على عهد الله، فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيمle أبداً، والسلام عليك.

٨- موافقة ابن الأشر:

فلما انتهى إبراهيم من قراءة الكتاب ارتاب أن يكون كتبه محمد ابن الحنفية، فقال: فمن

يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى فقام جماعة من سادة القراء ومشيخة مصر وفرسان العرب (بضعة عشر نفراً)، فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد بن علي عليه السلام إليك.

قبل إبراهيم شهادتهم فقام عن مجلسه وأجلس عليه المختار وبايده ودعا عشيرته وإخوانه ومن يطيعه إلى طاعة المختار وأمسى إبراهيم الأشتر يروح كل عشية إلى المختار، وببيعة إبراهيم للمختار تمت العدة فتشاوروا في أمرهم واجتمع رأيهم على الثورة وحددوا الوقت ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة ست وستين.

الباب الثالث

ثورة المختار

١- الثورة:

هيا المختار عدة الثورة واختلفت إليه رجاله وأحصي عدد الذين بايعوه على الثورة فكانوا اثنى عشر ألف رجل، ثم علمت شرطة الكوفة بذلك وكان على رأس الشرطة إياس بن مصارب فجاء إلى والي الكوفة عبد الله بن مطیع، فقال له: إن المختار خارج عليك إحدى الليتين، ثم قال له: لو بعثت في كل جبّانة بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة هاب المربي الخروج عليك.

٢- إستنفار السلطة في الكوفة:

وهي قررت قيادة الكوفة استنفار رجالها وهم عشرات الآلاف (أي سائر مجتمع الكوفة عدا الشيعة منهم) والسيطرة على طرق الكوفة الداخلية ومداخلها ومخارجها وججانتها ومواضع الاجتماع، وجمع رجال الكوفة ومنع الحركة.

فكان الرؤوس هم إياس بن مصارب على رأس الشرطة كلها، وراشد ابنه في كناسة الكوفة وحول السوق، وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمданى في جبّانة السبع، وكعب ابن أبي كعب الخثعمي في جبّانة بشر، وزحر بن قيس في جبّانة كندة، وشمر بن ذي الجوشن في جبّانة سالم، وعبد الرحمن بن مخنف بن سليم الأزدي في جبّانة الصائدين، ويزيد بن الحارث بن رؤيم في جبّانة مراد، وثبت بن رباعي في السبّحة، وكل هؤلاء رؤوس عشائر مطاعون ومطعون لوالى الكوفة وأعداء للشيعة وللمختار، ومعظمهم من قتلة الحسين عليهما السلام، ولذا كانوا عازمين على منع قومهم أو غيرهم من أي حدث فملؤوا هذه الجابين وحشوها بالعساكر.

وكان هذا الاستنفار يوم الاثنين أحد عشر من ربيع الأول سنة ست وستين، أي قبل ثلاثة أيام من الموعد المحدد لثورة المختار.

٣- شرارة الثورة:

ولكن وقبل ليلة واحدة من الموعد المقرر للثورة فيما كان إبراهيم بن مالك الأشتر يسير إلى دار المختار على رأس كتيبة من أصحابه نحو مائة مقاتل عليهم الدروع تحت الأقبية وليس معهم سلاح إلا السيوف، وكان إبراهيم الأشتر قد أنف أن يخضع لاستئثار السلطة وإرهابها فأبى إلا أن يسير بهاذا التحول إلا أن يمر وسط الكوفة جانب القصر ووسط السوق، فرأاه إياس بن مضارب رئيس الشرطة فقال للجمع: من أنتم؟ ما أنتم؟ فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال إياس: ما هذا الجمع معك؟ وما تريدين؟ والله إن أمرك لم يربك، وقد بلغني أنك تمر كل عشية ههنا، وما أنا بatarك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه، فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك. خلّ سبيلنا، فقال إياس: كلا والله لا أفعل، فقال إبراهيم لصديق له من الشرط من أصحاب إياس اسمه أبو قطن ومعه رمح طويل: أدن مني، فظن أبو قطن أنه يريد أن يجعله شفيعه لأنّه صديقه، فدنا منه فتكلم معه وتناول إبراهيم الرمح من يده أبي قطن وقال: إن رمحك هذا الطويل، فعاجله وأخذه وقال لإياس بن مضارب: يا عدو الله، أسلست من قتلة الحسين عليه السلام، ثم حمل بالرمح على إياس بن مضارب فطعنه في نحره وصرعه، وقال لرجل من قومه: انزل عليه فاحتز رأسه، فنزل واحتز رأسه وتفرق الشرطة.

ومضى إبراهيم إلى المختار فقال له: حدث أمراً لا بد من الخروج الليلة، قال المختار: ما هو؟ قال إبراهيم: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليجسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب، فقال المختار: فبشرك الله بخير، فهذا طير صالح، وهذا أول الفتح إن شاء الله.

٤- إندلاع الثورة:

وهكذا أعلن المختار ساعة الثورة، وأمر أصحابه فنادوا بشعارهم المشهور (يا منصور أمت) وأشعلوا النيران ورفعوها لل المسلمين، ونادي المنادي: يا لثارات الحسين عليه السلام، وكانت الخطوة أن يبقى المختار في داره يضم إليه من يأتيه من الشيعة وأن يدور إبراهيم الأشتر في نواحي الكوفة وفي قومه لينضم إليه من لا يمكن من الجميع إلى دار المختار حذراً من رجال ابن مطیع المنشرين في كل نواحي الكوفة ولا سيما بعد مقتل إياس، ثم يرجع إلى المختار بمن انضم إليه.

خرج إبراهيم الأشتر في كتيبته يسير في سلك الكوفة طويلاً من الليل فمر في مسجد

السكون وجابة كندة وجابة أثير، ووصل الكناسة ولم يدخلها، ثم مرّ بمسجد الأشعث، وقد التقى في أثناء سيره هذا كتائب وخيول للأعداء فكان يشدُّ عليهم وبهزمهم، وربما شدَّ على كتائب تفوقه عدَّة وعدهاً فيهزهم ويشردهم ويقول لأصحابه: يا شرطة الله إنزلوا إينكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيته رسول الله ﷺ، ولقد تعجب أعداؤه من هذه الانتصارات التي يحققها الأشتراط حتى قالوا: إن هذا الأمر يراد، ما يلقوه لنا جماعة إلا هزمهم.

ثم رجع إبراهيم الأشتراط إلى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتلون يحاصرهم شيث بن رعيي وحجار بن أبجر، فعندما علموا بمجيء إبراهيم الأشتراط من خلفهم تفرقوا وذهبوا في الأزقة والسكك.

وعندما اجتمع إبراهيم بالمختار قررا الخروج من الدار إلى السبخة في ظهر دير هند، وأرسلوا الكتائب في الأحياء والسكنى لتخبر الشيعة بموقع المختار، ومن هؤلاء، أبو عثمان النهدي الذي خرج في جماعة من أصحابه ينادي: يا منصور أمتك ويا لثارات الحسين علية السلام، ألا إن أمير آل محمد علية السلام وزيرهم قد خرج من منزل دير هند وبعشني إليكم داعياً ومبشرًا، فاخرجوإليه يرحمكم الله، فخرجت الشيعة من بيوتهم يتذمرون وينادون: يا لثارات الحسين، وقاتلوا من معهم حتى خلُّ لهم الطريق، فلم ينبلج الفجر حتى كان قد اجتمع للمختار ثلاثة آلاف وثمانمائة مقاتل من أصل اثنين عشر ألفاً بایعوه.

وكانَت هذه الليلة ليلة ليلاء مهولة شبَّهوا القتال فيها بالقتال ليلة الهرير في صفين لهولها وشدتها ولو لا بأس الشيعة وصبرهم وما أبلوه ولا سيما الأشتراط والمختار وغيرهما من صناديد الشيعة لما كان بالامكان لهم أن يصدوا هذه الليلة.

ويروى أن من انضم في هذه الليلة إلى جانب المختار عبيد الله بن الحر الجعفي فجاء في جماعة قومه وقاتل قتالاً شديداً.

٥- الانتصار الأول:

علم والي الكوفة عبد الله بن مطیع بخروج المختار ويمقْتَل إیاس بن مضارب رئيس شرطته فولى مكانه ابنه راشد بن إیاس في نفس الليلة وأمر فنادى المنادي: ألا برئ الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة، فتوافق الناس إلى المسجد، فبعث شيث ابن رعيي في ثلاثة آلاف، وراشد بن إیاس في أربعة آلاف وبعث حسان بن فائد العبسي في ألفين،

وعمر بن الحجاج في ألفين، وشمر بن ذي الجوشن في ألفين، ونوفل بن مساحق بن مخرمة في خمسة آلاف، فكانت عساكر الكوفة الذين حاربهم المختار نحوً من عشرين ألف مقاتل، فأرسل المختار إبراهيم الأشتر ليقاتل راشد بن إياس، ونعميم بن هبيرة ليقاتل شبت بن ربعي فهزم وقتل نعيم بن هبيرة وأسر أصحابه وتفرق الباقى، فوصل خبر هزيمته إلى المختار وأصحابه فدخلهم هم عظيم، وجاءهم شبت بن ربعي فحاصرهم، وأما إبراهيم الأشتر فإنه لقي راشد بن إياس بن مراد فقال لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لربّ رجل خيرٌ من عشرة، ولربّ فتنة قليلة قد غلت فتنة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، ثم شدوا عليهم وأشتد القتال فما لبث أن قتلوا راشد بن إياس وأنهزم أصحابه.

ثم مضى إبراهيم بن الأشتر فوافى حسان بن فائد العبسي فما لبث أن هزمه وأسر حسان بن فائد ثم أمنوه فأطلقوا سراحه.

لما وصل الخبر بهذه الانتصارات إلى أصحاب المختار المحصورين كبروا وصمدوا واستعدوا للحملة على شبت بن ربعي وجنوا على الركب وهم كذلك فإذا بابراهيم الأشتر وأصحابه قد حملوا على شبت بن ربعي وأصحابه حتى هزمهم وأدخلوهم بيوت الكوفة.

٦- السيطرة على الكوفة:

وبهذا يتحقق الانتصار الأول على جيوش الكوفة المعادية، إذ رجعت هذه الآلاف منهزمة إلى ابن مطیع وقد فتّ في أعضادهم مقتل راشد بن إياس، إجتمعـت جماعة المختار خارج الكوفة عند مسجد وبيوت مزينة وأحمس وبارق، واجتمعـت جماعة ابن مطیع في وسط الكوفة، أرادوا إعادة تنظيم صفوفهم، فقال إبراهيم الأشتر للمختار: قد هزمـهم الله وفـلـهم وأدخلـ الـرـبـ قـلـوبـهـمـ وـتـزـلـ هـنـاـ!! سـرـ بـناـ فـوـالـلـهـ مـاـ دـوـنـ القـصـرـ أـحـدـ يـمـنـعـ وـلـاـ يـمـتنـعـ كـثـيرـ اـمـتـاعـ.

قبل المختار هذه النصيحة وبذلك تم القرار الهاـمـ بالـزـحفـ نحوـ قـصـرـ الإـمـارـةـ وأـيـ جـيشـ للـعـدـوـ يـجـدـوهـ فـيـ الطـرـيقـ لـاـ يـصـمـدـواـ لـهـ بلـ يـسـرـحـواـ لـهـ كـتـيـةـ مـنـ كـتـائـبـهـ وـيـسـتـمـرـواـ بـالـمـسـيرـ نحوـ القـصـرـ لـيـتـحـمـوـهـ، وـهـذـاـ مـاـ حـدـثـ إـذـ أـمـرـ المـخـتـارـ كـلـ جـريـحـ أـوـ ذـيـ عـلـةـ أـوـ كـبـيرـ السـنـ أـنـ يـقـيـ فيـ المـوـضـعـ وـيـضـعـ الـبـاقـيـ فـيـ وـكـلـ مـتـاعـ وـثـقـلـ وـسـارـوـ إـلـىـ دـاـخـلـ الـكـوـفـةـ عـلـىـ مـقـدـمـتـهـ إـبـراهـيمـ الأـشـترـ.

في طریقهم التقاـ بـعـمـرـ وـبـنـ الـحجـاجـ فـتـرـکـواـ لـهـ یـزـیدـ بـنـ أـنـسـ لـیـصـمـدـ لـهـ، وـاستـمـرـواـ بـالـمـسـیرـ، ثـمـ التـقـواـ بـشـمـرـ بـنـ ذـيـ الـجـوشـنـ فـتـرـکـواـ لـهـ سـعـیدـ بـنـ مـنـقـدـ الـهـمـدـانـیـ، وـاستـمـرـواـ بـالـمـسـیرـ، فـالـتـقـواـ

نوفل بن مساحق في خمسة آلاف فاصطف له إبراهيم بن الأشتر وأمر الخيول وقربها من بعضها ثم قال: امشوا إليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم أن يُقال جاءكم شيت بن ربيعى وآل عتبة بن النهاس وآل الأشعث وآل يزيد بن الحارث وآل فلان فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة، ثم قال: إن هؤلاء لو قد وجدوا حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطیع انصفاق المعزى عن الذئب، ثم هيأ نفسه ثم شد على القوم، وقال: شدوا عليهم فدى لكم عمي وخالي، فما لبث أن هزمهم وركب بعضهم بعضاً، ووصل الأشتر إلى نوفل بن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه ليضرره، فقال ابن مساحق: يا ابن الأشتر، أنسدك الله، أطلبني بثار، هل يبني وبينك من إحنة؟، فخلع الأشتر سبليه، وقال له: اذكرها.

٧- استسلام سلطة الكوفة:

وبهذه الهزيمة لم يبق بين الأشتر وبين القصر أحد، فساروا ودخلوا الكناسة ثم السوق والمسجد، ثم حاصروا القصر وتفرقوا شراذمة الناس والشرطة وغيرها ولم يبق مع ابن مطیع في القصر إلا جماعة من أعيان ووجهاء الكوفة، والكل محاصر غير قادر على أي فعل وقد جاءت بقية المباعين إلى المختار حتى استتموا معه عشرة آلاف مقاتل.

استمر الحصار ثلاثة أيام، وبعدها فرَّ ابن مطیع خارج القصر واختبأ في دار أبي موسى الأشعري، وأما بقية من في القصر فإنهم أخذوا الأمان من ابن الأشتر، ثم فتحوا القصر وخرجوا منه ودخله المختار وبايعه الناس وأشرف الكوفة.

وبذلك تم انتصار المختار وسيطرته على الكوفة وبث عماله في آذربيجان وأرمينية وجوخى وحلوان وغيرها من نواحي أعمال الكوفة.

٨- نصرة أهل البيت عليهما السلام:

كان عبد الله بن الزبير كما تقدم قد بويح له بالخلافة واستولى على الحجاز وعلى البصرة في العراق، وكان هذا الرجل من ألد أعداء آل محمد عليهما السلام، وكان يهددهم ويتوعدهم حتى يبايعوا له، وهم يأبون ذلك إلى أن حصرهم في مكة وهددُهم بالقتل والحرق بالنار إن لم يبايعوا له، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدُهم، وضرب لهم أجلاً.

بعث محمد ابن الحنفية ثلاثة رجال من أصحابه إلى المختار وإلى من بالكوفة يعلمهم الحال ويسألهما أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين عليه السلام وأهل بيته، وصل الرسل إلى المختار

فدفعوا إليه الكتاب، فبكى ونادى في الناس فجمعهم وقرأ عليهم الكتاب، وقال: هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيته نبيكم ﷺ وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والحرق بالنار.... فانتدب من الشيعة أربعة آلاف فارس على رأسهم أبو عبد الله الجدلي إلا أنه سرّحهم على وجه السرعة قطعات قطعات تتلو بعضها بعضاً دون انتظار، كل قطعة المائة ونحوها.

فجَدَ أبو عبد الله الجدلي السير بمن معه من أولي القوة ما يقارب المائة والخمسين، فوصل المسجد الحرام فدخل هو وأصحابه المسجد وهم ينادون: يا لثارات الحسين ظلّة الله، فانتهوا إلى زمزم قبل أجل التحريق بيومين، ووْجَدُوا الحطب العظيم قد أحاط بذرية آل محمد ظلّة الله ليُشعِّل به عند انقضاء الأجل، فطردوا الحرث، وطمع بهم ابن الزبير ظناً منه أن هؤلاء كل الجيش وكاد يقاتلهم عند المسجد الحرام، لكن ما لبث أن بدأ الرaiات تصل تباعاً، فوصل أبو المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وظبيان ابن عمارة في مائتين، دخلوا المسجد يكثرون وينادون: يا لثارات الحسين ظلّة الله، ولم تمض الأيام حتى اجتمع مع محمد ابن الحنفية أربعة آلاف رجل فهابه ابن الزبير وكف عنه.

ثم بعث المختار بجيشه من ثلاثة آلاف على رأسهم شرحبيل بن ورس إلى المدينة، فالتحق بجيشه للزبير على رأسه عباس بن سهل بن سعد بالرقيم فكابدهم عباس بن سهل وأخذهم غبلاً فأفني الجيش عن آخره إلا ثلثمائة رجل تمكنا من الفرار وقتل شرحبيل بن ورس.

الباب الرابع

الثأر من قتلة الحسين عليهما السلام

١- النبوة بقتل قتلة الحسين عليهما السلام:

ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال عن الحسين عليهما السلام: اللهم اخذل من خذله، واقتله من قتله، واذبح من ذبحة، ولا تمنعه بما طلب.

كما ورد عن الحسين عليهما السلام أنه قال في كربلاء يدعو على جيش اليزيديين: اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بددأ، ولا تغادر منهم أحداً...

وما كان الله تعالى بالذي يخيب عبده فاستجاب لرسوله ﷺ كما استجاب للحسين عليهما السلام، ولم تمض السنون حتى أذن الله بفناء القتلة أعداء الله بأن سلط عليهم شيعة آل البيت الأطهار عليهما السلام.

قال الشیخ المفید رحمہللہ: تظاهرت الأخبار أنه لم ينج أحد من قاتلي الحسين عليهما السلام من قتل أو بلاء افاضح به قبل موته.

٢- إنقام الله تعالى:

لقد انتقم الله تعالى من قتلة الحسين عليهما السلام بطرق شتى وستعرض في هذا البحث لمن انتقم الله منه بطريقة إعجازية، ولن نستطيع أن نذكر كافة الأخبار والحكایات الواردة في هذا الشأن نظراً إلى كثرتها وضعف أسانيد أو روأة بعضها فمن أراد تتبعها فليراجع كتاب مدينة المعاجز للسيد البحرياني فقد ذكر من ذلك الشيء الكثير، إلا أننا لن نخلو كتابنا هذا من اليسير تبركاً، فنقول:

١- روى عن عبد الله بن رياح القاضي قال: لقيت رجلاً مكتوفاً قد شهد قتل الحسين عليهما السلام فسئل عن بصره، فقال: كنت شهيد قتل الحسين عليهما السلام عشرة غير أني لم أطعن

برمح ولم أضرب بسيف ولم أرم بسهم، فلما قُتِلَ رجعت إلى منزلِي وصليت العشاء الآخرة ونمت، فأتأني آت في منامي فقال: أجب رسول الله ﷺ، فقلت: مالي وله، فأخذ بتلايبي وجرّني إليه فإذا النبي ﷺ جالس في صحراء حاسِر عن ذراعيه آخر بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار يقتل أصحابي العشرة، فكلما ضرب ضربة الهبت أنفسهم ناراً، فدنت منه وجثوت بين يديه، وقلت: السلام عليك يا رسول الله ﷺ فلم يرد عليَّ، ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال: يا عدو الله، انتهكت حرمتِي وقتلت عترتي ولم ترع حقي وفعلت فعلت، فقلت: يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، فقال: صدقت ولكنك كثرت السواد، ادنْ مني، فدنت منه، فإذا طست مملوء دماً، فقال لي: هذا دم ولدي الحسين علّيَّ، فكحلني من ذلك الدم، فانتبهت وحتى الساعة لا أبصر شيئاً.

٢- وروي عن رجل من بنى أبان بن دارم قد اسود وجهه بعد أن كان جميلاً شديداً في البياض، فقيل له في ذلك، فقال: إني قتلت شاباً أمرد (أبيض) مع الحسين علّيَّ بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتأني فياخذ بتلايبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح مما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي، وقالت جاريته: ما يدعنا ننام الليل من صياحة، وسألوا امرأته، فقالت: قد أبدى على نفسه، قد صدقكم.

٣- وكان رجل لا تزال تفوح منه رائحة القطران، فسألوه فأخبرهم أنه كان يبيع أوتاد الحديد في جيش عمر بن سعد لعنة الله، فرأى في منامه عليه علّيَّ فسقاه قدحاً من القطران فلما استيقظ ما زال يبول القطران ثلاثة أيام ثم انقطع البول وما زالت تفوح منه رائحة القطران أبداً.

٤- وقالت جاريته: كان عندنا رجل خرج على الحسين علّيَّ ثم جاء بجمل وزعفران، قالت: فلما دُقُوا الزعفران صار ناراً، قالت: فجعلت المرأة تأخذ منه الشيء فتطبخه على يدها فيصير منه برص، قالت: ونحرروا البعير فلما جزّوا بالسكين صار مكانها ناراً وجعلوا يسلخونه فيصير مكانه ناراً، قالت: فقطعوه فخرج منه النار، قالت: فطبوخوه ففارت القدر ناراً فجعلوه في الجفنة فصار ناراً.

٥- وعن السدي أنه سَمِّرَ في طف كربلاء وكان قريباً للعهد من قتل الحسين علّيَّ وكان سميره الأحسن بن زيد وهو الذي أمر على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطي جسم الحسين علّيَّ بسباك الخيل وهشّ أصلاعه، وخرّم أذني صفيحة بنت الحسين علّيَّ لقرطين كانوا في أذنيها، وجرّ نطعاً من تحت علي بن الحسين علّيَّ وهو عليل فكبّه على وجهه.

فقال السدي: فتأوهت الصعداء وتزفت كملأ، فقال الأخنس: ما بالك، فقد ذكرت مصاباً يهون عنده كل مصاب، ثم قال: أما كنت حاضراً يوم الطف؟ فقال السدي: لا، والحمد لله، فقال: أراك تحمد الله على أي شيء؟ قال السدي: على الخلاص من دم الحسين عليه السلام لأن جدّه عليه السلام قال: إن من طلب بدم ولدي الحسين عليه السلام يوم القيمة لخفيف الميزان، ثم ساق أحداً ثـ آخر في عقوبة قتلة الحسين عليه السلام، فقال الأخنس: لا تصدق هذا الكلام يا أخي، ثم قال: ترى قالوا: قال رسول عليه السلام: قاتل ولدي الحسين عليه السلام لا يطول عمره، وها أنا وحقك قد تجاوزت التسعين ثم ساق إجرامه بحق الحسين عليه السلام وأهله.

قال السدي: فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً وخرجت أعالج على إهلاكه وإذا السراج قد ضعفت فقمت أزهراها، فقال: أجلس - وهو يحكى متوجباً من نفسه وسلامته - ومدد إصبعه ليزهراها فاشتعلت به ففرركها في التراب فلم تنطفئ، فصاح بي: أدركتني يا أخي فكببت الشربة عليها وأنا غير محب لذلك، فلما شمت النار رائحة الماء ازدادت قوّة، وصاح بي: ما هذه النار، وما يطفئها؟ قلت: ألق نفسك في النهر، فرمى بنفسه، فكلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنـ كالخشبة البالية في الرياح البارد، هذا وأنا أنظره، فوالله الذي لا إله إلا هو لم تطفأ حتى صار فحماً وصار على وجه الماء، ألا لعنة الله على الظالمين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

٦- ومن الذين عجل الله تعالى نقمته عليهم رجل يُقال له ابن أبي جويرية المزنـ وهذا الرجل قتلـ الله في عرصة كربلاء عندما أوقـ الحسين عليه السلام وأصحابـ النار من خلفـهم قبل شروعـ القتالـ، فلما نظرـ هذا الرجلـ إلى النارـ تقدـ صفقـ بيديـه وناديـ: يا حسـينـ وأصحابـ الحـسينـ أبشرـواـ بالـنـارـ فقدـ تعجلـتمـوهاـ فيـ الدـنـيـاـ، فقالـ الحـسينـ عليه السلام: منـ الرـجلـ، فـقـيلـ لهـ: ابنـ أبيـ جـويرـيـةـ المـزنـيـ، فـقـالـ الحـسينـ عليه السلام: اللـهمـ أـذـقـهـ عـذـابـ النـارـ فيـ الدـنـيـاـ، فـنـفـرـ بهـ فـأـلقـاهـ فيـ تـلـكـ النـارـ فـاحـترـقـ فيـ الدـنـيـاـ قـبـلـ نـارـ جـهـنـمـ لـعـنـهـ اللهـ وـأـرـدـاهـ.

٧- ويـحكـيـ مثلـ ذـلـكـ عنـ ابنـ خـوزـةـ التـمـيـيـيـ الذـيـ دـعـاـ عـلـيـهـ الحـسـينـ عليه السلام فـقـالـ: اللـهمـ حـرـهـ إـلـىـ النـارـ، فـاضـطـربـ بـهـ فـرـسـهـ فـيـ جـدـولـ فـوـقـ وـتـعلـقـتـ رـجـلـهـ الـيسـرىـ فـيـ الرـكـابـ وـارـتفـعـتـ الـيمـنىـ وـشـدـ عـلـيـهـ مـسـلـمـ بـنـ عـوـسـجـةـ فـضـرـبـ رـجـلـهـ الـيمـنىـ فـأـطـارـتـ، وـعـدـاـ بـهـ فـرـسـهـ فـضـرـبـ بـرـأـسـهـ كـلـ حـجـرـ وـكـلـ شـجـرـةـ حتـىـ مـاتـ.

٨- وـرـجـلـ آـخـرـ يـقـالـ لـهـ: تمـيمـ بـنـ الحـسـينـ الفـزارـيـ نـادـىـ فـيـ عـرـصـةـ كـرـبـلاـ: ياـ حـسـينـ وـياـ أـصـحـابـ الـحـسـينـ، أـمـاـ تـرـوـنـ إـلـىـ مـاءـ الـفـرـاتـ يـلـوحـ كـأـنـهـ بـطـوـنـ الـحـيـاتـ، وـالـلـهـ لـاـ ذـقـتـ مـنـهـ

قطرة حتى تذوقوا الموت جزاً، فقال الحسين عليهما السلام: من الرجل، فقيل: تميم بن حصين، فقال الحسين عليهما السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، فخفق العطش حتى سقط عن فرسه فوطأته الخيل بسنابكها فمات إلى لعنة الله.

٩- ويُحكي مثل هذا الحديث عن عبد الله بن حصين الأزدي البجلي الذي نادى بأعلى صوته: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء، والله لا تذوقون منه قطرة حتى تموتونا عطشاً، فقال الحسين عليهما السلام: اللهم اقتله عطشاً ولا تغفر له أبداً، قال حميد بن مسلم: والله لعدته في مرضه بعد ذلك فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيته يشرب الماء حتى يغير ثم يقيئه ويصبح العطش العطش، ثم يعود ويشرب حتى يغير ثم يقيئه ويتناظي عطشاً، مما زال ذلك دأبه حتى لفظ أنفاسه.

٣- تمرد قتلة الحسين عليهما السلام:

بعد أن استتبّ الأمر في الكوفة ونواحيها لزعامة المختار، بدأ في مواجهة جيش الشام القادم بزعامة عبيد الله بن زياد، فأرسل يزيد بن أنس في حملة سلّيبي بيانها إلا أن يزيد بن أنس مات مريضاً فرجع أصحابه وتفرق بعضهم، فكان الخبر عظيماً عند أهل الكوفة، فأمر المختار إبراهيم الأشتر أن يخرج في سبعة آلاف رجل ويضم إليه جيش يزيد بن أنس فخرج إبراهيم الأشتر من الكوفة، وعندما خرج إبراهيم الأشتر طمع أعداء المختار وقتلته الحسين عليهما السلام أن ينالوا من المختار، واجتمع شيث بن ربيعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وكعب ابن أبي كعب وعبد الرحمن بن مخنف وغيرهم ممن كان من أعوانبني أمية ومن اشتراك في قتل الحسين عليهما السلام كحجر بن أبي جر وعمرو بن الحجاج، وعزموا على الخروج على المختار.

انتظروا حتى ابتعد إبراهيم الأشتر عن الكوفة ووصل إلى سباط، فخرجو وأخذوا الجبابين كجبانة السبع وجبانة كندة وجبانة بشر وجبانة مخنف وجبانة بنى سلول وجبانة مراد كما أخذوا الكناسة والتمارين والسبخة.

عندما رأى المختار هذه التحرّكات العظيمة الخطر بعث رسولاً فأمره أن يسرع إلى إبراهيم الأشتر ليبلغه كتابه، وفي الكتاب: أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معلك إلى، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المختار في الكوفة صار يماطل مع أعدائه هؤلاء ويمنيهم أنه يفعل ما يحبون.

وصل رسول المختار إلى إبراهيم الأشتر عشية اليوم، فلما وصل الخبر إلى إبراهيم سار من نفس هذه العشية حين بلغه الخبر، وسار الليل كله لم يسترح إلا استراحة كلاً استراحة حتى وصل صباحاً إلى سوريا، ومنها سار بقية يومه حتى بات ليلته في المسجد الأعظم في الكوفة ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد.

وفي صبيحة اليوم الثالث وقعت الواقعة وهزم إبراهيم بن الأشتر قبائل مصر وعليها شبث بن ربعي ولم ينقض النهار حتى تم القضاء على تمرد العبارين، وأحصى عدد من قتل من الخارجين في هذه الواقعة فكان ستمائة وأربعين رجلاً. فنادى منادي المختار: من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمد عليهم السلام، ثم جعل أصحاب المختار يفتشون الدور ويخرجون القوم مكففين إلى المختار، فكان المختار كلما قدم إليه رجل يسأل عنه فإن كان من قاتل الحسين عليه السلام أمر به فضربت عنقه.

٤- قرار استئصال قتلة الحسين عليه السلام:

وبالفعل فعند الإنتهاء من هذا التمرد علم المختار أن العداء بينه وبين قتلة الحسين عليه السلام من سادات أهل الكوفة قد استحر، وأنه آن الأوان لتجريد السيف فيهم، فقال لأصحابه: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين عليه السلام يمشون أحياء في الدنيا آمنين، بشّ ناصر آل محمد عليهم السلام أنا إذا في الدنيا، أنا إذا الكذاب كما سُمّوني، فإني بالله أستعين عليهم، فسموهم لي ثم اتبعهم حتى تفنوهم، ثم قال: اطليوا لي قتلة الحسين عليه السلام فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم.

٥- تبع قتلة الحسين عليه السلام:

وبالفعل فإن المختار جهد في قتل قتلة الحسين عليه السلام ومن شهد قتيله ومن عُذّ من أعدائه، فلم يمض الزمان حتى كان قد قتل منهم ثمانية عشر ألف قتيل ومن شهد مقتل الحسين عليه السلام، ولم يسلم إلا الذين فروا من الكوفة وهرموا إلى آفاق البلاد وكثير منهم هرب إلى البصرة، ومع ذلك لم يسلموا من المختار إذ عمد إلى دورهم فهدمها.

وما زال المختار يتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى استأنس لذلك آل محمد عليهم السلام وشيعتهم فقد ورد في الخبر أن شيئاً مبجلاً من أهل الكوفة دخل على الإمام الباقر عليه السلام يوم النحر فتناول يده ليقبلها فمنعه الإمام عليه السلام، ثم قال له: من أنت، فقال الشيخ: أنا أبو محمد الحكم بن المختار ابن أبي عبيدة الثقيفي، فمدَ الإمام عليه السلام يده إليه يقرره - وكان متبايناً - حتى كاد

يُقعدُه في حجره، ثم قال الشیخ: أصلحك الله إن الناس قد أکثروا في أبي، وقالوا - والقول والله قوله - ، قال عليه السلام: وأی شيء يقولون، قال الشیخ: يقولون كتاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال عليه السلام: سبحان الله، أخبرني أبي - والله - أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أو لم بين دورنا!! وقتل قاتلنا!! وطلب بدمائنا، فرحمه الله، وأخبرني - والله - أبي أنه كان ليسمى عند فاطمة بنت علي عليهما السلام يمهد لها الفراش ويتنبأ لها الوسائل، ومنها أصحاب الحديث، رحم الله أباك، رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قاتلنا وطلب بدمائنا.

وكان الذي يعين المختار ويحرّضه على الثأر هو أبو عمارة صاحب شرطته، وكان لقبه (كيسان)، وكان أبو عمارة هذا مولى علي بن أبي طالب عليهما السلام، فكان صاحب سر المختار والغالب على أمره، وكان يدلله على قتلة الحسين عليهما السلام، ولا يبلغه عن رجل من أعداء الحسين عليهما السلام أنه في دار أو في موضع إلا قصده وهدم داره بأسرها وقتل كل من فيها من ذي روح حتى قيل أن أهل الكوفة أصبحوا يضربون به المثل فيقولون لمن ضربه الفقر: (دخل أبو عمارة بيته) وحتى غلب لقبه (كيسان) على دعوة المختار وعلى المذهب المنسوب إليه وهو مذهب الكيسانية.

٦- تفاصيل الثأر:

ونحن سنذكر هنا بعض التفصيات التي وصلتنا من حوادث الثأر التي رواها المؤرخون:

- ١- أتوه بخمس مائة أسير من الـوادعـين (من قبيلة وادعة)، فقال المختار: أنظروا كل من شهد منهم قتل الحسين عليهما السلام فأعلموني به، فقتل نحواً من مائتين وخمسين رجلاً منهم قيل أنه ممن شهد قتل الحسين عليهما السلام، فكان كل واحد منهم يقدّم فتضرب عنقه.
- ٢- قتل في التمرد المتقدم ذكره عبد الرحمن بن سعيد بن قيس سيد همدان في سبعمائة وثمانين من قومه من همدان.

- ٣- قتل عبد الله بن أسد النزال الجهني ومالك بن النمير - وهو الذي ضرب الحسين عليهما السلام وأخذ البرنس - وحمل ابن مالك المحاري، بعث إليهم مالك بن عمرو النهدي، فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم وجاء بهم إلى المختار، فقال لهم: يا أعداء الله، وأعداء كتابه، وأعداء رسوله عليهما السلام، وآل رسوله، أين الحسين بن علي عليهما السلام، أدوا إلى الحسين عليهما السلام، قتلتم من أمرتم بالصلة عليه في الصلاة!!، فقالوا: رحـمـك اللهـ، بعـثـاـ وـنـحـنـ كـارـهـونـ، فـامـنـ عـلـيـناـ وـاسـتـقـيمـوـهـ، وـسـقـيـتـمـوـهـ، ثـمـ آـمـرـ بـقـطـعـ

يدِي ورجلِي مالك بن النمير صاحب برس الحسين عليهما السلام فلم يزل ينزف حتى مات، وقدّم الآخرين فقتلهم.

٤- بعث عبد الله بن كامل إلىبني ضبيعة فأخذ زياد بن مالك، وبعثه إلىبني عنزة فأخذ منهم عمران بن خالد ثمأخذ عبد الرحمن ابن أبي حشكاراً البجلي - وهو قاتل مسلم بن عوسجة - وعبد الله بن قيس الخولاني فأدخلوهم علىالمختار فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيد شباب أهل الجنة، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم، لقد جاءكم الورس يوم نحس - والورس هو الذي نهبوه من متاع الحسين عليهما السلام - ثم أمر بهم فأخرجوا إلى السوق وضررت أعناقهم.

٥- بعث المختار السائب بن مالك الأشعري فأخذ عبد الله وعبد الرحمن ابنا صخلب، ثم أخذ عبد الله بن وهب بن عمرو إلىالمختار فأمر بهم فقتلوا في السوق.

٦- بعث عبد الله بن كامل ليحضر عثمان بن خالد الدهمني الجهنمي وبشر بن سوط القابضي، وكانت قد اشتراكاً في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سلبه، فوصل عبد الله بن كامل إلى مسجدبني دهمان وقد اختفي، فقال عبد الله بن كامل لبني دهمان: علىي مثل خطايابني دهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فاستمهلوه فأمهلهم، فخرجو يطلبونهما فوجدوهما يستعدان للخروج إلى الجزيرة، فأخذهما وضرب أعناقهما، ثم أتى إلىالمختار فأخبره فأمره أن يرجع ويحرقهما بالنار وقال: لا يدفنان حتى يحرقا.

٧- بعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر كلِيم بن طفيلي الطائي السنسي - وكان قد رمى الحسين عليهما السلام بسهم وسلب العباس بن علي عليهما السلام - فأتاه عبد الله وأخذَه، فاستغاث أهله بعدى بن حاتم الطائي وهو سيد ساداتبني طيء ومن أعيان أصحاب علي عليهما السلام، فلتحقهم في الطريق فكلم فيه عبد الله بن كامل، فقال عبد الله ما إلي من أمره من شيء إنما ذلك إلى الأمير المختار، فذهب عدي بن حاتم إلىالمختار، فقالت الشيعة لعبد الله بن كامل: إننا نخاف أن يشفع الأمير عدي بن حاتم في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله، قال: شأنكم به، فلما انتهوا به إلى دار العزبدين وهو مكتوف، نصبوه ثم قالوا له: سلبت ابن علي عليهما السلام ثيابك، والله لنسلبن ثيابك وأنت حي تنظر، فتزعوا ثيابه، ثم قالوا: رميت حسينا عليهما السلام واتخذته غرضاً لنبلك... فرموه رشقاً واحداً فوقعَت به منهم نبال كثيرة حتى أصبح كالقنفذ من كثرة النبل فخرّ ميتاً.

-٨- رأى الشيعة المندر بن حسان بن ضرار الضبي على باب قصر الإمارة قد بايع المختار أيام انتصاره الأول وكان معه ابنه حيان، فلما رأوه قالوا: هذا والله من رؤوس الجارين، فشدوا عليه وعلى ابنه فقتلوا هما.

-٩- كان قاتل حبيب بن مظاهر رض اسمه بدبل بن صريم التميمي وقد احتز رأس حبيب رض فعلقه في لبنان فرسه، ثم أقبل به إلى القصر فرأه ابنه القاسم بن حبيب وكان في الكوفة وهو يومئذ مراهق فأقبل مع الفارس لا يفارقه إذا دخل القصر دخل معه وإذا خرج خرج معه، فارتبا له الرجل فقال: ما لك يابني؟!، قال: بلني يابني أخبرني، قال له: إن هذا الرأس الذي معلمك رأس أبي أفتغطني حتى أدفعه، قال: يابني، لا يرضي الأمير أن يُدفن، وأنا أريد أن يشيني الأمير على قتله ثواباً حسناً، فقال له: ولكن الله لا يشيك إلا أسوأ الثواب، أما والله لقد قتلت خيراً منك، ثم بكى، ثم مضى القاسم حتى أدرك الرجلة، فلم يكن له هم إلا اتباع أثر قاتل أبيه ولم يدركه إلا زمن مصعب بن الزبير عندما غزا باحميراء، دخل عسكر مصعب فإذا قاتل حبيب في فسطاط فعرفه فأقبل يتلمس غرته فدخل عليه وهو نائم نصف النهار فضربه بسيفه حتى برد جسمه واشتعلت روحه في النار لعنه الله.

-١٠- أخذ المختار بجدل بن سليم الكلبي – وهو الذي قطع أصبع الحسين عليه السلام ليسلب الخاتم – فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وتركه يتشرح بدمه حتى هلك لعنه الله.

-١١- وبعث المختار عبد الله بن كامل ليحضر زيد بن الرقاد الجنبي – وهو قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل – فأحاط به الرجال، فخرج ليقاتلهم فقال لهم ابن الكامل: لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن أرموه بالنبال وارجموه بالحجارة، ففعلوا به ذلك فوقع، فقال ابن كامل: إن كان به رقم فأخرجوه، فكان به رقم فأخرجوه وأحرقوه وهو حي لم تخرج روحه حتى مات حريقاً بالنار لعنه الله.

-١٢- وطلب المختار أحضار عمرو بن صبيح وكان يقول: لقد طعنت بعضهم – الحسين وأهل بيته عليهم السلام – وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحداً – وكان من رماده عبد الله بن مسلم بن عقيل – فأثنوه ليلًا وهو على سطح بيته لا يشعر بعدمها هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذداً وأخذدوا سيفه، فأدخلوه على المختار وهو يشتم الشيعة ويتمن أن يده السيف حتى يقاتلهم ويقتلهم، فأمر المختار بطعنه بالرمح فطعنه حتى مات لعنه الله.

-١٣- وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوبي – يقال أنه قتل أحد ولد الحسين عليهم السلام – لكنه كان قد هرب إلى الجزيرة فهدم داره.

- ١٤- وطلب عبد الله بن عروة الخثعمي – قاتل جعفر بن عقيل – وكان يقول: رميتم فيهم باثني عشر سهماً ضيعة، فقدموا ليأخذه إلا أنه فرّ هارباً إلى مصعب بن الزبير فهدموا داره.
- ١٥- وكان المختار قد عزم قتل أسماء بن خارجة الفزارى، فوصله الخبر فولى هارباً إلى البادية، فأمر بداره فهدمت وكذا دور بني عممه. ويقال أن أسماء بن خارجة من سعى في قتل مسلم بن عقيل.
- ١٦- بلغ المختار أن شمر بن ذي الجوشن سلب من أملاك الحسين عليه السلام إبلًا فأخذها وقدم بها إلى الكوفة فحررها وقسم لحومها، فقال المختار: أحصوا لي كل دار دخل فيها شيئاً من ذلك اللحم فأحصوها، فأرسل إلى كل من أخذ منها شيئاً فقتلهم وهدم دورهم.
- ١٧- ولم يكتف المختار بقتل قتلة الحسين عليه السلام بل أمر صاحب شرطته أبا عمرة أن يستأجر ألف رجل من الفعلة بالمعاول ويتبع دور من خرج إلى قتال الحسين عليه السلام فيهمها، وهذا ما فعله أبو عمدة الذي كان عارفاً بقتلة الحسين عليه السلام ومتخمساً إلى قتلهم والتنكيل بهم فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهمها على من فيها فإن خرج منها أحد قتله، ما زال هذا دأبه حتى ضرب به المثل فيقال لمن فجأه الفقر والمصائب: (دخل أبو عمدة داره).

الباب الخامس

قتل أكابر الجرميين

١ - قتل خولي بن يزيد صاحب رأس الحسين عليه السلام:

بعث معاذ بن هانئ بن عدي لإحضار خولي بن يزيد الأصبهني وهو صاحب رأس الحسين عليه السلام، فأحاطوا بداره فاختبأ فخررت امرأته وكانت شيعية، فقالوا لها: أين زوجك، فقالت: لا أدرى أين هو – وأشارت بيدها إلى مكان اختبائه – فاستخرجوه وأتوا به إلى المختار الذي أخذه إلى جانب أهله ثم أمر بإحراقه ولم يتحرك المختار من مكانه حتى أصبح رماداً لعنة الله.

٢ - قتل عمرو بن الحاجاج الزبيدي:

عند هزيمة الثورة التي قام بها وجهاه الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام على المختار، خرج عمرو بن الحاجاج الزبيدي وكان من الذين شهدوا مقتل الحسين عليه السلام على رأس خمسة آلاف مقاتل، فركب راحلته هارباً من طريق واقصة فلم ير حتى الساعة ولا يدرك أرض بخسته أم سماء حصبته، وهذا من ثأر الله منه، وقيل: بل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

٣ - قتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع عليه السلام:

قتل المختار حرملة بن كاهل الأسدي وهو قاتل عبد الله الرضيع ابن الحسين عليه السلام، تفصيل ذلك أن المنهاي بن عمرو كان في الحج فدخل على علي بن الحسين عليه السلام فقال عليه السلام: يا منهاي ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي، فقال المنهاي: تركته حياً بالكوفة، فرفع علي بن الحسين عليه السلام كلتا يديه ثم قال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حر النار، فلما قدم المنهاي إلى الكوفة لقي المختار وحادثه، فصادف أن وجه المختار بعض أصحابه في طلب حرملة ولم يلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يستدون حتى قالوا: أيها الأمير البشارة البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيء به فلما نظر إليه المختار

قال لحرملة: الحمد لله الذي مكتني منك، ثم قال: **الجزّار الجزّار**، فأتي بجزّار، فقال له: إقطع يديه، فقطعها، ثم قال: إقطع رجليه، فقطعها، ثم قال: النار النار، فأتي بنار وقصب فألقى عليه فاشتعل فيه النار، فسبّح المنهال تعجباً من تحقق كلام زين العابدين عليهما السلام، وأخبر المختار بموافقة دعاء زين العابدين عليهما السلام لما حدث لحرملة فنزل المختار عن دابته وصلّى ركعتين شكرًا وأطّال السجود.

أقول: توضيح ذلك أن زين العابدين عليهما السلام دعا الله أن يذيقه حر الحديد مرتين، ودعا بعدها أن يذيقه حر النار مرة واحدة، وهذا ما تحقق بعينه إذ قد ذاق حر الحديد عندما قطع يديه، ثم ذاق حر الحديد عندما قطع رجليه، ثم ذاق حر النار عندما أحرق، ويقال أن المختار عندما علم أن فعله كان موافقاً لدعاء زين العابدين عليهما السلام وأن الله تعالى أستجاب لزين العابدين عليهما السلام على يديه بقي يومه صائمًا لله تعالى شكرًا على هذه النعمة.

٤- عقاب مرة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليهما السلام:

وبعد المختار عبد الله بن كامل ليحضر مرة بن منقذ العبيدي – وهو قاتل علي بن الحسين عليهما السلام – فقاتلهم وأفلت منهم إلا من ضربة ضربها عبد الله بن كامل فاتقاها مرة بيده اليسرى فشلت بيده ثم فر إلى مصعب بن الزبير.

٥- قتل سنان بن أنس قاتل الحسين عليهما السلام:

وطلب المختار إحضار سنان بن أنس – ادعى قتل الحسين عليهما السلام – لكنه كان قد هرب إلى البصرة فأمر بداره فهدمت، ثم إنه خرج من البصرة نحو القادسية وكان عليه عيون فأخبروا المختار فأرسل إليه من أخذه بين العذيب والقادسية فقطع أنامله ثم قطع يديه ورجليه وأغلى له زيتاً في قدر ورماد فيه.

وفي رواية أبي مخنف أن الذي قبض على سنان بن أنس التخعي هو إبراهيم الأشتر، فقال سنان: يا ويلك أصدقني، ما فعلت يوم الطف؟!، قال سنان: ما فعلت شيئاً غير أنني أخذت تكة الحسين عليهما السلام من سرواله، فبكى إبراهيم الأشتر عند ذلك، فجعل يشرح لحم فخذ سنان ويشويها على نصف نضاجها ويطعمها إياه، وكلما إمتنع من الأكل ينخرze بالخجر، فلما أشرف على الموت ذبحه وأحرق جثته عجل الله عليه النار.

٦- قتل محمد بن الأشعث أسر مسلم بن عقيل:

وطلبوه محمد بن الأشعث كبير كندة والذي أسر مسلم بن عقيل من بيت طوعة، فذهبوا

إليه وهو في قرية بالقادسية، فخرج هارباً إلى البصرة ولحق بمصعب ابن الزبير فأمر المختار بداره فهدمت، وبنى بدلها وطينها دار حجر بن عدي الكندي التي كان هدمها زياد بن سمية لعنه الله.

فبقي محمد بن الأشعث عند مصعب في البصرة إلى أن جاء مصعب ابن الزبير ليدخل الكوفة فجاء معه محمد بن الأشعث على رأس قتلة الحسين عليه السلام الذين فروا من الكوفة، ولما وقع القتال بينهم وبين جيش المختار فأبصر به مالك بن عمرو أبو نمران النهدي فاستقتل هو وأصحابه نحو خمسين رجلاً فكرروا على محمد بن الأشعث وأصحابه فقتلوه وقتلوا جماعة وقتلوا رحمة الله، وقيل أن قاتله هو عبد الله بن قراد، وقيل بل عبد الملك بن أشأرة الكندي، والله العالم.

ومحمد بن الأشعث هذا هو الذي قال للحسين عليه السلام يوم كربلاه: يا حسين ابن فاطمة أيه حرمة لك من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ليست لغيرك، فقال الحسين عليه السلام: هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَّ أَدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَ عَلَى الْمَلَئِينَ﴾ ثم قال عليه السلام: والله إن محمداً لمن آل إبراهيم وإن العترة لمن آل محمد، من الرجل، فقيل: محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أر محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزه بعد هذا اليوم أبداً، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرّز فسلط الله عليه عقراً فلدغه فمات بادي العورة.

٧- قتل قيس بن الأشعث:

وكان قيس بن الأشعث من قتلة الحسين عليه السلام وهو الذي سلبه القطيفة حتى كان يقال له (قيس القطيفة)، فلما رأى ثورة المختار أنسف أن يأتي البصرة فি�شمت به أهلها فأتى إلى عبد الله بن كامل فاستجار به، وكان عبد الله بن كامل من أخص أصحاب المختار - فأجاره وأقبل إلى المختار وأخبره، فسكت المختار وشغله بالحديث ثم قال له: أرني خاتملك، فناوله إياه، فجعله في إصبعه، ثم دعا أبا عمرة فدفع إليه الخاتم وقال له سراً أن ينطلق إلى إمرأة عبد الله بن كامل فيقول لها: هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني إلى قيس بن الأشعث، فذهب أبو عمرة فأدخلته عليه فانتقض سيفه فضرب عنقه وأخذ رأسه وأتى به المختار فألقى بالرأس بين يديه وقال للمختار: هذا بقطيفة الحسين عليه السلام، فاسترجع ابن كامل وقال للمختار: قلت جاري!!!، فقال له المختار: الله أبوك، أسكنت، أستحل أن تجير قتلة لابن بنت نبيك صلوات الله عليه وآله وسلامه.

٨- قتل شبيث بن ربعي:

وقبض إبراهيم بن مالك الأشتر على شبيث بن ربعي وهو من أكابر المجرمين الذين ولدوا بدماء الحسين عليهما السلام وأهل بيته، فقال له إبراهيم: أصدقني ما فعلت يوم الطف، فقال شبيث بن ربعي لعنه الله: ضربت وجهه بالسيف، فقال إبراهيم: يا ويلك، يا ملعون، ما خفت من الله تعالى ولا من جده رسول الله عليهما السلام، ثم جعل يشرح أفخذه حتى مات، ثم قطع رأسه وأحرق جشه، لعنه الله تعالى.

٩- قتل أبيجر بن كعب:

وقبض إبراهيم الأشتر على أبيجر بن كعب الطاغي الملعون، فقال له إبراهيم: يا ويلك، ما فعلت يوم الطف؟!، فقال الملعون: أخذت قناع زينب عليهما السلام من رأسها وقرطبيها من أذنيها فجذبتها حتى خرمت أذنيها، فقال إبراهيم وهو يبكي: يا ويلك، ما قالت لك؟، قال أبيجر: قالت لي: قطع الله يديك ورجليك وأحرقك الله تعالى ب النار الآخرة، فقال إبراهيم: يا ويلك، ما خجلت من الله تعالى، ولا راقت جدّها رسول الله عليهما السلام، ولا أدركتك الرأفة عليها، ثم قطع رجليه وقلع عينيه وعدّبه بأنواع العذاب، وإنما لم يقطع يديه لأنهما كانت قد قطعنا سابقاً.

١٠- قتل الذين رضوا صدر الحسين عليهما السلام:

أخذ المختار الأشخاص العشرة الذين وطعوا صدر الحسين عليهما السلام بخيولهم (وقد ذكرنا أسماءهم فيما سبق) - فأمر بهم فشدّت أيديهم وأرجلهم بسكل الحديد ثم أمر الخيل فوطأت صدورهم حتى هلكوا لعنهم الله.

١١- قتل الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليهما السلام:

وفَ الشمر بن ذي الجوشن الملعون المعروف عند هزيمة الثورة التي قام بها هو وأصحابه على المختار حتى وصل إلى قريه اسمها الكلتانية، فأقام هناك سراً يكاتب مصعب بن الزبير في البصرة، وكان المختار بعث مسالح إلى تلك المنطقة، فعلموا بمكان اختباء الشمر بن ذي الجوشن وأصحابه فشنوا الغارة عليهم ليلاً وهم نائمون فلم يفجأهم إلا والفرسان فوقهم، فأعجلوا الشمر قبل أن يلبس ثابه وسلامه فقتلوه ورموا جسنه للكلاب، وقيل بل أخذوه أسيراً فجاؤوا به إلى المختار فاغلى له دهناً في قدر فقدف فيها ففسخ، وأما رأسه ورؤوس من معه فنصبوها في الكوفة في رحبة الخدائن.

١٢- قتل عمر بن سعد:

روي أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد في كربلاء: أي عمر، أتزعم أنك تقتلني و يوليك الدعي بلاد الري و جر جان، والله لا تتها بذلك عهد معهود، فاصنعت ما أنت صانع فإنك لن تفرج بعدي بدني ولا آخرة، فكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يتراهم الصبيان ويتحذونه غرضاً بينهم.

وفي خبر آخر أن الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: قطع الله رحمك وسلط عليك من يذبحك على فراشك.

وفي خبر ثالث أنه عليه السلام قال له: أنه لن يأكل من بر العراق بعده إلا قليلاً، فقال عمر بن سعد مستهزئاً: في الشعير كفاية يا أبو عبد الله.

استهزأ عمر بن سعد بهذا القول كما استهزأ بالقولين السابقين، ولكن حدث ما قاله الحسين عليه السلام فلم يستطع عمر بن سعد الوصول إلى الري، ثم لم يلبث أن قتله المختار بأن أرسل من يذبحه وهو على فراشه ثم نصب رأسه في الكوفة وغيرها، وكان من قصته أن عمر بن سعد كان ختنا للمختار على أخته، وكان المختار قد أعطى أماناً لعمر بن سعد كتب فيه: أنه لا يؤخذ بحدث كان منه قد ياماً... إلا أن يحدث حدثاً.

فكان عمر بن سعد يعيش في الكوفة مطمئناً مستندًا إلى هذا الأمان، فذهب جماعة من الشيعة إلى الحجاز ودخلوا على محمد بن الحنفية ثم جرى الحديث فذكروا المختار وأنه يدعوه إلى الطلب بدماء أهل البيت عليه السلام، فقال محمد بن الحنفية: يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عليه السلام جلساؤه على الكراسي يحدثونه، والظاهر أنه كان يكتفي بذلك عن عمر بن سعد وأضرابه.

وصل الكلام إلى المختار فزعم على إرضاء محمد ابن الحنفية وقتل البقية الباقية من قتلة الحسين، فزعم على قتل عمر بن سعد، فقال لأصحابه: لأقتلنّ غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين، بعض الجلساء فهم أنه يشير إلى عمر بن سعد فأرسل إليه يحذر، إلا أن عمر بن سعد آثر أن يبقى في بيته مستندًا إلى الأمان وأن لا يخرج من بيته لأن في خروجه من البيت نقض لشرط الأمان.

عند الصباح أرسل المختار نوائح يكين الحسين عليه السلام على باب دار عمر بن سعد، فلما

جَنْ يَبْكِينَ قَالَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لِأَبْنِهِ حَفْصَ: يَا بْنَى إِتَّ الْأَمِيرَ فَقَلَ لَهُ: مَا شَأْنُ النَّوَائِحِ يَبْكِينَ
 الحَسِينَ عَلَى بَابِي، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ: إِنَّ الْحَسِينَ عَلَى أَهْلِ أَهْلٍ أَنْ يَبْكِي
 عَلَيْهِ، فَقَالَ حَفْصَ لِخَالِهِ الْمُخْتَارِ: أَصْلَحْكَ اللَّهُ إِنْهُمْ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ الْمُخْتَارُ: نَعَمْ، فَأَرْسَلَ أَبَا
 عُمَرَ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَأْتِيهِ بِرَأْسِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَذَهَبَ أَبُو عُمَرَ وَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، وَقَالَ
 لَهُ: أَجْبُ الْأَمِيرَ، فَدَخَلَ الرَّعْبَ قَلْبَ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَقُومَ حَتَّى عَثَرَ فِي جَبَتِهِ
 فَضْرِبَهُ أَبُو عُمَرَ بِالسِّيفِ وَاحْتَزَرَ رَأْسَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى الْمُخْتَارِ، وَقَدْ كَانَ مَا زَالَ عِنْدَهُ حَفْصَ بْنَ
 عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو عُمَرَ فَوْضَعَ الرَّأْسَ بَيْنَ يَدِيهِ، فَنَظَرَ الْمُخْتَارُ إِلَى حَفْصَ وَهُوَ
 ابْنُ أَخِتِ الْمُخْتَارِ، فَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ هَذَا الرَّأْسَ، فَاسْتَرْجَعَ وَقَالَ: نَعَمْ، وَلَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدِهِ،
 فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ: صَدِقْتَ، إِنَّكَ لَا تَعْيِشُ بَعْدَهُ فَأَمْرَهُ بِفَقْتِ وَاحْتَزَرُوا رَأْسَهُ فَجَعَلُوهُ إِلَى جَانِبِ
 رَأْسِ أَبِيهِ، فَقَالَ الْمُخْتَارُ: هَذَا بِالْحَسِينِ عَلَى أَهْلِهِ، وَهَذَا بِعَلِيٍّ بْنِ الْحَسِينِ عَلَى أَهْلِهِ، وَلَا سَوَاءَ وَاللهُ لَوْ
 قُتِلَتْ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعٍ قَرِيشٍ مَا وَفَوا أَنْمَلَةً مِنْ أَنَامِلِهِ.

وَيَرَوِيُّ أَنَّهُمْ سَأَلُوا الْإِمَامَ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ الْأَنْبَيْهَ عَنْ أَنَّ الْمُخْتَارَ كَيْفَ خَالَفَ الْأَمَانَ فَقَالَ: أَنَّ الْأَمَانَ
 كَانَ مَشْرُوطًا بِأَنَّ لَا يَحْدُثَ حَدَّثًا وَإِنَّهُ كَانَ يَرِيدُ بِهِ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ فَأَحْدَثَ.

وَقَدْ رُوِيَ بِعِصْبَهُمْ قَتْلُ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِكَيْفِيَّةِ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ سَعْدَ اخْتَفَى فِي
 الْكُوْفَةِ فَأَرْسَلَ الْمُخْتَارُ مِنْ ظَفَرِهِ وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدِيِ الْمُخْتَارِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرَ بْنَ سَعْدَ أَنْتَ
 قَتْلَتْ رَضِيعَ الْحَسِينِ عَلَى أَهْلِهِ قَبَّلَكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْأَخْوَةِ، لَا ذَمَّةَ النَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ حَفْظَتْ، وَلَا حَقَّ
 الْأَخْوَةِ رَعِيتْ، وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَئِنْ لَمْ تَشَدِّنِي أَبِيَّاتِكَ التَّوْنِيَّةُ لَأَعْذِبَنِكَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، فَأَنْشَدَهَا
 عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَهِيَ الْقَصِيْدَةُ الَّتِي قَالَهَا حِينَما عَزِمَ عَلَى قَتْلِ الْحَسِينِ عَلَى أَهْلِهِ وَهِيَ:

أَفْكُرْ فِيْ أَمْرِيْ عَلَىْ خَطَرِيْنِ	فَوَاللهِ مَا أَدْرِيْ وَإِنِّي لِصَادِقٍ
أَمْ أَصْبَحْ مَأْثُومًا بِقَتْلِ حَسِينِ	أَأَتَرَكْ مِلْكَ الرَّيْ وَالرَّيْ مِنْيَتِيْ
وَلَكَنَّ لِيْ فِيْ الرَّيْ قَرْةُ عَيْنِيْ	حَسِينَ ابْنَ عَمِيْ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةُ
وَنَارٌ وَتَعْذِيْبٌ وَغَلَّ يَدِيْنِ	يَقُولُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ جَنَّةَ
أَتُوبُ إِلَىِ الرَّحْمَنِ مِنْ سَنَتِيْنِ	إِنَّ صَدِقَوْا بِمَا يَقُولُونَ إِنِّيْ
وَمَلْكٌ عَقِيمٌ دَائِمُ الْحَجَلِيْنِ	
	وَإِنَّ كَذَبُوا فَرَنَا بِدُنْيَا عَظِيمَةٍ

ولو كنتُ فيها أظلم الثقلين
ولكنما الدنيا بخيرٍ معجلٍ
فلما سمع المختار هذه القصيدة قال له: يا ويلك، هكذا يكون اعتقاد المسلمين!!!، ثم أمر به فقتل.

١٣- رأس عمر بن سعد عند ابن الحنفية:

ثم أن المختار أرسل بالرأسين - رأس عمر بن سعد ورأس إبنته حفص - إلى محمد بن الحنفية وكتب له:

بسم الله الرحمن الرحيم:

... أما بعد فإن الله بعثني نفقة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم، وقدبعثت إليك برأس عمر بن سعد وإبنته، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين عَلَيْهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ - رحمة الله عليهم - كل ما قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقى، ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغني أن على أديم الأرض منهم أدميًا...

ويقال بينما محمد بن حنفية جالس في نفر من الشيعة وهو يعتب على المختار لمجالسة عمر بن سعد، فما تم كلامه إلا والرأسان عنده فخر ساجدا وبسط كفيه، وقال: اللهم لا تنس هذا اليوم للمختار وأجزه عن أهل بيتك محمد عَلَيْهِ خير العجزاء، فوالله ما على المختار بعد هذا اعتب.

١٤- رأس عمر بن سعد عند زين العابدين عَلَيْهِ:

ثم إن محمد بن الحنفية بعث برأس عمر بن سعد إلى زين العابدين عَلَيْهِ فخر ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي وجزي المختار خيراً.

الباب السادس

قتل عبيد الله بن زياد وأهل الشام

١- الوقعات:

فور انتصار المختار وسيطرته على الكوفة لم تكن همته إلا مقارعة جيش أهل الشام، وبالفعل فقد تحقق عدة وقوعات، نذكر منها:

١- وجه المختار يزيد بن أنس على رأس ثلاثة آلاف فارس ليقاتل عبيد الله بن زياد الذي كان يرابط في أرض الجزيرة على حدود الموصل وصل يزيد بن أنس إلى منطقة يقال لها بناط تلي، فالتقى جيشاً من جيوش عبيد الله بن زياد من ثلاثة آلاف فارس على رأسهم ربيعة بن مخارق فواقعهم فهزموهم وقتل ربيعة بن مخارق وحازوا العسكر وغنموه وقتلوا أهل الشام قتلاً ذريعاً.

٢- التقى يزيد بن أنس المتقدم ذكره بجيش آخر على رأسه عبيد الله بن حملة فيه ثلاثة آلاف فارس مضافاً إليه جميع فلول المنهزمين من جيش ربيعة من مخارق المتقدم ذكره، وكان النصر في هذه الوعة أيضاً ليزيد بن أنس وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة وقتلهم الله تعالى قتلاً ذريعاً، وقتل عبيد الله بن حملة، وأسر ثلاثة مائة أسير من أهل الشام فضربوا أنفاسهم من عند آخرهم.

٢- جيش ابن الأشتر:

بعد أن قضى المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر على تمرد قتلة الحسين عليه السلام لم يمض يومان حتى تجهز إبراهيم للخروج إلى قتال جيش عبيد الله بن زياد، فخرج الأشتر مع عشرين ألف مقاتل وفيهم عشرة آلاف فارس.

وروى شيخنا الطوسي رحمه الله أن إبراهيم بن الأشتر كان في ألفين من مذحج وأسد،

وألفين من تميم وهمدان، وألف وخمس مائة من قبائل المدينة، وألف وخمس مائة من كندة وربيعة، وألفين من الحمراء. وقال بعضهم: كان ابن الأشتر في أربعة الاف من القبائل، وثمانية الاف من الحمراء، وشيع المختار إبراهيم بن الأشتر (رحمهما الله) ماشيما، فقال له إبراهيم: اركب رحمة الله، فقال: إني لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأحب أن تغبر قدمي في نصر آل محمد (عليهم السلام).

ثم ودعه وأمره بتعجيل القتال، وأمره بالإحسان إلى عبيد الله بن الحر الجعفي الذي خرج مع إبراهيم الأشتر خشية غدره وأنشا المختار يقول:

نقتلن من بعد صفت صفا	أما ورب المرسلات عرفا
نكشفهم لدى الهياج كشفا	وبعد ألف القاسطين ألفا
حقاً وحق العاصفات عصفا	إنا وحق المرسلات عرفا
حتى نسوم القوم منا خسفا	لنعسفن من بغانا عسفا
حتى نلاقي بعد صفت صفا	زحفاً إليهم لا نمل الزحفا

٣ - إلقاء الجيшиين:

مضى الأشتر حتى خرج من الكوفة وسار إلى المدائن ثم دخل في أرض الموصل حتى التقى بجيشه ابن زياد في أرض خازر، فنزل الأشتر في قرية باريثا ونزل عبيد الله بن زياد بجيشه قريباً من القرية على شاطئ خازر على بعد أربعة فراسخ من عساكر الأشتر (أي عشرين كيلو متر تقريباً)، وكان جيشه ثلاثة وثمانين ألف مقاتل، فيهم ستون ألف فارس، وفي رواية أبي مخنف أن عدة جيش ابن زياد كانت تربوا على أربعين ألف مقاتل.

وكانت هذه البلاد (بلاد الجزيرة) موطن سكن القبائل القيسية التي كانت دمائها ما زالت تقطر من معركة مرج راهط بقيادة مروان بن الحكم الأموي التي أبىدت فيها قيس وقتلت قتلاً ذريعاً، لذلك كان معظم جيش ابن زياد من قبائل كلب المعادية للقبائل القيسية عداء مستحراً، ولهذا فإنه عندما اصطف جيش ابن زياد في مقابل جيش الأشتر كان منه القيسيين جميعاً أن ينهزم جيش ابن زياد، ولذلك فإن عمر بن الخطاب السلمي - القيسي - وهو على ميسرة جيش ابن زياد، أرسل إلى إبراهيم الأشتر أنه يريد أن يلقاء الليلة، فلقيه ليلاً فباعه،

وأخبره أنه على ميسرة ابن زياد، وواعده أن ينهزم الناس عند احتدام المعركة، فأراد الأشتري أن يتأكد من صدق نيته فسأله عن تعجيل الحرب أو تأجيلها بقوله: ما رأيك؟ أَخْندق علَّيْ وأَتَلُّوم يومين أو ثلاثة؟، فقال عمر بن العباب: إنا لله لا تفعل، هل يريد القوم إلا هذه، إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم، هم كثير أضعافكم، وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم فإنهم قد ملئوا منكم رعباً.....، فقال إبراهيم الأشتري: الآن علمت أنك مناصح لي، صدقت، الرأي ما رأيت، أما إن صاحبى - المختار - أو صانى بهذا، وبهذا الرأى أمرني، فقال عمر بن العباب، فلا تعدون رأيه، فإن الشیخ - المختار - قد ضرسته الحروب، وفاسى منها ما لم تقاس، أصبح مُناهض الرجل.

٤- الإستعداد للحرب:

وهكذا عزم الأشتري على الشروع في الحرب صباحاً فهيا لها طوال الليل ولم يدخل عليه غمض حتى إذا كان في السحر الأول عبأ أصحابه وكتب الكتائب، وأمر النساء، فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد بن معقل الأزدي، وعلى ميسرته علي بن مالك الجشمي، وعلى أعناء الخيل الطفيلي بن لقيط النخعي، وعلى الرجال مراحם بن مالك السكوني، فوقف بهم وتقدمت الرجال.

وأما ابن زياد فعما جيشه فجعل على ميمنته شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوبي، وعلى جناح ميمنته عبد الله بن مسدة الفزاروي، وعلى جناح ميسرته حملة بن عبد الله الخثعمي، وفي القلب الحصين بن نمير السكوني.

فلما انفجر الفجر صلى الأشتري صلاة الغداة بغلس، ثم زحف بالجيش على رسنه رويداً رويداً حتى وقف على تل عظيم مشرف على جيش ابن زياد وهم غاربون لم يتحرّكوا بعد، فأصابهم الدهش والفشل عندما رأوا الأشتري قد أشرف عليهم، فركب الأشتري فرسه ودار على الرايات كلما مرّ على راية وقف عليها، وقال لهم: يا أنصار الدين وشيعة الحق وشرطة الله، هذا عبد الله بن مرجانة قاتل الحسين ابن علي عليهما السلام ابن فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن ي Shirleyوا منه وهم ينظرون إليه، هذا الذي بعث إلى الحسين بن علي عليهما السلام أن لا أمان لك عندي أو تنزل على حكمي ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتله وقتل أهل بيته وساق حرم رسول الله عليهما السلام كسباً يا الروم والترك والديلم من بلد إلى بلد حتى أدخلوا على يزيد، فوالله ما عمل فرعون ببني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيته رسول الله عليهما السلام الذين أذهب الله

عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قد جاءكم الله به وجاءه بكم، فوالله إني لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلا لি�شفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله إنكم خرجمت غضباً لأهل بيت نبيكم عليه السلام.

٥- المعركة الفاصلة

انقض أهل العراق على جيوش ابن زياد قائلين: اللهم إنا خرجنا ثائرين بدماء أهل بيت نيك عليه السلام فانصرنا عليهم كيف شئت وأني شئت يا رب العالمين، وتناولوا يا لثارات الحسين عليه السلام.

وتقديم من أهل الشام عوف بن ضبعان الكلبي على فرس له أدهم ونادي بجيش الأشتري: يا شيعة آل أبي تراب، يا شيعة المختار الكذاب، يا شيعة ابن الأشتري المرتاب، من كان منكم يدل بشجاعة وشدة فليبرز إلى إن كان صادقا، ثم جال بين الصفين، وهو يقول:

لith نزال في مثار النسطول	إني ابن ضبعان الکريم المفضل
كذاك كانوا في الزمان الأول	من عصبة تبرا من دين علي

فما ليث عوف بن ضبعان حتى خرج إليه من أهل العراق الأحوص بن شداد الهمданى،
وهو يقول:

لست لمروان بن ليلي بولي	أنا ابن شداد على دين علي
ثم أخوض النار حتى تنجل	لأوقدن نارها في الجحفل

فجعل الشامي يشتم الأحوص، فقال الأحوص: دع عنك هذا إن كنت عربا فإن الذي بيننا أجل من الشتم، أنت تقاتلون عنبني مروان، ونحن نطلب بدم ابن نبي الرحمن، فادفعوا إلينا ابن زياد لقتله بعض مواليها الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام ولا نراه والله كفوا له، فقال الشامي: جربناكم يوم صفين عند التحكيم، فحكمناكم وعدوتم علينا، فقال الأحوص: إن الحكم في الخديعة لا يتخذ فاصلا في الشريعة، ما اسمك أيها الرجل، قال: منازل الأبطال، فقال الأحوص: ما أقرب اسمك من اسمي، فأنا مقرب الآجال، ثم حمل عليه الأحوص فالتفتيا بضربيتين، سبقت ضربة الأحوص منها، فسقط الشامي قتيلا، وجال الأحوص فصاح: يا قتلة الحسين عليه السلام، هل من مبارز، فخرج داود بن عروة الدمشقي على كميته له، مقنعا بالحديد، وهو يقول:

ولم يكن في دينه غبينا	أنا ابن من قاتل في صفينا
-----------------------	--------------------------

مجربا يوم الوعي حرونا

بل كان في إيدا مكينا

فجاوله الأحوص وهو يقول:

ولم يكن في دينه غبينا

يا ابن الذي قاتل في صفينا

لا يعرف الحق ولا اليقينا

كذبت بل كان به مفتونا

ثم صمد له الأحوص فضربه ضربة ألحقته بصاحب، وعاد إلى صفة.

ثم خرج من أهل الشام الحصين بن نمير السكوني وكان من أعاظم فرسان أهل الشام
وذووي باسهم وهو رئيس قلب الجيش يومئذ، وهو من قتلة الحسين عليهما السلام، فجعل يقول:

وشيعة المختار وابن الأشتر

يا قادة الكوفة أهل المكر

مجرب في بأنه ذو مفتر

هل فيكم قرن كريم العنصر

فيستقي الحتف بكأس مقر

يبرز نحوي عامدا لا يمتري

فخرج إليه شريك بن خريم التغلبي، وهو يقول:

بكر بلا في التقاء العسكر

يا قاتل الشيخ الكريم العنصر

نجل النبي المصطفى من حيدر

أعني حسينا ذا السن والمنظر

ضربة قرم رباعي مصرى

خذها إليك من هزير قصور

فتقدم إليه الحصين فالتقى ضربتين فما كذب التغلبي أن ضرب الحصين على أم رأسه فخر

منها قتيلا، فكثير أهل العراق، ودخل أهل الشام شيء عظيم من الجزع عليه.

٦- المعركة.. وإيادة أهل الشام:

ثم وقعت المعركة فجال أصحاب ابن الأشتر جولة، فناداهم الأشتر: يا شرطة الله، الصبر
الصبر، فتراجعوا لهم عبد الله بن يسار بن أبي عقبة الدؤلي: حدثني خليلي أنا نلتقي أهل
الشام على نهر يقال له الخازر، فيكشفونا حتى نقول: هي هي، ثم نكر عليهم فقتل أميرهم،
فابشروا واصبروا فإنكم لهم قاهرون.

وكان إبراهيم الأشتر كأحسن ما يكون البطل الشجاع، ابن أبيه، موقفه حميد، ورأيه رشيد، وقوله سديد، وأيأسه شديد، فكان إذا انهزم ميسره كرّ عليها وكشف عن رأسه وناداها: يا شرطة الله إلى إلى، أنا ابن الأشتر، إن خير فراركم كراركم، فترجع الرايات إليه فثبتت، وكان الأشتر إذا حمل بالقلب على قلب جيش ابن زياد يقول لصاحب رايته: إنغماس فيهم، فيشد بأصحابه شدة رجل واحد، ولا يضرب رجلاً إلا صرעה، وكانت الرجال تنفر من بين يديه فرار الغم بين يدي الذئب، وكان أهل العراق ينادون: يا لثارات الحسين عليهما السلام.

فلم ينقض النهار حتى وقعت الهزيمة في جيش ابن زياد ولاذوا بالفرار، فتبعهم أصحاب المختار يضربون في ظهورهم فدخل الفرار في النهر فغرقوا، ولم يفلت من الجيش كثير أحد حتى حاز الأشتر كل جيش ابن زياد.

٧- قتل عبيد الله بن زياد:

ولم تهدأ فورة ابن الأشتر وأصحابه حتى رأوا عبيد الله بن زياد الملعون ابن الملعون مقتولاً في القتلى، فأخذوا رأسه وأحرقوا جثته، وكان جسده مشحماً كثير الشحم، فجعلوا شحمه وقوداً يضيئون به طوال الليل، وقيل: بل صلبوه منكساً.

وفي رواية أبي مخنف أن الأشتر كمن لعبيد الله بن زياد وتمكن من أخذه أسيراً مكتوفاً ثم شرح لحمه بيده ثم شوى لحمه ثم أطعنه منها ثم ذبحه وأحرقه بالنار.

وقيل أن الذي قتل عبيد الله بن زياد هو شريك بن جدير كان من أصحاب علي عليهما السلام وشهد معه صفين، ثم سكن بيت المقدس، فلما بلغه قتل الحسين عليهما السلام غضب وعاهد الله إن ظهر من يطلب بدمه أن يقتل ابن زياد أو يموت في ذلك، فلما ظهر المختار سار مع الأشتر ولم يكن له همة إلا قتل عبيد الله بن زياد، وقيل أن قاتله هو إبراهيم الأشتر.

فيروى أنه قريباً من غروب شمس يوم المعركة حين انهيار جيوش أهل الشام نظر إبراهيم الأشتر إلى رجل عليه بزة حسنة ودرع سابعة وعمامة خز دكناه ودباغة فوق الدرع، وقد أخرج يده من الدباغة وفيها صفيحة مذهبة، فقصده إبراهيم فلم يلبث أن ضربه ضربة شرقة بيديه وغربت برجليه، فامتد إبراهيم منعطفاً من سرجه ورجلاه في الركاب إلى الأرض وتناول الصفيحة، وغار الفرس فما لحقه، وكان الظلام من الغروب قد ترك الناس لا يبصر بعضهم بعضاً.

ثم بعد انجلاء المعركة بحثوا عن عبيد الله بن زياد، فقال إبراهيم الأشتر لأصحابه: إني

تُبَعِّط البارحة رجلاً وقد اختلط الظلام، وفي يده هذه الصفيحة، وتحتَّه فرس جواد، فقتلهه وأنا أشم منه رائحة المسك، فأخذت الصفيحة وفاتني الفرس، فانظروه بجانب الفرات، فذهب القوم فإذا هو عبيد الله بن زياد برأسه ووضعيه بين يديه، فلما رأه عرفه، وقال: الله أكبر، وخر ساجداً، ورفع رأسه وهو يقول: الحمد لله الذي جعل قتيله على يدي.

وروى شيخنا الطوسي في أخباره عن هذه المعركة أنهم بعد وقوع الهزيمة على جيش أهل الشام تساءلوا عن عبيد الله بن زياد فقال ابن الأشتر: إني رأيت بعدما انكشف الناس طائفهً منهم قد صبرت تقاتل، فأقدمت عليهم، وأقبل رجل آخر في كبكة كأنه بغل أقمر، يفرى الناس، لا يدري منه أحد إلا صرעה، فدنا مني فضررت يده فأبنتهها، وسقط على شاطئ النهر، فشرقت يدها وغرت رجلاً، فقتلته ووجدت منه ريح المسك، وأظنه ابن زياد فاطلبوه، فجاءه رجل فنزع خفيه وتأمله، فإذا هو ابن زياد (لعنه الله) على ما وصف ابن الأشتر، فاحتز رأسه.

فأشد بعض الشعراء في هذه الحادثة:

جريء على الأعداء غير نكول	فدى لغلام من عرانيين مذحج
من الشام واستجلب بخير قبيل	أناه عبيد الله في شر عصبة
وجر الردى في الحرب فضل ذيول	فلما التقى الجماعان في حومة الوعي
وخشية ماضي الشفتين صقيل	فولى عبيد الله خوفاً من الردى
فطاح على البوغاء شر قتيل	فيعلوه إبراهيم بالسيف فاصلا
شفوا بعبيد الله كل غليل	جزى الله خيراً شرطة الله إنهم

- قتل قاتل هانيء بن عروة

وفي هذه المعركة عينها قتل راشد التركى وهو غلام عبيد الله بن زياد، وهو الذي ضرب عنق هانىء بن عروة المرادي في سوق الكوفة، وقد قتله يوم الخازر عبد الرحمن بن الحصين المرادي، وقال عبد الرحمن المرادي يرتجز سروراً بقتله:

ولئته أيض مشرفيا	إني قتلت راشد التركيا
أرضي بذلك الله والنبيا	

٩- إبادة أهل الشام:

ولم يقتل من أهل العراق إلا ثلاثة وسبعين، وكان قتلى أهل الشام في هذه الواقعة ما لا يحصى عدداً، وعن الشعبي أنه قال: لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الواقعة، وعن عمر بن شبة روى مسنداً: أنهم عددوا القتلى بالقصب لكثرتهم فكانوا سبعين ألفاً.

أقول: وهذا ما عدا القتلى الذين لم يشملهم العدد كالذين غرقوا في النهر وجففهم التيار، ولقد كان في القتلى رؤوس أهل الشام وعظماؤهم كالحسين بن نمير السكوني – وهو الذي استهزأ بالحسين عليه في كربلاء ورد عليه مقالته - وشراحيل بن ذي الكلاع الحميري، وابن حوشب، وغالب الباهلي، وأبي أشرس بن عبد الله، وعبد الله بن إياس السلمي، وريعة بن مخارق الغنوبي، وشراحيل وهو الذي ضرب الحسين عليه على عارضه يوم كربلاء من خلفه، وغيرهم كثير لا يحصى.

١٠- إرسال الرؤوس:

وثم إن ابراهيم الأشتر حز رؤوس قتلى أهل الشام وجعلوها على الرماح والخشب ومشوا بها فكان منظراً مهيباً نحواً من سبعين ألف رأس من رؤوس أعداء الله وأعداء رسوله عليه وآهل بيته عليه مشى بها الجيش إلى الكوفة، وربما كان الرجل الواحد يضع على قاتنه الواحدة ستة رؤوس أو أكثر أو أقل لكتلة الرؤوس، وأرسل الأشتر رؤوس عبيد الله بن زياد وكبار الرؤساء من أهل الشام إلى المختار وجعل في آذانهم الرقاع بأسمائهم، فوصلت الرؤوس إلى المختار وهو يتغدى فحمد الله ثم قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمي بالنعل إلى غلامه، وقال له: إغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر، ويروى أن مقتل عبيد الله بن زياد في هذه الواقعة كان في العاشر من محرم ذكرى استشهاد الحسين عليه، وقيل بل في شهر صفر.

ثم إن المختار ألقى الرؤوس في القصر ثم جعلها في المسجد في الرحبة، فجاءت حية دقيقة تخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثم خرجت من منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، وهذا الخبر رواه الترمذى في صحيحه، ونقله البعض عن ابن بطة وعن خصائص النطزي والخوارزمي الحنفي وهم من علماء أهل السنة.

١١- رأس عبيد الله بن زياد عند زين العابدين عليه:

ثم إن المختار أرسل برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس أصحابه إلى محمد ابن الحنفية

بمكة فلما وصلت الرؤوس الى محمد ابن الحنفية خرّ ساجداً ودعا للمختار، فقال: جزاء الله خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم، اللهم واحفظ لإبراهيم الأشتر وانصره على الأعداء ووفقه لما تحب وترضى واغفر له في الآخرة والأولى، ويروى أن زين العابدين عليه السلام كان يدعى كل يوم أن يريه الله قاتل أبيه الحسين عليه السلام مقتولاً، فلما قتل المختار عبيد الله بن زياد وأنفذ الرؤوس إلى علي بن الحسين عليه السلام وأمر رسوله وقال له: إنه يصلني من الليل وإذا أصبح وصلني صلاة الغداة هجع ثم يقوم فيستاذن ويؤتني بعذاته، فإذا أتيت بابه فسأل عنه فإذا قيل لك أن المائدة وضعت بين يديه فاستاذن عليه وضع الرأسين (رأس عبيد الله وعمر بن سعد) على مائدته، وقل له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا ابن رسول الله قد بلغك الله ثأرك، فعل الرسول ما أمره به المختار فأدخل عليه الرؤوس وهو يتغدى صلوات الله عليه فقال عليه السلام: أدخلت على ابن زياد لعنه الله وهو يتغدى ورأس أبيه عليه السلام بين يديه فقلت: اللهم لا تمني حتى تربني رأس ابن زياد وأنا أغددي، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي، ثم أمر بالرأس فرمي، ويروى أن على بن الحسين عليه السلام خرّ ساجداً فقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزي المختار خيراً.

١٢- خاتمة في بيان حال المختار الثقفي

لا ريب أن المختار كان ذا شخصية مذهلة، فهو من بيت الزعامة الثقافية في الطائف قبل الهجرة النبوية وبعدها، وكان عمه والي على عليه السلام على المداشر، وكان المختار في نفسه بطلاً شجاعاً متقد الذكاء عالي الهمة شديد العزم حازماً ملرياً متفرساً كثير التجارب محنكاً، قال ابن نما يصف المختار: فنشأ مقداماً شجاعاً لا يتقى شيئاً، وتعاطى معالياً الامور، وكان ذا عقل وافر، وجواب حاضر، وخلال مأثورة، ونفس بالسخاء موفرة، وفطنة تدرك الاشياء بفراستها، وهمة تعلو على الفرائد بنفاستها، وحدس مصيبة، وكف في الحروب مجيب، وقد مارس التجارب فحنكته، ولا مس الخطوب فهذبته ٠

ولقد اختلفت الأمة على عادتها في وصف المختار فمنهم من يرفعه أرقى الدرجات، ومنهم من يهبط به أسفل الدركات، وقد مال العامة وأعوانبني أمية إلى الثاني فوصفوه بأشنع الأوصاف حتى اتهموه بأنه كذاب وأنه ادعى النبوة، وأنه كان يتباً ويتکهن.

والصواب الذي أعتقد هو أن المختار كان بين الأمرين وأنه بريء تماماً من كل ما وصفه العامة الذين يأخذون معالماً منهم من أعداء آل محمد وأعداء شيعتهم، فالصواب أنه بطل شجاع عالج أمور السلاطين فرَّأَتْ قدمه في أمور كثيرة كما هو حال كل من يتولى هذه

الأمور، وانتقم الله على يديه من الجباررة الطغاة الذين ظلموا الحسين عليهما السلام وآل بيته، ولذا نرجوا أن يغفر الله له ذنبه ويکفر عنه سبأته ويرفع شأنه، ويدل على ما أقول أمور:

الأول: ما دل على مدح المختار ببعض فضائله

١: فقد روى الكشي في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تسبوا المختار فإنه قتل قاتلتنا، وطلب بثارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة^(١).

٢: روى الكشي بإسناده قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام يوم النحر وهو متكم، وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: من أنت؟ قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد التقفي، وكان متبعاً من أبي جعفر عليه السلام فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد منعه يده. ثم قال: اصلاحك الله ان الناس قد أكثروا في أبي و قالوا، والقول والله قوله قال: وأي شيء يقولون؟ قال: يقولون: كذاب، ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال: سبحان الله، أخبرني أبي والله ان مهر أبي كان مما بعث به المختار، أولم بين دورنا؟ وقتل قاتلنا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله. وأخبرني والله أبي أنه كان ليسمر عند فاطمة بنت علي يمهدها الفراش، ويشنی لها الوسائل ومنها أصاب الحديث، رحم الله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا طلبه، قتل قاتلنا، وطلب بدمائنا.^(٢)

٣: روى الكشي بإسناده عن الأصبغ، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمسح رأسه ويقول: يا كيس يا كيس.^(٣)

٤: روى الكشي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث علينا المختار برؤس الذين قتلوا الحسين عليه السلام.^(٤)

٥: روى الكشي بإسناده أن علي بن الحسين عليه السلام لما اتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، قال: فخر ساجداً وقال الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيرا.^(٥)

(١) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤٠

(٢) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤٠ ح ١٩٩

(٣) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤١ ح ٢٠١

(٤) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤١ ح ٢٠٢

(٥) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤١ ح ٢٠٣

٦: وعن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أزور على بن الحسين عليهما السلام في كل سنة مرة في وقت الحج فأتيته سنة وإذا على فخذه صبي فقام الصبي فوقع على عتبة الباب فانشح فوثب إليه مهولاً، فجعل ينشف دمه ويقول: إني أعيذك أن تكون المصطوب في الكناة، قلت: بأبي أنت وأمي وأي كناة؟ قال: كناة الكوفة، قلت: ويكون ذلك؟ قال: إيه الذي بعث محمداً بالحق، لئن عشت بعدي لترى هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة، وهو مقتول مدفون منبوش مسحب مصطوب في الكناة ثم ينزل فيحرق ويدرك في البر، فقلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ فقال: ابني زيد، ثم دمعت عيناه، وقال: لأحد شنك بحديث ابني هذا، بينما أنا ليلة ساجد وراكع ذهب بي النوم فرأيت كأني في الجنة وكان رسول الله علينا وفاطمة والحسن والحسين قد زوجوني حوراء من حور العين فوافقتها واغتسلت عند سدرة المنتهى ووليت، هتف بي هاتف، ليهتك زيد فاستيقظت وتطهرت وصلت صلاة الفجر فدق الباب رجل فخرجت إليه فإذا معه جارية ملفوفة كمها على يدها، مخمرة بخمار، قلت: حاجتك؟ قال: أريد علي بن الحسين، قلت: أنا هو، قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيد الثقفي يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار، وهذه ستمائة دينار، فاستعن بها على دهرك، ودفع إلى كتاباً كتبته جوابه، قلت: ما اسمك؟ قالت: حوراء فهيؤها لي وبيتها عروساً، فعلقت بهذا الغلام فأسميتها زيداً وستري ما قلت لك، قال أبو حمزة الثمالي: فوالله لقد رأيت كل ما ذكره عليه السلام في زيد^(١).

الثاني: ما دل على بعض مساوىء المختار

١: روى الكشي في الصحيح عن حبيب الخثمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المختار يكذب على علي بن الحسين عليهما السلام^(٢).

٢: روى الكشي بإسناده عن عمر بن علي، أن المختار أرسل إلى علي ابن الحسين عليه السلام بعشرين ألف دينار، فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبي طالب ودورهم التي هدمت، قال: ثم أنه بعث إليه باربعين ألف دينار بعد ما أظهر الكلام الذي أظهره، فردها ولم يقبلها^(٣).

٣: روى الكشي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحسين عليهما السلام وبعث إليه بهدايا من العراق، فلما وقفوا على باب علي بن

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٥١

(٢) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤٠ ١٩٨٤

(٣) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤١ ٢٠٤

الحسين دخل الآذن يستاذن لهم، فخرج إليهم رسوله، فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكاذبين ولا أقرأ كتبهم. فمحوا العنوان وكتبوا المهدى محمد بن علي، فقال أبو جعفر: والله لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئاً إنما كتب إليه يا ابن خير من طشى ومشى، فقال أبو بصير: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: أما المشى فأنا أعرفه، فأي شيء الطشى؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: الحياة.^(١)

٤: قال ابن نما: وكان المختار يجالس محمد بن الحنفية ويأخذ عنه الأحاديث، فلما عاد إلى الكوفة ركب مع المغيرة يوماً فمر بالسوق، فقال المغيرة: يا لها غارة ويا له جمعاً، إني لأعلم كلمة لو نفع لها ناعق ولا ناعق لها لاتبعوه، ولا سيما الأعاجم الذين إذا القي إليهم الشيء قبلوه. فقال له المختار: وما هي يا عم؟ قال: يستأدون بأآل محمد صلى الله عليه وآلهم فأغصى عليها المختار، ولم يزل ذلك في نفسه، ثم جعل يتكلم بفضائل آل محمد صلى الله عليه وآلهم وينشر مناقب علي والحسن والحسين عليهم السلام ويسيير ذلك ويقول: إنهم أحق بهذا الامر من كل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآلهم، ويتوجمع لهم مما نزل بهم.

الثالث: ما دل على نجاة المختار وأن الله تعالى يغفر له

ويدل على نجاة المختار ما رواه الشيخ الطوسي بإسناده عن بعض من رووا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يجوز النبي صلى الله عليه وآلهم الصراط يتلوه علي، ويبلو علياً الحسن، ويبلو الحسن الحسين فإذا توسطوه نادي المختار الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله عليه إني طلبت بثارك فيقول النبي صلى الله عليه وآلهم للحسين عليه السلام: أجبه، فينقض الحسين عليه السلام في النار كأنه عقاب كاسر فيخرج المختار حممة، ولو شق عن قلبه لوجد حبهما في قلبه.^(٢)

أقول: فيخرج المختار من النار بما فعل من أخذه بالثار، والله على كل شيء قادر.

(١) اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٣٤١، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٤٤

(٢) تهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٤٦ ح ١٥٢٨

الخاتمة

١- الأمة الملعونة

لقد عرفت أن الله تعالى غضب على هذه الأمة التي قُتل فيها الحسين عليهما السلام، غضب الله عليها جميعها إلا قليلاً منها لأنها قتلتة أو شاركت في قتلها بيدها أو سيفها أو مالها أو لسانها أو أعانت عليه أو رضيت ولقد سنَ الله تعالى في خلقه أن الإثم ثلاثة هم الفاعل والمعين والراصي، فكل من قتل أو أعان أو رضي فهو من قتلة الحسين عليهما السلام.

وركب معهم في سفينة السوء أو أبحر معهم في بحر الخطايا أمة خذلت حسيناً وهم يعلمون، فلم ينعروه وهم بالنصرة مأمورون، ضنوا بأنفسهم عن نفسه وبولدهم عن ولده، ولم يبالوا - بعد أن غيروا دمهم الخبيث إلى حين - بدم الحسين عليهما السلام أن يهدرون، ولا بالحق أن يهجرون، ولا بالمعروف أن يُنكرو، ولا بدين الله أن ينحر.

غضب الله على هذه الأمة فكانت أمة ملعونةً لعنها الله تعالى فصبَّ عليها العذاب صباً، وألقى بأسمها بينها فأريقت دماءها أنهاراً وذلت أعناق كانت طوالاً حتى صافحوا بأيديهم أرجل أعدائهم وأقرروا بالستتهم وبطلاقة لزيد وغيره يزيد أنهم العبيد وأن نساءهم الإماماء، فتبأً وترحاً.

٢- بقاء غيظ المؤمنين والملائكة:

كما عرفت أن الله تعالى غضب على قتلة الحسين عليهما السلام ولعنهم لعناً وبيلاً فسلط عليهم - على كثرتهم - شيعة آل محمد عليهما السلام - على قتالهم - فتتبعوهم تحت كل حجر ومدر وбин أوراق الشجر فضيقوا عليهم الآفاق حتى هدموا بيوتهم وقتلواهم وصلبواهم وأحرقوهم - غير مأسوف عليهم - فلم يبقوا منهم باقية.

ولكن هل شفى الله صدور المؤمنين وهل أذهب غيظ قلوبهم ؟؟؟

وهل انتقم الله تعالى لدماء الحسين عليهما السلام ؟؟؟ وهل انتصر له ؟؟؟

أما في الجواب على السؤال الأول فنقول وبأعلى أصواتنا:

لا، لم يشف الله صدور المؤمنين ولم يذهب غيظ قلوبهم.

وإذا أردت أن تعرف مصداق ذلك فانظر إلى الإمام القائم عليه وأسمع زيارة النهاية حين يقول: لأندبك صباحاً ومساءً.

وانظر إلى ملائكة الله الحاففين بقبر الحسين عليه وهم ألوف يبكونه عند قبره وهم شعث غير منذ يوم قتل إلى يوم قيام القائم عليه، فقد جاء في الخبر الموثوق عن الإمام الصادق عليه قال: وَكَلَّ اللَّهُ تَعَالَى بَقْرُ الْحَسِينِ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَصْلُونَ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ شَعْثًا غَيْرًا مِّنْ يَوْمِ قُتْلِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ - يعني بذلك قيام القائم .

وجاء فيزيارة الطويلة المروية عن الإمام الصادق عليه يقول: يا أبا عبد الله، يا حسين بن رسول الله، جئتك مستشفعاً بك إلى الله، اللهم إني أستشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجرون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسامون، وهم من خحيتك مشفعون، ومن عذابك حذرون، لا تغيرهم الأيام ولا يهرمون، في نواحي الحير يشهقون، وسيدهم يرى ما يصنعون وما فيه يتقلبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، واستند منهم الحزن بحرقة لا تطفأ.

وانظر إلى المؤمنين whom يبكون الحسين عليه كل حين وقد قال الحسين عليه: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

٣- عدم تحقق الإنقام لدماء الحسين عليه

أما في الجواب على السؤال الثاني فنقول وبأعلى أصواتنا أيضاً:

لا، لم ينتقم الله تعالى للحسين عليه ولم ينتصر له، ومصداق ذلك ما جاءنا في الخبر المعتبر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه أنه تلا هذه الآية: «إِنَّا لَنَصْرُ رُسُولَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَعْلَمُ الْأَشْهَدُ»، فقال عليه الحسين بن علي عليه منهم، ولم ينصر بعد، ثم قال: والله لقد قتل قتلة الحسين عليه ولم يطلب بدمه بعد.

وإذا أردت أن تعرف مصداق ذلك ومعدنه فانظر إلى كل شيء كان حين قتل الحسين عليه تجده اليوم ما زال على حاله في جوهره وحقيقة، وإنما تبدل شكله وتغير منظره، وهذا تبدل لا يعني أهل الحقيقة بشيء، ولا ينظرون إليه من قريب ولا بعيد.

نظرة بسيطة إلى الأشياء تجعلك تدرك بسهولة هذه الحقيقة المهولة:

٤- قادة المسلمين:

انظر إلى قادة المسلمين وملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم فلا ترى إلا نسخاً عن يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشبيث بن ربيعي وحجار بن أبيجر وشمر بن ذي الجوشن وشريح القاضي وأضرابهم وأشباههم، نسخاً عنهم معدلة وغير معدلة، وربما تجد في هؤلاء نسخاً مشوهة عن أولئك، وربما يختجل أولئك من هؤلاء، وليس لهؤلاء فضيلة على أولئك إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليهما السلام، ولو كانوا في زمان الحسين عليهما السلام لما كان فعل هؤلاء يقصر عن فعل أولئك.

٥- عامة المسلمين:

وانظر إلى جماهير المسلمين فلا تجد إلا نسخاً عن أهل الشام أو أهل الكوفة، إما أناس يؤمنون بالباطل فينصرونه، وإما أناس يجهلون الحق أو لم يدخل إلى أعماق قلوبهم فيخدلونه، ما زالوا كأولئك ينعقدون مع كل ناعق، ويميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم ير堪وا إلى ركن وثيق، همج رعاع همهم الدنيا وزينتها وزبرجها وعلفهم ولباسهم وزينتهم ووجهاتهم، لا يبالون - بعد أن تحفظ لهم دنياهم - أية حرمة هتك وأي كريمة انتهكت وأية دماء سفكت، إن هؤلاء نسخة عن أولئك نسخاً معدلة وغير معدلة، وربما تجد في هؤلاء نسخاً مشوهة عن أولئك، وربما يختجل أولئك من هؤلاء وأفعال هؤلاء، وليس لهؤلاء فضيلة على أولئك إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليهما السلام، ولو كانوا في زمان الحسين عليهما السلام لكانوا ما بين قاتل ومعين وراضٍ خاذل، فقبحاً لفلول الشرك وإخوان الشياطين.

٦- الحق وأهله:

وانظر إلى الحق فيما زال مجھولاً أو مهجوراً أو محارباً أو منكورةً، ما زال الحق لا يُعمل به، وما زال الباطل لا ينتهي عنه، بل لقد تناهى الباطل وتعاظم، وانظر إلى أهل الحق أنصار الحسين عليهما السلام وشيعته الصالحين الذين قصروا أنظارهم إلى محمد عليهما السلام آلـه وحبسو أنفسهم عليهم فهم بحلبـهم مستمسكون وبأمرـهم يعلمون فإنـهم - وإنـ كثـر المـدعـون - ما زـالـوا أقلـ من القـليلـ وأنـدرـ منـ الـكـبـرـيتـ الأـحـمـرـ ما زـالـوا مـشـرـدـينـ مـقـهـورـينـ إذاـ غـابـواـ لمـ يـفـقـدواـ،ـ وإـذـاـ حـضـرـواـ لمـ يـعـرـفـواـ،ـ وإـذـاـ نـطـقـواـ لمـ يـسـمـعواـ،ـ وـهـمـ مـلـحـ الدـنـيـاـ وـجـمـالـهـاـ وأـوتـادـ الـأـرـضـ وـجـالـهـاـ،ـ إـذـاـ دـعـواـ الـبـلـوـ،ـ إـذـاـ سـمـعـواـ الـهـيـعـةـ هـيـوـاـ،ـ يـسـأـنـسـونـ بـالـمـنـيـةـ دـوـنـ إـمـامـهـمـ كـأـنـسـ الرـضـيـعـ بـثـدـيـ أـمـهـ،ـ

أيديهم على مقابض سيفهم وعيونهم في عيون أثتمهم المعصومين وآذانهم على كلماتهم مقصورين، لا يسمعون غيرهم ولا يلتفتون إلى من دونهم ولا يتخذون من دون الله ولا المؤمنين وليجة، إنما هؤلاء نسخة عن أنصار الحسين عليهما السلام لا يقترون عليهم فضيلة إلا أنهم لم يكونوا حين كان الحسين عليهما السلام ولو كانوا في زمان الحسين عليهما السلام لكانوا معهم مضرجين بدمائهم كالأساحري على صعيد كربلاء، وبالها من فضيلة فاتت فيما ليتنا كانا معهم ففوز فوزاً عظيماً، وانظر إلى ذرية رسول الله عليهما السلام فما زالوا سبايا وإن تبدل نحو السبي وطريقه، وهذا سيد ذرية رسول الله عليهما السلام وعترته ولحمه ودمه غائب يتربّ.

٧- بقاء قضية الحسين عليهما السلام:

إذن ما زال كل شيء على حاله حين قُتل الحسين عليهما السلام، وكأنه قتل البارحة بل إنما قُتل الساعة، وما هذه القرون التي مررت في عداد ساعة الدهر الكبير إلا لحظات بارقة.

كل شيء استفز الحسين عليهما السلام واستوجب خروجه ما زال موجوداً...

وكل شيء حارب الحسين عليهما السلام وأعان عليه وقتلته ما زال موجوداً...

وكل شيء طالب الحسين عليهما السلام به ما زال مفقوداً؟

وبكلمة واحدة ما زال رأس قضية الحسين عليهما السلام معلقاً على رماح الطالمين في كربلاء وفي أرقى الكوفة وفي أنحاء العراق والشام وعلى أبواب المسجد الكبير وفي كل أنحاء العالم، ما زال إسلام محمد عليهما السلام بلا ناس وما زال الناس بلا إسلام محمد عليهما السلام.

فأين الانتقام، وأين الانتصار، وأين الثأر، وأين الطالب بالثأر، لقد ظهر لك أن دماء الحسين عليهما السلام ما زالت تغلي وتصرخ وهي في محلها الأعلى، وحق للملائكة العاففين بقبر الحسين عليهما السلام أن يستمروا بالصراخ والعويل.

٨- متى الإنقاص لدماء الحسين عليهما السلام:

والسؤال الآن... متى يتحقق الثأر والانتصار لدماء الحسين عليهما السلام؟ .

وجوابنا على هذا السؤال واضح جلي لا يشوبه لبس ولا يعتريه غموض وهو بصرخ العباره ومحتصرها: أنه على يد حفيده الإمام القائم عليهما السلام حين خروجه، وإنما يتحقق الانتصار للحسين عليهما السلام والثأر لدمائه على يده فقط، وفي زمانه فقط، ولن يثار له أو ينتصر له أو ينتقم

له غيره عليهما، وقد ورد عن الإمام الصادق عليهما أنه سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَنَفِيلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ فقال عليهما ذلك قائم آل محمد عليهما يخرج فيقتل بدم الحسين عليهما، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً.

وفي خبر آخر معتبر عن الصادق عليهما قال: لما كان من أمر الحسين بن علي عليهما ما كان ضجّت الملائكة إلى الله تعالى، وقالت: يا رب، يُفعَل هذا بالحسين صفيك وابن نبيك، قال: فأقام الله لهم ظل القائم عليهما وقال: بهذا أنتقم له من ظالميه.

وفي خبر آخر عن أبي حمزة الشimalي قال: قلت لأبي جعفر عليهما: يا ابن رسول الله عليهما، ألستم كلّكم قائمين بالحق؟ قال عليهما: بل، قلت: فلم سمّي القائم قائماً، قال عليهما: لما قُتل جدي الحسين عليهما ضجّت الملائكة إلى الله عز وجل بالبكاء والتحبّب، وقالوا: إلينا وسيدنا أنغفل عن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك، فأوحى الله عز وجل إليهم: قروا ملائكتي، فوزّتني وجلالي لأنّقمنّ منهم ولو بعد حين، ثم كشف الله عز وجل عن الأئمة من ولد الحسين عليهما للملائكة، فسررت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي، فقال الله عز وجل: بذلك القائم أنتقم منهم.

وفي خبر آخر عن كرام الخثعمي قال: حلفت فيما بيني وبين نفسي أن لا آكل طعاماً بنهار أبداً حتى يقوم قائم آل محمد عليهما، فدخلت على أبي عبد الله عليهما فقلت له: رجل من شيعتكم جعل الله عليه أن لا يأكل طعاماً بنهار أبداً حتى يقوم قائم آل محمد عليهما، قال عليهما: فصم إذا يا كرام، ولا تضم أيام العيددين ولا ثلاثة أيام التشريف ولا إذا كنت مسافراً ولا مريضاً، فإن الحسين عليهما لما قُتل عجب السماوات والأرض ومن عليهما والملائكة فقالوا: يا ربنا إعدن لنا في هلاك الأرض حتى نجدّهم من جديد الأرض بما استجلوا حرمتك وقتلوا صفوتك، فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي اسكنو، ثم كشف حجاباً من الحجب فإذا خلفه محمد عليهما واثنا عشر وصيّاً له، ثم أخذ بيد فلان القائم من بينهم فقال: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي بهذا أنتصر لهذا، قالها ثلاث مرات.

وجاء في أخبار الملائكة الذين يقاتلون مع الإمام القائم عليهما أن منهم الأربعة آلاف ملك الذين أذن لهم في نصرة الحسين عليهما، وهم فرقة المنصور وأنهم عندما هبطوا إلى الأرض وجدوا الحسين عليهما شهيداً فهم في الأرض يتظرون قيام القائم عليهما ي يكون إلى وقت خروجه، وهذا ما يفيدنا أنهم إنما ينصرون للحسين عليهما عند خروج القائم عليهما.

وجاء في الخبر المعتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال لشيخ من الشيعة: أين أنت من قبر جدي المظلوم الحسين عليهما السلام فقال الشيخ: إني لقريب منه، فقال عليهما السلام: كيف إتيانك له، قال: إني لآتىه وأكثر، فقال عليهما السلام: يا شيخ، ذاك دم يطلب الله تعالى به.

وجاء في زيارة من الزيارات المروية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول لجده الحسين عليه السلام: أشهد أنك صادق صديق صدقت فيما دعوت إليه، وصدقت فيما أتيت به، وأنك ثأر الله في الأرض من الدم الذي لا يدرك ثأره من الأرض إلا بأوليائك.

وفي زيارة أخرى عنه عليهما السلام قال: وأنك ثأر الله في الأرض والدم الذي لا يدرك ترته أحد من أهل الأرض، ولا يدركه إلا الله وحده.

٩- معنى ثأر الله:

وعندما نقول أن الحسين عليهما السلام ثأر الله فلهذا معنى عظيم أوضحه الصادق عليه السلام في قوله في الخبر قال: إن الله عز وجل إذا أراد أن ينتصر لأوليائه انتصر لهم بشار خلقه، وإذا أراد أن ينتصر لنفسه انتصر بأوليائه، ولقد انتصر ليعيى بن زكريا عليهما السلام بخت نصر.

لقد أوضح الإمام عليهما السلام في الزيارات المتقدمة وما شابها من الأخبار أن دم الحسين عليهما السلام يختلف عن بقية دماء الأولياء لأن دم يطلبه الله بنفسه ل نفسه !! .

ولكنه عليهما السلام أوضح في هذا الخبر أن المنتقم لهذا الدم العظيم هو ولی الله تعالى مع أن دماً مثل دم يعيى بن زكريا عليهما السلام وهو نبی قدیس فقد انتقم الله له بشرير من شرار خلق الله هو بخت نصر !! .

ومن ثم فقد أصبح ظاهراً أن دم الحسين عليهما السلام له مزية على دم مثل دم يعيى بن زكريا عليهما السلام، فإن دم يعيى هو ثأر أولياء الله، وأما دم الحسين عليهما السلام فهو ثأر الله تعالى وهو دم يطلبه الله لنفسه.

١٠- لماذا الحسين عليهما السلام ثأر الله:

وأما السبب الذي استلزم هذه المزية واستوجب هذه الخصيصة في دم الحسين عليهما السلام حتى كان ثأر الله دون دم يعيى بن زكريا عليهما السلام وإخوانه من الأنبياء والأولياء الشهداء فهو أعظم من أن يدركه مثلي، ولعله أحد أمرين:

الأول: ميزة في ذات الحسين عليهما السلام تميز بها يحيى بن زكرياء عليهما السلام، ولعل هذه الميزة تكون في عمق ولاية الحسين عليهما الله تعالى بعد اشتراكه مع يحيى بن زكرياء عليهما في أصل الولاية لله تعالى، وذلك على اعتبار أن الحسين كجده وأبيه وأخيه والأوصياء من بناته صلوات الله عليهم أجمعين حازوا أعلى درجات الفناء في الله تعالى شأنه حتى كانوا وجه الله تعالى وظل أسمائه الحسنة وبهذه الدرجة الخاصة التي لم يدركها أحد من أولياء الله تعالى كان لهم هذه الميزة بأن يكون التعرض لهم تعرضاً لذات الله تعالى، وثارهم ثأر الله، ودمهم دمًّا يطلبه الله.

الثاني: ميزة في أهداف ثورة الحسين عليهما وأسباب مقتله، توضيح ذلك: ان الحسين عليهما الذي هو خالصه الله تعالى إنما تحرك بأمر من الله تعالى ولهدف يريده الله تعالى ألا وهو حاكمه تعالى على عباده وبладه، هذه الحاكمة التي أزيحت يوم السقيفة.

وقد قُتل الحسين عليهما في خروجه هذا، ولم يقتله من قتله إلا لهذا السبب وبانقیاد منهم لحاكمية الشيطان، ولهذا كان بعض من قتل تجري دموعه على خديه حين قتل الحسين عليهما، وما كان الظالمون يريدون قتل الحسين عليهما لو لم يصر على معاندة حاكمة الشيطان ونصرة حاكمة الله تعالى وبأمر من الله تعالى، فالحسين إذن كبس الله تعالى، قدّمه بيده لغرض من أغراضه، وبذلك كان دمه دمًّا الله تعالى يطلبه بذاته جل جلاله، فلا جرم كان المنتقم هو الله تعالى بيده، ويده تعالى لا تكون إلا ولیاً من أوليائه وخالصه من خالصاته، ولا جرم كان المنتقم منه هو حاكمية الشيطان التي مآلها الزوال والفناء حين يتحقق إنتقام الله تعالى لدماء الحسين عليهما.

١١- ما بين قتل الحسين عليهما والإنتصار:

وما بين قتل الحسين عليهما والإنتقام له مرحلة عظمى من مراحل الدهر الكبير، سمتها البارزة حاكمية الشيطان وغياب حاكمية الله تعالى، ففي الخبر عن الصادق عليهما قال: لما قُتل الحسين عليهما سمع أهلاً قائلًا بالمدينة يقول: اليوم نزل البلاء على هذه الأمة فلا يرون فرحاً حتى يقون قائمكم...

وفي خبر آخر عن الإمام الصادق عليهما قال: لا جرم ما وفقو ولا يوفقون أبداً حتى يقوم ثأر الحسين عليهما.

وعن الصحابي الصالح أبي ذر الغفارى عندما أخرجه عثمان إلى الربذة قال له الناس: يا أبا ذر أبشر، فهذا قليل في الله، فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنت إذا قُتل الحسين بن علي

عَلَيْهِ الْكَفَرُ قتلاً أو قال ذبح ذبها، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإن الله سيسأل سيفه على هذه الأمة لا يغفر لها أبداً ويبعث ناقماً من ذريته فيتقم من الناس.

وستستمر حاكمة الشيطان بروزاً وظهوراً حتى تصبح هذه الأمة أذلةً من الأمة وأضعف من المسلول، وحتى يصبح أفرادها كفنم في زريبة لا يبالي قصابها على أي رأس منها وضع يده، وحتى يعود الإسلام غريباً، وحتى تمتلي الأرض ظلماً وجوراً، وحتى تدلهم الظلمات.

فقد جاء في الخبر المعتبر عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَفَرُ أنه قال: الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء.

وفي الخبر المشهور عن رسول الله عَلَيْهِ الْكَفَرُ بين الخاصة والعامة: أن المهدى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً، منها الخبر الصحيح عن الصادق عَلَيْهِ الْكَفَرُ قال: قال رسول الله عَلَيْهِ الْكَفَرُ: المهدى من ولدي، اسمه اسمي، وكتبه كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقها، تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً. وهذا الخبر الصحيح والمروي بأسانيد جليلة، والذي له شواهد قوية في بعضها يقول: (له غيبة تضل فيها الأمم)، يدل على استمرار الضلال وتحكمه ليس في ملة الإسلام فحسب بل فيسائر الأديان وكل الخلق حتى يصل الخلق جميعاً عن أديانهم.

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَرُ يقول فيه لحديفة بن اليمان: ...

ثم يلي الحسين عَلَيْهِ الْكَفَرُ فقتله، فلعمت أمة تقتل ابن بنت نبيها، ولا تعز من أمة، ولعن القائد لها والمرتب لفاسقها، فوالذي نفس علي بيده لا يزال هذه الأمة بعد قتل الحسين ابني في ضلال، وظلمة، وعسفة، وجور، واختلاف في الدين، وتغيير وتبدل لما أنزل الله في كتابه، وإظهار البدع، وإبطال السنن، واحتلال، وقياس مشتبهات، وترك محكمات، حتى تنسلخ من الإسلام وتتدخل في العمى والتلدد والتکسّع... الحديث طويل أخذنا بعضه.

والأخبار في هذا النحو كثيرة قد رأينا مصادقها بأعيننا ولمسنا تتحققها بأيدينا حتى بانت أعمال هذه الأمة يستبعشها ويمجّها أبناء الشرك والضلال.

١٢ - معنى حاكمة الشيطان:

وعندما نقول ان هذه هي مرحلة غلبة حاكمة الشيطان على حاكمة الله تعالى فلا يعني أبداً ولا نقصد بأي وجه من الوجوه غلبةولي الشيطان على ولی الله، فإن هذا محال لأن

ولي الله هو من الله تعالى، وكما أن الله تعالى هو القهار الغالب على أمره، فكذلك ولي الله تعالى فهو قهار غالب على أمره، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ حَدَّنَا هُمُ الْغَنِيُّونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِرَبَ اللَّهِ هُمُ الْفَلَيْلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَوْلَمْ يُدْفِعُ عَنِ النِّزَنِ آمَنُوا﴾.

وإنما المعنى المقصود من غلبة حاكمة الشيطان هو أن العباد والبلاد تركت تولي الله وولي وانقادت إلى الشيطان وأشارت به وتولت ولية، فالملعون للشيطان حقيقة هو العباد والبلاد حيث سيطر عليهم ظلمات الشيطان وحرموا من إشراقة نور الله تعالى، وأما ولبي الله فهو على حاله في الحالين لا يضره إدبار العباد عنه كما لا ينفعه إقبالهم عليه، وإنما سعيه إذا سعي لإنقاذهم من براثن الشيطان ونقلهم إلى يد الرحمن، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو في الحالين على حاله يد الرحمن ونور الله في عباده وبلاده، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا إِنْ كَانَ أُولَئِكَ أَلَّا يَأْخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَكَيْنَ لَّا تَأْسُو عَلَى مَا فَاعَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا أَعْلَمَكُمْ﴾.

١٣- السبب في غلبة حاكمة الشيطان:

ومن الضروري جداً أن تعرف أن السبب الذي يستدعي غلبة حاكمة الشيطان على حاكمة الله تعالى في أكثر مراحل التاريخ هو أن حاكمة الشيطان لها طرق شتى من القهر والغلبة والجهل والغفورة والمال والتغريب والمكر والخيانة والغدر والخداعة والأموال والشهوات، وأما حاكمة الله تعالى فليس لها إلا طريق واحد لا غيره، وهو الثقة بالله تعالى والإيمان بحبله، وهو معنى ولایة الله تعالى، فحاكمية الله تعالى في الأرض ليس لها إلا طريق واحد وهو ولایته تعالى شأنه.

١٤- طهارة حاكمة الله تعالى:

ولو أن الله تعالى كان يقبل تحقق حاكميته عن أي طريق كان - سبحانه وتعالى عما يصفون - لكان هو الحكم على مرّ التاريخ ولكن الشيطان هو المعزول المقهور على مرّ التاريخ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، ولكن الله - جلت عظمته وتقديره - كلامته - شاء أن تكون حاكميته عن طريق انتياد العباد إلى ولایته، وما مضات حاكمية الله تعالى التي تحققت في تاريخ هذه الأرض إلا من خلال هذا الطريق العظيم، والحكمة التي تدعونا إلى فهم هذا الحكم الإلهي والإعتقداد به إنعتقاداً راسخاً هو معرفتنا وإقرارنا المطلق بأن الله تعالى سبوج قدوس ذو الجلال والإكرام، فجلّ عن كل سوء ونقص، ومن جلاله

تعالى أن يجلّ كل ما يتسبّب إليه تعالى عن كل نقص وسوء، ومن ثم فلا يتسبّب إلى الله تعالى شأنه إلا القدوس المطهّر، ومن ثم فالحاكمية إذا أنتسبت إلى الله لا ريب يجب أن تكون مقدسة مطهرة عن كل نقص وسوء، فلا جرم ينحصر طريقها بالولاية المقدسة التي تفرزها التقوى المقدسة.

١٥- طهارة حاكمية الله من معرفته:

ومن هنا ظهر لك أن طهارة ولاية الله تعالى هي بالحقيقة والجوهر وصف من أوصاف الله تعالى، ومن هنا فمن عرف الله تعالى المعرفة الواجبة استحال عليه أن ينسب إلى الله تعالى نسبة غير مقدسة في أي ميدان ومن كل الجهات.

وفي الخبر المعترى المروى بأسانيد متکثرة عن زرارة بن أعين، عن الصادق عليه السلام قال: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، فقال زرارة: ولم؟، قال عليه السلام: يخاف - وأوّمأ بيده إلى بطنه - ثم قال: يا زرارة، وهو المنتظر وهو الذي يشك الناس في ولادته... إلى أن يقول: غير أن الله تعالى يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون، قال زرارة: قلت: جعلت فداك فإن أدركت ذلك الزمان فأي شيء أعمل، قال: يا زرارة، إن أدركت ذلك الزمان فأدّم هذا الدعاء: "اللهم عرفني نفسك فإنك أن لم تعرفي نفسك لم أعرف نيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفي حجتك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفي حجتك ضلللت عن ديني" الحديث.

وهذا الحديث صريح في أن معرفة النبي صلوات الله عليه وآله وآله وآله والولي إنما هي تبع معرفة الله وليس العكس كما يتخيّلة كثير من الجهال، وإن كان العكس معنى صحيحاً ليس المجال مجال بيانه، ومعنى هذه التبعية - كما أفهمه - هو أن من عرف الله تعالى وآمن به، وعرف أنه القيوم ذو الجلال، علم أنه لا يمكن أن يهمل عباده دون علم يبين لهم، كيف وهو القيوم، وإذا نصب لهم علمًا فلا يمكن إلا أن يكون مطهراً كيف وهو ذو الجلال والإكرام، فمن عرف الله تعالى ونزعه نزء النبي والولي عن كل سوء ونقص، ومن لم يعرف الله تعالى ولم ينزعه أحتمل في النبي والولي كل احتمال، فعرض على قلبه الريب ودخلت عليه المذاهب والإحتمالات وضعاع عن دينه.

ومن ثم فكل من ينسب إلى النبي أو الولي ما لا يليق بالقدوس من الصفات، وكذا كل من يتحمل بهما ذلك، فقد جهل حال أنبياء الله وأوليائه، وكان جهله هذا بهما ناشئاً عن جهله بالله تعالى شأنه جل جلاله.

١٦-أسباب خروج الإمام المهدى ﷺ:

ومن هذه العصارة السريعة نستنتج أن هذه الأمة _ من حين قتل الحسين علیه السلام _ قد غرقت في ظلمات الظلم والبدع حين أعرضت عن وليه، وسبقى تغوص في بحر الظلمات حتى ترطم بقعره، وسبقى ترطم إلى حين تدرك ظلمها وعجزها عن ولایة أمرها، وذلك أوان خروج الإمام المهدى ﷺ الذي سينقم للدماء الحسين علیه السلام ويتصدى لقضيته ويعيد الحق إلى نصابه ويخرج الأمة من الظلمات إلى النور، لا محيسن ولا مفر عن ذلك مهما اغتر المغترون ومهما جهل الجاهلون.

ونستنتج أيضاً أن المهدى ﷺ إنما يخرج إذا تهيأت أسباب استقرار حاكمية الله تعالى وتغلبها على ولايات الشيطان.

وقد عرفت فيما قدمناه أن السبب الوحيد لحاكمية الله تعالى هو انقياد العباد لولايته تعالى وإعراضهم عن ولاية الشيطان، فعندما يشيع بين الناس الإعراض عن ولاية الشيطان بكل أشكالها العجيبة وألوانها الغريبة، وعندما لا تستطيع ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها أن تستميل قلوب الناس وأفندتهم بحيث تمنع من استقرار حاكمية الله تعالى عندها فقط تهيا القلوب للإنقياد إلى ولاية الله تعالى شأنه.

١٧-أسباب الإعراض عن ولاية الشيطان:

واعلم أيضاً أن إعراض القلوب عن ولاية الشيطان بكل أشكالها إنما يكون عندما تدرك هذه القلوب عقم هذه الولايات عن تحقيق الطموح الذي تهوي إليه هذه القلوب، وبعبارة أخرى فإن الناس بنحو عام إنما تهوى قلوبهم السلام والعدل والإطمئنان، وهذا هو ما يبحثون عنه بادئ ذي بدء، وهذا هدف سام كريم، ولأنهم أهل الجهل والضلال يبحثون عن هذا الهدف السامي في الأوحال والأوساخ، أعني في ولاية الشيطان، وهم لجهلهم لا يعلمون أن السلام والعدل إنما يكون في القداسة والطهارة أعني في ولاية الله تعالى.

ولأجل هذا الجهل والضلال الذي هو فخ الشيطان الذي وقعت فيه البشرية الضالة في أغلب الأحيان إنحاز كل فرقه لعصبيتهم وتعددت الرأيات ومن ثم اختلفوا فتنازعوا فذهب ريحهم الطيب وجاء ريحهم التن.

وكررت الأيام والسنون والبشر في براثن الشيطان، وستكر الأيام والسنون على هذا المنوال

حتى يكتشف الناس هذا الفخ الخبيث ويستيقنوا قبحه ويدركوا بما لا مزيد عليه أن هدفهم المنشود السامي لن يتحقق عن هذا الطريق.

١٨- كيف السبيل إلى الإعراض عن ولاية الشيطان:

واعلم أيضاً أن الناس في إكتشافهم لهذا الفخ وإدار كهم عقم ولايات الشيطان على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول والأعلى: وهو الذي يدرك ذلك بعقله الفطري وقلبه السليم، وهذا الصنف من الناس هم الصنف الأجود والأندر بطهارة ونقاء قلوبهم وفطرتهم، وما أشد ندرتهم في هذا الزمان والأزمنة السابقة.

الصنف الثاني: وهو الذي يدرك ذلك بمعرفة تعاليم الأنبياء والأولياء فلطالما كان الأنبياء والمرسلون مهتمين بهذه الناحية ويبلغون جماعاتهم بأعلى أصواتهم هذا المعنى ولا سيما نبينا الكريم محمد ﷺ وآله الطيبين، وهذا الصنف من الناس هم الذين قصرروا عقولهم على طاعة أولياء الله فأخذوا منهم ولم ينحرفوا شمala ولا يمينا، قال تعالى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَأَ لَوْلَا تَبَدِّيلًا﴾.

الصنف الثالث: هو الذي لا يدرك هذا المعنى الكريم إلا عن طريق الحس والتجربة، وهؤلاء أيضاً كرام يقعوا ويعوموا ويتعلموا كيف لا يقعوا مرة أخرى برకتهم إلى ركن وثيق بخلاف من يقع ثم يظل ينتقل من فخ للشيطان إلى آخر حتى يموت.

١٩- إدراك أهل الحكم لزوم الإعراض عن ولاية الشيطان:

أما الصنف الأول فيدرك هذا المعنى الكريم بعقله السليم، وذلك أنه يدرك بفطرته وعقله أن هدفه السامي وهو العدل والسلام والإطمئنان لا يكون إلا بولاية الله تعالى وحده، والسر في ذلك يكمن في قاعدتين فطريتين قد أودهما الله تعالى في سائر العقول والقلوب، وهما:

القاعدة الفطرية الأولى: أن فاقد الشيء لا يعطيه، والشيطان وأولياؤه فاقدون لصفات العدل والسلام والإطمئنان، فإن هذه الصفات هي مقدسة من صفات وأنوار الله تعالى شأنه، ومن ثم فكل قلب سليم يدرك بكل قوة أن ولاية الشيطان لا يمكن أن تنتج حقيقة الإطمئنان والسلام والعدل.

والفطرية الثانية: هي أن النتيجة تتبع أحسن المقدمات، لأن المعلول من سُنْخ علته وتابع لها، وهذا الفطرية من الفطريات البديهية السارية في كل الوجود، وهي تنتج أن كل ما يتحقق في الخارج من السياسات ما لم يكن بيد المعصوم فهو ملوث بيد الشيطان حتماً، وذلك لوضوح أن السياسات في الخارج لا بد أن يكون لها مقدمات تتجها، وبعض هذه المقدماتبشرية حتماً، فإن لم تكن هذه اليد البشرية معصومة عن الباطل وقعت فيه.

وهاتان الفطريتان في غاية الوضوح والداهة، وينتجان بوضوح أن الولايات كلها ما لم تكن للله تعالى فهي للشيطان.

٢٠- محاولة أولياء الشيطان إخفاء الفطرية الأولى

إلا أنه كثيراً ما حاول أولياء الشيطان أن يخفوا الفطرية الأولى عن طريق الإدعاء بأن ولهم هو ولِي الله تعالى وأنه يحمل صفات السلام والعدل والإثمثان، وهذه المحاولات هي أكثر المحاولات شيوعاً عند أولياء الشياطين قديماً وحديثاً، وقد اغتر على مرّ التاريخ كثيراً من الجهل العمياني، فانقادوا إلى فخ الشيطان وهم يحسبون أنهم يسرون في طريق الرحمن.

وأما العاقل السليم الفطرة فيدرك بطلاق هذه الدعاوى الفاجرة بمجرد النظر إليها لأن ولاية الله تعالى لا تكون إلا من أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى أعظم ظهوراً وأوضح حالاً من أن يخفى أو يحتاج معرفته إلى تهريم المهرجين.

٢١- محاولة أولياء الشيطان إخفاء الفطرية الثانية

كما حاول كثير من أولياء الشياطين أن يخفوا الفطرية الثانية بعد عجزهم عن إخفاء الفطرية الأولى وذلك عن طريق الإيحاء إلى الجهل بأن السياسات هي نتيجة الشعارات الطيبة والقوانين الكريمة، وخلف هذا الستار من القوانين العظيمة اختباً الكثير من المجرمين الذين جاهروا بشعارات وقوانين سامية ومنها شعار الإسلام وقوانينه النقية وسيطروا بواسطتها على عقول الجهل مدة طويلة.

ولكن العاقل الكبير لا يغفل عن أن الشعارات والقوانين مهما كانت سامية لا يمكن أن تنتج شيئاً في الخارج، فإن القانون لا بد له من يد بشرية تطبقه فكل قانون حتى قانون الله تعالى وهو القانون المثالى لا ينتج إلا بيد بشرية تطبقه في الأرض، فالمحتجق في الخارج هو

معلوم لعنة مركبة من القانون ومتبعه لا من القانون وحده، وهذه هي المشكلة التي أصبحت مشهورة وأصبح الكثير من المفكرين يسمونها بالفرق بين النظرية والتطبيق، بحيث سقطت قيمة كل النظريات ما دام التطبيق بيد الإنسان الذي يخزن في باطنه العظيم من الفساد.

٤٢- إدراك الصنف الثاني لزوم الإعراض عن ولاية الشيطان

أما الصنف الثاني وهم الذين يدركون الحقائق لاقتصارهم على تعاليم نبينا وأهل بيته الطاهرين، فحق لهم أن يدركوا هذه الحقيقة حيث أوضحاوا بما لم يدعوا معه للشك أن العدل والسلام والإطمئنان لا يحمله إلا إمام من الله تعالى، وتبيان ذلك بوضوح يحتاج إلى كتاب مستقل أعد إخواني المؤمنين بنشره إلا أنه لا بأس بالإشارة إلى بعض النصوص، ومنها:

١: قوله تعالى في سورة البقرة ٢٤٦: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمُلَّاٰ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذَا قَالُوا لَنَّا لَهُمْ أَبْتَثَتْنَا مَلِكًا أَنْقَلَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْنَاهُ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ أَنْقَلَّ أَلَّا نَقْلِتُنَا﴾

٢: قوله تعالى في سورة الحج ٣٩: ﴿إِذَا ذَرَنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ كَيْنَهُمْ ظَلِيمُوا وَلَنَّ اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

٣: ما رواه الكليني في الكافي بإسناد معتبر عن ضرليس عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُنَّ أَكَثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، قال: شرك طاعة وليس شرك عبادة، وعن قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾، قال: إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون في أتباعه، ثم قلت: كل من نصب دونكم شيئاً فهو عبد الله على حرف، فقال: نعم، وقد يكون محضاً^(١).

٤: ما رواه الكليني في الكافي بإسناد معتبر عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان شركاً بالله.^(٢)

٥: الخبر الصحيح الذي رواه الثقات عن الإمام الصادق ع قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل، وروى مالك بن أعين الجهني نحوه عن الإمام الباقر ع.

(١) الكافي ج ٢ باب الشرك ص ٣٩٧ ح ٤.

(٢) الكافي ج ١ باب من ادعى الإمامة وليس لها باهل ص ٣٧٣ ح ٦.

٢٣- إدراك أهل التجربة لزوم الإعراض عن ولاية الشيطان:

وأما أهل التعلم من التجارب من أصحاب الأهداف السامية فلا بد لهم أن يدركونها عقلاً الولايات البشرية ولو بعد حين، فإن كثيراً من الناس يدخلون في ولايات الشيطان بهدفهم السامي ولكن لا تمضي الأيام والسنون حتى يدركوا بأم أعينهم قبح ما جنته أيديهم وربما طالهم هذا القبيح بأنفسهم حتى كانوا صرعى وضحايا أفعالهم قال تعالى ﴿ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.

ولكن الذي أريد أن أقوله لهؤلاء الصنف من الناس أهل التجارب أنه ينبغي لهم أن ينقطعوا عن تجاربهم الخاصة فإن في التاريخ الماضي عبراً وتجارب هائلة ما زالت ماثلة أو مسطورة تكفي لتكون مدرسة لمن ألقى السمع وهو شهيد، وينبغي لأهل الحق الاستفادة من تجارب الآخرين إلا أن الكياسة والفتانة والإستفادة درجات، فمن الناس من يتعلم من تجارب غيره، ومن الناس من لا يتعلم إلا من تجربته، وربما كرر التجربة أكثر من مرة حتى يفقهه الحقيقة

ولقد تحقق حتى هذا اليوم من هذه التجارب الفريدة والجماعية مما عرف ومما لم يعرف ما لا تحصيه حسابات البشر ولا يحيطون به وستبقى هذه التجارب الفردية والجماعية تتحقق على مر التاريخ القادم حتى يتشر بين الناس ويعلم الكبير والصغير عقلاً هذا الطريق وقبحة ولؤمه وغوره، حتى يدرك كل إنسان قبل دخوله في أي ولاية من ولايات الشيطان أنها لا تتحقق هدفه السامي المنشود وأنه إذا دخلها فإنما يدخلها لتحقيق مآرب أخرى ظلماً أو معدوراًً وحسابه على ربه.

٤- حتمية سقوط الولائج وإدراك نهاية التجارب:

وهذه النتيجة تقتضيها حتمية تطور العلم وانتشاره، فإن كل علم مهما دقّ أو جلّ فإنه حتماً سيتشر بين الناس إن عاجلاً أو آجلاً، واكتشاف أفحاخ الشيطان وعقلاً ولاياته هو معلومة من المعلومات وحقيقة من الحقائق التي سيأتي يوم وتنكشف للناس بشكل عام.

على هذه النتيجة وعلى حتميتها قد دلت النصوص، قال تعالى: ﴿سَرِّيْهِمْ إَيَّيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ﴾.

وقد ورد عن الباقر والصادق عليهما السلام في تفسير هذه الآية ﴿... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ﴾.

قوله: يعني بذلك خروج القائم وهو الحق من الله عز وجل يراه هذا الخلق لا بد منه.

وفي الخبر المعتبر الذي رواه الثقة الجليل محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولوا من الناس حتى لا يقول قائل: لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم بالحق والعدل.

هذا الخبر الذي رواه أاعاظم الرواة الثقات الأجلاء الذين لا ريب في صدقهم وضبطهم صريح في أن زمن الفرج وحاكمية الله هو زمن اليأس من حاكمة الشيطان أعني زمن يعلم فيه الجميع بطلان دعوى الرايات والولايات التي تدعى العدالة.

وفي خبر آخر معتبر أيضاً عن الرضا عليه السلام قال: إنه سيكون - يا حسن - فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل ولية وبطانة وذلك عند فقدان ^(١) الشيعة الثالث من ولدي...

والولائج والبطائين في الولايات والعصبيات إنما تسقط جميعاً بظهور عورتها للعموم، لا بفائدتها كلها، لوضوح وجوب بقائها قبل ظهور ولی الله تعالى عليه السلام لامتناع خلو الأرض من وال بر أو فاجر.

وفي خبر آخر عن الباقر عليه السلام قال: إنه لا بد من أن يكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ولدية حتى يسقط فيها من يشق الشعيرة بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشييعتنا، وهذا الخبر كسابقه في الدلالة على سقوط سائر الولايات والعصبيات حتى تلك الولايات البالغة الفطنة والقدرة حتى القادرة على شق الشعرة إلى شعيرتين.

وفي خبر آخر عن الباقر عليه السلام يقول: ... فخروجه إذا خرج يكون اليأس والقنوط من أن يروا فرحاً....

وفي الخبر عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد أن ذكر ظلمهم لعلي وولده عليه السلام، قال: وأخبرني جبرائيل عليه السلام عن ربه عز وجل أن ذلك يزول إذا قام فائمتهم وعلت كلمتهم وأجمعت الأمة على محبتهم وكان الشانع لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً وكثر المادح لهم وذلك حين تغير البلاد وتضعف العباد والإياس من الفرج وعند ذلك يظهر القائم فيهم.

٢٥- المقدمة الأساسية لظهور ولی الله تعالى عليه السلام

ومن هذه الأخبار الشريفة وما بمضمونها من أخبار أخرى كثيرة يظهر أن المقدمة الأساسية

(١) أقول: فقدان الثالث كما يدل عليه بقية الخبر هو وفاة الإمام الحسن بن علي بن محمد علي الرضا عليه السلام.

لظهور الإمام القائم عليه السلام روحى فداه هي ما قدمناه من انتشار حكمة إعراض وبأىأس البشر من ولاية الشيطان بكل أشكالها وألوانها بمعنى إدراكهما الكامل لعقم هذه الولاية وعدم إيصالها إلى ما ينشده عموم بنى البشر من العدل والسلام والإطمئنان.

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نفهم الخبر الصحيح الذي رواه الثقات عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل.

فإن غرض الأئمة صلوات الله عليهم التعبير والإسراع بقطع آمال الأمة من الرغبات البشرية التي ستكون حتماً شكلاً من أشكال ولاية الشيطان. لعدم قدرتها على إقامة العدل والسلام والإطمئنان فضلاً عن الانساب إلى ساحة الله السبough القدوس.

٢٦- أهمية السعي في تحقيق مقدمة ظهور ولی الله تعالیٰ

وبما أن خروج الإمام المهدي عليه السلام وتحقيق العدل والسلام والإطمئنان في الأرض عن طريق ولاية الله هو الهدف الأسماى للخلق، فلا جرم كان تهيئة مقدمات هذا الخروج هو من أسمى الأعمال وأقدسها وأعظمها فضلاً وإرتباطاً بالهدف الإلهي.

ومن هذه الزاوية نفهم عمق الخبر المروى عن الإمام الجود عليه السلام والذى يقول: أفضل أعمال شيعتنا إنتظار الفرج.

فإن هذا الإنتظار أصبح عملاً إيجابياً يتضمن إيجاد المقدمة الأساسية لأعظم وأقدس عمل في الوجود، حيث أصبح هذا الإنتظار باعثاً على تعجيل قطع الآمال من ولاية الشيطان ولا بد أن نفترض أو نحرض فئة من البشر المتميزين على عدم قطع آمالهم من إقامة العدل والسلام – وإن قطعت آمالهم يأقامتها عن طريق ولاية الشيطان – وبالتالي ستكون آمال هذه الفئة متعلقة بالطريق الإلهي الذي تعتقد أنه الوحيد القادر على تحقيق آمالها، وهذه الفئة المتميزة ستكون هي السبقة إلى نصرة الإمام المهدي (عج) حين خروجه.

٢٧- نداء دماء الحسين عليه السلام:

ومن هذا المنطلق نوجه النداء الذي نستوحيه من صدى دماء الحسين عليه السلام...

إلى كل الذين يتشدون دم المظلوم..

وإلى كل الذين ما زالوا غاضبين على قتل الحسين عليه السلام..

وإلى كل الذين ما زالوا جزعين يبكون دماء الحسين عليهما السلام..

وإلى كل المؤمنين العاشقين لرفع كلمة الله تعالى وجعلها العليا...

وإلى كل الأحرار في العالم الذين ينشدون إرساء السلام والعدل والإطمئنان في العالم...

أدعوهُمْ أَنْ يَبَدِّرُوا إِلَى اخْتِصارِ مَتَاعِبِهِمْ وَأَهْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ بِسُلُوكِ مَسْلَكٍ وَاحِدٍ لَا ثَانِيَ لَهُ
أَلَا وَهُوَ تَبْيَّدُ طَرِيقَ إِسْتِقْرَارِ حَاكِمَيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى شَأنَهُ فِي عَبَادَهُ وَبِلَادِهِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ وَلَايَةِ
الشَّيْطَانِ بِكُلِّ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا.

فَلَيَؤْمِنُوا بِذَلِكَ إِيمَانًا عَمِيقًا فِي الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ، وَلِيُظْهِرُوهُ، وَلِيُبَيِّنُوهُ، وَلِيَعْلَمُوهُ لَسَائِرَ
الْمَسَاكِينِ وَالْمَسْتَضْعَفِينَ الْحَائِرِينَ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ مَهْمَا أُمُكْنِهِمْ ذَلِكُ، وَالْأَمْرُ بِدِيْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا
حَوْلَ وَلَا وَقْوَةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَاللَّهُ وَلِي التَّوْفِيقَ أَوْلَأَ وَآخِرًا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأقل محمود على قانصوه

في ضيغته الشهابية ١٢.١.٢٠٠٢م، الموافق ٢٨ من شهر شوال ١٤٢٢هـ

وتم الإنتهاء من إعادة تنقيح الكتاب للمرة الثانية وإدراج بعض الزيادات
والتوضيحات عليه في ٢٤-١١-٢٠١١، الموافق ٢٧ من شهر ذي الحجة.

الفهرس

٥	مدخل:
٩	الفصل الأول: أحوال الأجساد الطاهرة:
١١	الباب الأول: الأجساد في كربلاء:
٢٤	الباب الثاني: الرؤوس في الكوفة:
٢٨	الباب الثالث: الرؤوس في الشام:
٣٧	الباب الرابع: حوادث مع الرأس الشريف:
٤٧	الفصل الثاني: أحوال السبايا:
٤٩	الباب الأول: آل محمد ﷺ في أيدي الأعداء:
٦١	الباب الثاني: آل محمد ﷺ في الكوفة:

- الباب الثالث: آل محمد عليه السلام في شام الأعداء: ٧٢
- الباب الرابع: العودة الحزينة: ٩٧
- الفصل الثالث: حزن الكائنات: ١٠٧
- الباب الأول: أحزان الحق وأهله: ١٠٩
- الباب الثاني: حزن السماوات والأراضي وما ينهم: ١١٥
- الباب الثالث: حزن أهل البيت عليهم السلام: ١٢٢
- الباب الرابع: حزن الهاشميين: ١٤٨
- الفصل الرابع: إنتقام الممالك: ١٥٩
- الباب الأول: عقوبة دماء الحسين عليه السلام: ١٦١
- الباب الثاني: ثورة أهل المدينة: ١٦٧
- الباب الثالث: فتنة عبد الله بن الزبير: ١٧٠
- الباب الرابع: الخلاف على الخلافة: ١٧٤
- الباب الخامس: فتنة البصرة: ١٧٨
- الباب السادس: فتن مختلفة: ١٨١
- الفصل الخامس: انتفاضة الشيعة: ١٨٣

١٨٥	الباب الأول: ندم عام واحتجاجات أفراد:
١٩٣	الباب الثاني: مقدمات ثورة التوابين:
٢٠٠	الباب الثالث: ثورة التوابين:
٢١٣	الفصل السادس: ثورة المختار والأخذ بالتأثر:
٢١٥	الباب الأول: تاريخ المختار:
٢٢٢	الباب الثاني: دعوة المختار:
٢٢٧	الباب الثالث: ثورة المختار:
٢٣٣	الباب الرابع: التأثر من قتلة الحسين عليه السلام:
٢٤٢	الباب الخامس: قتل أكابر المجرمين:
٢٤٩	الباب السادس: قتل عبيد الله بن زياد وأهل الشام:
٢٦١	الخاتمة:



الكتب التي طبعت لسماحة المؤلف دامت إفاضاته

١. المقدمات والتبيهات في شرح أصول الفقه ثمانية مجلدات
٢. مصابيح الولاية خمسة مجلدات
٣. الروايات المشتركة بين السنة والشيعة في الصوم (بالاشتراك مع آية الله محمد علي التسخيري)
٤. الروايات المشتركة بين السنة والشيعة في الجمعة (بالاشتراك مع آية الله محمد علي التسخيري)
٥. الروايات المشتركة بين السنة والشيعة في الحج (بالاشتراك مع آية الله محمد علي التسخيري)
٦. الحجة على البشر في النص على الأئمة الإثني عشر (الأدلة الدامغة)
٧. الصحف المقدسة عند آل محمد عليه السلام
٨. كتاب على عليه السلام الجامعه.

٩. رحلة الإنسان إلى عالم الآخرة
١٠. إباحة المتعة حق السنة على أهل السنة جزآن في مجلد واحد
١١. خروج الحسين علثمة إلى كربلاء ثورة أم شهادة جزآن في مجلد واحد
١٢. ما بعد كربلاء مجلد واحد
١٣. دروس في فقه النكاح (دروس القاها في كلية الإجتهداد الجامعة الإسلامية في لبنان)